

محسن محمد

شاعر مسرحي



سنة من عصر مصر

**تاريخ مصر بالوثائق السرية
البريطانية والأمريكية**

اطبعة العامة لـ مكتبة الإسكندرية
رقم التصدير : ٢٥٦٣٧٦٦٩
رقم التسجيل : ٨٠٧٩٦٦

محسن محمد

سنة من حصر مصر

تاريخ مصر بالوثائق السرية
البريطانية والأمريكية



Governor Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Biblioteca Alexandrina



دار المخطوطات

الناشر : دار المعارف - ١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . ٢ . ع .

من قفص الاتهام إلى رئاسة الوزارة

انتقل «الدكتور أحمد ماهر» رئيس وزراء مصر من مجلس النواب في طريقه إلى مجلس الشيوخ في الثامنة من مساء ٢٤ فبراير ١٩٤٥ .
ولكن رئيس الوزراء لم يصل إلى مجلس الشيوخ أبداً .. بل انتقل من الدنيا كلها ... إلى العالم الآخر .

في اليوس الفرعوني الذي يفصل بين المجلسين أطلق عليه محام شاب اسمه « محمد العيسوي » عدة تصاصات قاتلة .

و قبل منتصف الليل أصبح « محمد لهمي التقراشي باشا » رئيساً لوزراء مصر .. للمرة الأولى ..
ولم يستطع السفير البريطاني « الورد كيلر » أن يعرض على اختبار « التقراشي » .. فإن الجريمة وملابساتها والظروف التي تمر بالبلاد فرضت ، على الجميع ، لأنقذ مصر ليلة واحدة دون رئيس للوزارة .

كان « التقراشي باشا » هو الرجل الثاني في الوزارة ، والرجل الثاني في (الحزب السعدى)
الذى يرأسه « الدكتور أحمد ماهر »؛ ولذلك فإن السفير البريطاني أمضى ليته ساهراً يفكّر ماذا
سيفعل مع « التقراشي »؟ وماذا سي فعل « التقراشي » مع بريطانيا العظمى ، وبين الاثنين
تاريخ طويل من العداء .

ولد « محمود فهمي النقاشي » يوم ٢٦ أبريل ١٨٨٨ : ويقال إن الدماء الدرزية والشركية
نجرى في عروقه !

من أسرة فقيرة بالإسكندرية . درس فترة بمدرسة التجارة . ثم انتقل إلى مدرسة المعلمين
العليا حيث حصل على دبلومها .

... ونظراً لتفوقه أرسله « سعد زغلول » - وزير المعارف - فيبعثة إلى إنجلترا .

وبعد عودته عين مدرساً بمدرسة رأس التين بالإسكندرية ونظراً لها . ثم تقلب في عدة
وظائف . وأخيراً استقال من الحكومة ليتضم إلى الوفد المصري .

وتقول تقارير رجال الأمن العام البريطانيين : إنه نظم إضراب موظفي الحكومة عام ١٩١٩
خلال الثورة ، وكان المحرك الأول لإضرابات الطلبة عام ١٩٢٢ .

واستجوبه الإنجليز بتهمة الاشتراك في قتل ضباطهم وجندتهم . واعتقلوه شهراً في مايو
١٩٢٣ ، ثم أفرجوا عنه لعدم توفر الأدلة .

وعندما نزل « سعد زغلول » الحكم عليه - في يونيو عام ١٩٢٤ - وكيلاً لمحافظة القاهرة .
فاستطاع أن يجد من نفود الضباط البريطانيين .

وفي أكتوبر ١٩٢٤ اختاره سعد وكيلاً لوزارة الداخلية . فرفض التعاون مع البريطانيين .
وانبهه الإنجليز بأنه منع رجال البوليس من التعرض للطلاب المتظاهرين الذين هاجموا
الصحف المعارضة للوفد .

واغتيل السردار البريطاني « السير لي ستاك » يوم ١٩ نوفمبر . فاتهمه المندوب السامي « اللورد
لنبي » بعرقلة التحقيق .. وأمر الإنجليز بالقبض عليه يوم ٢٧ نوفمبر أي بعد ١٢ يوماً من الحادث .
ويقى معتقلاً حوالي شهرين بتهمة الاشتراك في الجريمة .

واعتقله الإنجليز للمرة الثالثة في مايو ١٩٢٥ بتهمة الاشتراك مع « الدكتور أحمد ماهر » في
قضية الاغتيالات السياسية الكبرى . وظل معتقلاً عاماً كاملاً . حتى صدر الحكم ببراءته
و« الدكتور أحمد ماهر » يوم ٢٥ مايو عام ١٩٢٦ .

وقد رفض رئيس المحكمة القاضي البريطاني « كيرشون » إعداد حيثيات الحكم وحاول إقناع
زميليه المصريين بإدانة المتهمين واستقال احتجاجاً على الحكم .

وانتخب النقاشي وأحمد ماهر عضوين في مجلس التواب الجديد في نفس العام بعد أن
رشحهما الوفد . فذهب « ليفل هندرسون » المندوب السامي بالنيابة إلى « عدل ي يكن باشا » رئيس
الوزارة الائتلافية وقال له :

- إن في غاية الاستثناء لترشيح الوفد للرجلين .

وعندما اختير أعضوين في لجنة المالية والمعارف بمجلس التواب . توجه المندوب السامي الجديد « اللورد جورج لويد » وقال « لعلى باشا » :

- علمت الحكومة البريطانية - مع الأسف الشديد - بالنبأ .

وفي أواخر أيام « سعد زغلول » سمع « اللورد جورج لويد » أن « سعد زغلول » يفكك في رئاسة الوزارة بدلاً من « عبد الخالق ثروت » . وأن الوزارة ستضم كلًا من « أحمد ماهر ، ومحمود فهمي النقراشي » ... فكتب « اللورد لويد » - يوم ٢٢ أبريل ١٩٢٧ - إلى وزير خارجية بريطانيا . أوستن تشيرلین » يقول :

« يجب أن نرفض قبول « سعد زغلول » رئيسًا للوزارة . وأريد تفويضًا بأن أبلغه بأننا لن نسمح له بذلك » .

وجاء الرد من « تشيرلین » بعد يومين .

قال وزير خارجية بريطانيا المندوب السامي في مصر :

« أنت مفوض بإبلاغ « سعد زغلول » بأن الحكومة البريطانية لن تسمح له بتولي رئاسة الوزارة .

وهذا المتع يعنى إلى « أحمد ماهر ، والنقراشي » وآخرين . بينهم ، على سبيل المثال : « مكرم عبيد » . من ترى أن شبهة اشتراكهم في جرائم القتل ، تبرر ذلك » .

• • •

مات « سعد زغلول »

ورشح لرئاسة الوفد كل من « مصطفى النحاس ، وفتح الله برؤسات » .

« وفتح الله برؤسات » سياسي أكثر قدرة ودهاء من « النحاس » ; ومع ذلك فاز « النحاس » وأختير رئيسًا للوفد يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٢٧ .

قال الإنجليز إن « النحاس » نجح بتأثير المنطرفين : « مكرم عبيد ، وأحمد ماهر ، والنقراشي » ... وآخرين .

وزاد نفوذ « النقراشي » داخل الوفد فاختير أميناً للصندوق ، ومسئولاً عن منظمات الطلبة .

وعندما تولى « مصطفى النحاس باشا » رئاسة الوزارة ، بعد استقالة « عبد الخالق ثروت » كتب المندوب السامي في نفس اليوم إلى لندن :

١٧٠ رقم برقية

لوييد جورج اللورد من «»
إلى وزارة الخارجية

١٩٢٨ مارس بتاريخ ١٦

تشكيل الوزارة الجديدة يُؤدي سلطو منصب وكيل مجلس التواب . وقد طرح اسم «أحمد
ماهر ، والنفراشى » كمرشحين لهذا المنصب .
ومعلومانى أن الوفد يتتجنب استفزازنا ، ويستبعد هذا الترشح ، ولكن علينا أن تكون
مستعددين لأية طوارئ .

إن تعين أى منها فى منصب وكيل مجلس التواب سيكون تطورا خطيرا .

إن وكالة مجلس التواب خطوة طبيعية نحو الترقية إلى منصب أعلى .
وإذا سمحتنا بهذا التعيين فلست أرى أن يوسعنا - منطقياً - أن نعارض إذا انتهى الأمر -
نها بعد - بتعيين أى منها رئيساً مجلس التواب .

وفضلاً عن ذلك ، فإن وكيل المجلس يرأس المجلس في غياب الرئيس .
وتجرى دار المندوب السامي اتصالاتها أحياناً بوكالة المجلس في مسائل (البروتوكول) والأعمال
الإدارية اليومية .

ومن الجدير بالبحث ، أيضاً ، ما إذا كان لائقاً أن يحضر مندوب سام الافتتاح السنوى
للبرلمان الذى يشغل وكالة مجلس التواب فيه أحد أفراد عصابة اغتيال السردار؟ .

إننا نعتقد أن هذين الشخصين تضمها عصابة الاغتيال . وقد أبلغنا الملك بعدم السماح . لما
بدخول الوزارة . فإذا سمحتنا ، لأى منها ، أن يرأس المجلس فإن ذلك قد يشجع الوفد ضدنا
وبنال من عزيمة العناصر المعتدلة . وسيتمدد الوفد الشجاعية ، لاعتقاده بأن تحذيراتنا . مجرد أعمال
متالية أفلاطونية

علينا أن نحاول منع تعيين «أحمد ماهر ، أو النفراشى » وكيل مجلس التواب أو فى أى منصب
إدارى بالحكومة .

إن أى عمل تتخذه في الوقت المناسب سيصرف الوفد عن الاستمرار في ترشيحها . واقتراح أن
نجعل «النحاس » يعرف ، بشكل غير رسمي ، أن هذا التعيين ستنتظر إليه الحكومة البريطانية
باعتباره عملاً غير ودى من حكومة الوفد .

وفي ٢٢ يونيو ١٩٢٨ بعث «الlord Loid» بالبرقية رقم ٥٠٨ إلى وزير الخارجية في لندن :

«استجواب «النحاس باشا» إلى طبى . ووضع على الرف اقتراح اختيار «النقاراشى . أو أحمد ماهر» . وكيل مجلس النواب . وهكذا حاول الإنجليز منع ترشيح «النقاراشى» نائباً . فلما انتخب اختجوا على اختياره عضواً في لجنة التعليم . ومنعوا ترشيحه وكيلًا مجلس النواب مما يدل على أن موجة العداء لم تهدأ .. أو تنحسـ.

* * *

أجريت الانتخابات مجلس النواب في ديسمبر عام ١٩٢٩ ففاز الوفد وأصبح محمدًا عزيز «مصطفي النحاس» رئيساً للوزارة مرة أخرى .
والتف «المملوك أحمد فؤاد» «السير برسى لورين» المندوب السامي .
قال الملك متظاعناً :
— لا أقبل أن تضم الحكومة الوفدية .. «النقاراشى» . أو «أحمد ماهر» وكلاهما اتهم في قضية الأغتيالات السياسية .

وبعث «السير برسى لورين» إلى لندن يطلب رأيه :
— هل يبلغ «النحاس» بعدم تعيين الرجلين في الوزارة .
أجابـت لندن بتعلـمات محددة :
«احرصـ علىـ أـنـ تـفـادـىـ أـىـ شـئـ يـسـمـ بـطـابـعـ الإنـذـارـ . وـمـنـ الضـرـوريـ أـنـ لـخـافـظـ عـلـىـ أـفـضـلـ جـوـ مـمـكـنـ مـنـ أـجـلـ مـقـرـحـاتـ الـمـعاـهـدـةـ» .
وـكـانـتـ بـرـيـطـانـيـاـ عـلـىـ وـشـكـ التـفاـوضـ مـعـ «الـنـحـاسـ» لـتـوـقـعـ مـعـاهـدـةـ بـيـنـ مـصـرـ وـبـرـيـطـانـيـاـ .
وـالـتـفـ «الـسـيرـ بـرـسـىـ لـورـينـ» . «ـبـالـنـحـاسـ» يوم ١١ دـيـسـمـبرـ .
قالـ المـندـوبـ السـامـيـ :

— سـيـكـونـ مـنـ الصـعـبـ عـلـىـ الـحـكـومـةـ الـبـرـيـطـانـيـةـ أـنـ تـجـمعـ بـيـنـ الـتـصـرـخـاتـ الـوـدـيـةـ وـبـيـنـ تـعـيـنـ مـصـرـيـنـ . يـعـقـدـ أـنـهـاـ مدـبـراـ حـمـلةـ الـأـغـتـيـالـاتـ ضـدـ الرـعـاـيـاـ الـبـرـيـطـانـيـيـنـ . فـيـ مـنـاصـبـ الـوزـراءـ .

أما في حالة سـرـيانـ مـقـرـحـاتـ الـمـعاـهـدـةـ الـتـيـ تمـ الـانـفـاقـ عـلـىـهاـ معـ رـئـيسـ الـرـزـراءـ السـابـقـ «ـعـبدـ اـخـالـقـ ثـروـتـ» فـيمـكـنـ — حـيـثـ — دـفـنـ الـخـلـافـاتـ . وـلـاـ يـكـونـ عـلـىـ الـحـكـومـةـ الـبـرـيـطـانـيـةـ أـنـ تـفـحـصـ سـجـلاتـ مـاضـيـ الـوزـراءـ فـيـ حـكـومـةـ حـلـيفـةـ .

أفع «النحاس» بشدة على المندوب السامي أن يتخل عن اعتراضه على ضم «ماهر» والقراشي «للوزارة» قائلاً :
ـ هذامصلحة المعاهدة . إن وجود هذين الوفدين المأمين في الوزارة سيساعد ، إلى درجة كبيرة . على أن يجعل البلاد تقبل التنازلات ، التي أعلم أن على مصر تقديمها . إذا كانت المعاهدة ستم .

وقال النحاس :

ـ إن استبعادهما سيعزى إلى بريطانيا العظمى ، في حين أن اشتراكهما في الوزارة سيكون دليلاً على أن عهداً جديداً قد بدأ في العلاقات الإنجليزية - المصرية .
وبلغ «السير برسى لورين» نص الحديث لوزير الخارجية .

ونهى «الرود من لندن» :

«التعليمات السابقة مستمرة » ...

ومعناها منع إسناد الوزارة إلى «ماهر» أو «القراشي» .

وسلم المندوب السامي إلى «النحاس باشا» مذكرة توضح بصورة ودية - ولكن لا لبس فيها - آراء الحكومة «ليرأها النحاس فحسب . ولا يخفيها !»
قرأ «النحاس» المذكرة وأعادها إلى «السير برسى لورين» قائلاً :
ـ سأستسلم إذا أصرت بريطانيا . ولكن ما زلت عند رأي بأن اشتراك «ماهر» والقراشي «سيساعد على تحرير المعاهدة» .

ويقترح «النحاس» ، كحل وسط . ضم أحد الرجلين إلى الوزارة .

وبكتب المندوب السامي إلى لندن قائلاً :

«أوصى - إذا وافقتم - على اشتراك «القراشي» في الوزارة ، فلم تكن هناك أدلة كافية لإدانته في قضية الاغتيالات السياسية الكبرى ، حسب رأي رئيس المحكمة القاضي «كيرشون» .
وتتفق لندن ويصبح «محمد فهمي القراشي» وزيراً للمواصلات يوم أول يناير ١٩٣٠ في
وزارة «مصطفى النحاس باشا» ، الثانية !

وبكتب «السير برسى لورين» ، بعد ذلك ، إلى وزير خارجيته قائلاً :
ـ لم تكن قائمة الوزراء مطمئنة ، فقد اعتبرت الجالية الأوروبية «القراشي» شخصاً أفلت من الإعدام . وكان مستحلاً مقاومة الإحساس بالقتل ، لأنه تولى مسؤولية الوزارة التي يعمل بها
أغلبية الموظفين البريطانيين » .

وتستمر هذه الوزارة في الحكم أقل من ستة شهور .

• • •

ويختار « التقراشي » عضواً في الوفد الذي أجرى مفاوضات معاهدة عام ١٩٣٦ ، ويعود وزيرًا للمواصلات مرة أخرى في وزارة « النحاس » التي شكلت يوم ٩ مايو عام ١٩٣٦ . وتبعد الخلافات بين « التقراشي » . والنحاس » .

وتزداد الأمور سوءاً لأن « التقراشي » مختلف مع « مكرم عبيد » أيضًا .

ويتفق الجميع حدوث انشقاق في الوفد .

ويزور « الأمير محمد على » الوصى على العرش - يوم ١٥ سبتمبر ١٩٣٦ - « دافيد كيللى » القائم بأعمال السفير البريطاني ويقول له :

- إن وجهة النظر القائلة بأن « أحمد ماهر » . والتقراشي » قد ينفصلان عن « النحاس » . ومكرم » . . وينتهي ان معارضته في الوفد ترجع إلى أنها الرجال القويان في الحزب . . القادران على التصدى للزعماء الراسخين . . ولكن الاعتقاد العام أنه ليس من المتحمل حدوث الانشقاق . إن « ماهر » . والتقراشي » . من أصل متواضع - ولكنها يعاملان إخوانهما بغضرة وادعاء . وسلوك « أحمد ماهر » - رئيس مجلس النواب - وقع .. تجاه النواب .. ولا يبال بترحبيهم . « والتقراشي » مثله في افتقاره للبقاء .

ونتيجة لذلك أصبح معظم زملائهما الآن ضدّهما .

أما « مكرم » فعلعكس . إنه بالغ التذبيب مع الناس من كل الطبقات . وأنا - أى الوصى على العرش - مع الاعتقاد السادس . بأن « أحمد ماهر » . والتقراشي » . لن يكونا في مركز يسمح لها بمعارضة « النحاس » . ومكرم » بصورة ناجحة .

وهناك سبب لخوف « النحاس » . ومكرم » من « أحمد ماهر » . وهو الاعتقاد بأنه ما زال على اتصال بعملائه . الإرهابيين السابقين .

رد « دافيد كيللى » قائلاً :

- إن « النحاس » . ومكرم » كانوا تحت حراسة جيدة قبل سفرهما إلى أوروبا خوفاً من محاولة قتلها من جانب عملاء « أحمد ماهر » .

قال « الأمير محمد على » :

- « النحاس » . ومكرم » يريدان حكم البلاد ويرفضان الاستماع إلى أحد .

إن الحكومة البريطانية عندما عقدت معااهدة مع مصر . لم تكن تعترض تسلیم البلاد إلى « مکرم والنحاس » .

والآن نتيجة للمعااهدة . سیستبدل الأكفاء في الوظائف بمحبوب الوفد . ويختلي البوليس بالعمالء الوفديين . ويصبح تحت سیطرة الوفد الكاملة .

٠ ٠ ٠

وينق « القراشى » في الوزارة ٥ شهور أخرى . ثم بدأ الانقسام يطفو مرة أخرى على السطح . وتتابع برقیات السفير البريطاني « السیر مايلز لامبسون » . إلى لندن . تصف تطورات الخلاف بين « القراشى » . والنحاس » . وتمرد « القراشى » . على النحاس » .

في ١٦ فبراير عام ١٩٣٧ كتب « السیر مايلز لامبسون » في برقیته رقم ٢٠٩ إلى لندن : « فقد « النحاس » بعض شعبیته . إن زوجته الفرویة الشابة . جاهلة بجیة الوزراء ورغباتها جعلت « النحاس » يبدو مضحکاً .

إنتها - أى قریة النحاس - تتصل بالوزراء مباشرة لترقیة وتعيين أقاربها .

وقد أبلغنى الوصی على العرش - بعد وفاة الملك فؤاد - أن النحاس أرغمه - في أغسطس ١٩٣٦ - على توزیع ٨٥٠ لقباً ووساماً على أنصار الوفد . وقد أدى هذا خلیة أمل » .

وفي ١٩ مارس قالت برقیة « السیر مايلز لامبسون » رقم ٣٤٣ :

« إن رئيس الوزراء - النحاس - يتحقق آمال أتباعه الذين عینهم في مناصب حساسة . « والنحاس » وزملاؤه - باستثناء « ماهر . والنحاشى » - تنقصهم الكفاءة الإدارية » .

٠ ٠ ٠

سافر « النحاس » إلى « مونتريه » ليوقع اتفاق إلغاء الامتیازات الأجنبیة .

ويكتب « لامبسون » إلى لندن يوم ٩ يونيو :

« على « النحاس » أن يواجه بعد عودته المشققين في حزبه وبالذات « القراشى » . و « النحاس » مستعد لإيقائه في الوزارة إذا أسقط - القراشى - سياسته الوضيعة بمقاطعة الإنجليز .

ويرى « النحاس » أنه إذا لم یسيطر على « القراشى » فإن سياسة التعاون مع الإنجليز مستخرب .. و « النحاس » ليس مستعداً لهذه المغامرة » .

وف يوم ١٦ يونيو يكتب « السیر مايلز لامبسون » :

« أبلغنى » أمین عھان باشا « أنه في الوقت الذي لا یصم فيه « النحاس باشا » على إخراج

«النراشى» من الوزارة . فإنه قد يضطر إلى ذلك . ما لم يغير «النراشى باشا» موقفه المعطل والمعادى للبريطانيين .

ويبدو أن «النراشى باشا» مصمم على إبعاد كل الموظفين البريطانيين في إدارته وغيرها من الإدارات . والقضاء على كل التفؤذ البريطاني حيثًا وجداً .

باختصار «النراشى» معاد للبريطانيين في مشاعره بصورة جوهرية .

أما «التحاس باشا» فقد جعل التعاون الإنجليزى - المصرى بمثابة حجر الزاوية فى كل سياسته .

وهكذا كان «التحاس» مهتماً للغاية بالتعاون بكلة الطرق مع حكومة صاحب الجلالة وبما لم يكن «النراشى باشا» مستعداً لأن يتنظم في الخط . فسيكون عليه أن يمضى قلت «لأمين عثمان باشا» :

- ليس فيها سبق شىء يمكننى أن أعتراض عليه .

ومعنى ذلك أن «أمين عثمان» يبلغ السفير البريطاني أن «النراشى» ضد الموظفين الإنجليز فى الحكومة . وفي وزارة المواصلات بالذات . ويريد إخراجهم جميعاً . ولذلك فإن «النراشى» . هو الوزير الذى يجب أن يخرج .

ويوافق السفير البريطاني على ذلك . بطبيعة الحال .

وفي ٢٦ يوليو يرى السفير البريطاني «أن» «النراشى» سيترك الوزارة بعد أن هدد - مرتين - بالاستقالة .

ويقول السفير في برقته إلى لندن :

«أظهر» «التحاس» صفات التعقل السياسي . فهو مؤمن بالتعاون المصرى البريطاني الكامل وأثبت دليلاً على ذلك في مفاوضات «مولتريه» .

وظهر تصرّف «التحاس» على التعاون . بكل قلبه . في نيته التخلص من «النراشى» . الذي أظهر رغبة عمومية في التخلص . من كل إنجليزى . يعمل في خدمة الحكومة المصرية . وأبلغنى «التحاس» - بطريقة سرية - أنه بعد موافقة «الملك فاروق» سيحدث تعديلاً وزارياً يسقط به «النراشى» وآخرين من الوزارة» .

ويكتب السفير إلى «أنتونى إيدن» وزير الخارجية البريطاني :

««النراشى» يعتقد زعامة «التحاس» منذ فترة طويلة . وقد اختلف «النراشى» مع «مكرم» . مما جعل الأمور ترداد سوءاً» .

ويقدم «التحاس» استقالة الوزارة كلها إلى «المملوك فاروق» يوم ٣١ يوليو ١٩٣٧ فيعهد إليه بتشكيل الوزارة مرة أخرى فيؤلفها خلال ٣ أيام بعد تعديليها ...

أنترج «التحاس» (٤) من الوزراء أوطم «القراشي». بعد أن أمضى في الوزارة ١٥ شهراً .. تولى خلالها منصب وزير المواصلات ٣ مرات.

وقيل ونشر الكثير عن أسباب الخلاف بين التحاس والقراشي .. فالتحاس بعد وفاة أعدى أعدائه - وهو الملك فؤاد - وبعد توقيع المعاهدة . وإلغاء الامتيازات وجد أن من حقه «أن يتسامي ويشكّر على زملائه القدامى في الوفد .. فأطلقوا دراستهم في التقاضي».

وقيل إن زواج «التحاس» غير المكافئ من شابة تصغره بثلاثين عاماً تكريباً جعلها تعين أقاربها في مناصب هامة.

وبسبب آخر وهو نفوذ «مكرم عبيد» وسيطرته على «التحاس» .

* * *

قال لي الكاتب الصحفي «مصطفى أمين» :

عين « توفيق نسيم باشا » عام ١٩٣٥ أبناء شقيقة «التحاس» موظفين في البرلان .. والبرلان لا يتعين باللوائح المالية للدولة . ومن ثم يستطيع منح «غير المؤهلين» ، مرتبات عالية . وورأت قرينة «التحاس» تعين أشقائتها وأقاربها أيضاً .

ومن البرلان انتقلت الاستثناءات لوظائف الدولة .

ومن أشقاء قرينة «التحاس» إلى أقارب زوجات الوزراء .

واحتاج محمود فهمي القراشي داخل مجلس الوزراء . فقال التحاس :

- إن « سعد زغلول » أعطى استثناءات للمغدبين وأراد تعين أقاربه . وقال إنه كان يعني أن تكون الحكومة كلها (زغلولية) .

رد «القراشي» :

- « سعد زغلول » أراد تعويض ثوار عام ١٩١٩ . الذين سجنوا . والذين حرموا من التعليم . أو منعوا من استكمال دراستهم . بسبب الاعتقالات والمحاكمات . أما تعين أقارب الوزراء وأقارب زوجات الوزراء فلا أوقف عليه » .

وكانت هذه هي البداية .

* * *

كتب الأستاذ « عبد الرحمن الرافعى » في الجزء الثاني من كتابه « في أعقاب الثورة المصرية » .

كان « القراشى » دعامة كبيرة من دعائم الوفد . وحجة « النحاس » في إخراجه . أنه كان كثير المعارضة داخل الوزارة ، وأن سير العمل يقتضي تجانساً .

وكان « القراشى » يعارض في تصريحات تمس سمعة الحكم وسلامته ، فعارض في الاستثناءات والمحسوبيات وكان على حق في هذه المعارضة .

« والنحاس » بعد زواجه وعقد معاهدة ١٩٣٦ تساهل فيها تفتيسية الزراعة والاستفادة . وقد عارض « القراشى » في تنفيذ مشروع توليد الكهرباء من مخزان أسوان بالطريقة التي ارتئاها « النحاس » .

طلب « النحاس » إلى الوزارة - في مجلس الوزراء - الموافقة على المشروع دون دراسة كافية ، وأن يقرروا إعطاءه لشركة الكهرباء الإنجليزية ، دون عرضه على خبراء علميين ، ودون طرحه في مناقصة ، فاعتراض « القراشى » ، و« محمود غالب » وزير الخزانة ، « محمد صفت » وزير الأوقاف .

وطلبوا التريث واستيفاء الدراسة . وطرح المشروع في مناقصة عالمية . وعرض الموضوع على البرلمان قبل الانفاق .

وإخراج « القراشى » كان نقطة التحول في سياسة الوفد . فأخذ يسلك سبيلاً لا يتفق مع الروح القومية . ولا مع الاستفادة والتزاهة .

ويقول « الدكتور محمد حسين هيكل باشا » في مذكراته : « إن بعض الشركات العالمية عرضت استئناف الكهرباء من مساقط المياه بمخزان أسوان بـ ٥ ملايين جنيه . في حين طلبت الشركة الإنجليزية ٧,٢٠٠,٠٠٠ جنيه . ومن هنا كان تمسك « القراشى » وزملاؤه بضرورة طرح العملية في مناقصة . وتعمّل الوزراء الآخرون بالشركة الإنجليزية بمحنة أن هذه الشركة سرّاً فنياً لا يمكن إنشاؤه وهذا السر يحيى للحكومة المصرية التجاوز عن المناقصة إلى الممارسة » .

ونخطب « النحاس » في ٣٠ أغسطس ١٩٣٧ بالإسكندرية فشرح الحالات المتكررة في مجلس الوزراء بين « القراشى » من ناحية « ومكرم عبيد » من ناحية أخرى .. فقال : « رأيت إخراج « القراشى » . برضائه ، مع الاحتفاظ بوفديته » .

عرض «النحاس» على «النقاشي» أن يكون عضواً في مجلس إدارة شركة قناة السويس بمرتب ٥٠٠٠ جنيه سنوياً، وهو مرتب ضخم في ذلك الوقت.
ورأى السفير البريطاني في هذا العرض (ضربة معلم) من «النحاس».
إذا قبل «النقاشي» الوظيفة والمرتب الضخم، فإنه يتحول من سياسي إلى رجل أعمال يلتزم الصمت خوفاً على مصالحة.

ويستفسر السفير البريطاني يوم ٧ أغسطس من «أمين عثمان» الذي يقول:
ـ إن «النقاشي» لا يريد الربط بين خروجه من الوزارة وقبول عضوية مجلس إدارة قناة السويس، «النقاشي» يريد أن تمر فترة قبل بعدها المنصب.
ويقول «أمين عثمان» للسفير:
ـ «النقاشي» قال «للنحاس» إنه لن يفضل إذا عرض منصب قناة السويس على غيره ... «والنحاس» من ناحيته لا يرى نفسه ملزماً بشيء «للنقاشي».

* * *

ولكن «النقاشي» يفضى في طريقه بعيداً عن قناة السويس ورجال الأعمال .. والوفد ..
ويصدر «النقاشي»، محمود غالب، ومكرم عبيد، بيانات متناقضة عن أسباب الاستقالة مما ساعد على زيادة الخلافات بين «النقاشي»، والنحاس».

ونكون النهاية بين «النحاس»، «النقاشي»، عندما أصدر الوزير السابق بياناً يوم ٦ سبتمبر ذكر فيه موقفه من مشروع كهرباء خزان أسوان بدون مناقصة، ودعا حكومة الوفد إلى المساواة بين المصريين وأحترام حرياتهم، وحل جميع فرق القمصان المؤيدة للوفد ولخصوم الوفد أيضاً.
رد الوفد على هذا البيان، بعد ٦ أيام، بقرار باعتبار «النقاشي» منفصلاً عن الوفد.
ورفض عضو واحد للوافقة على هذا القرار، وهو «الدكتور أحمد ماهر» رئيس مجلس النواب الذي أصر على أنه يعتبر «النقاشي» عضواً في الوفد!
وفي أوائل يناير ١٩٣٨ قرر الوفد فصل «الدكتور أحمد ماهر»، الذي أنشأ مع «النقاشي» (الحزب السعدى).

وبعد ١١ شهور من خروج «النقاشي» تجده وزيراً للداخلية في وزارة «محمد محمود» لمدة ١٤ شهراً.

وكانت وزارة الداخلية تمنع الصحفيين وغيرهم مصرفيات سرية.

وقد رفض «النراشى» كوزير للداخلية أن يصافح أحداً حصل على هذه المصروفات وكان يترك لسكرتيره لقاء هؤلاء الصحفيين وتقديم المرتبات والمكافآت السرية لهم ، ولكنه - شخصياً - لا يستقبلهم أو يصافحهم .

وعين «النراشى» وزيراً للمعارف في وزارة «علي ماهر» عام ١٩٣٩ لمدة ١٠ شهور . وزيراً للداخلية شهرین ونصف في وزارة «حسن صبرى» عام ١٩٤٠ . ومنها نقل للهالية ١٩ يوماً فقط ثم استقال عندما قرر الحزب السعدى الانسحاب من الوزارة .

وعندما تولى «الدكتور أحمد ماهر» رئاسة الوزارة في ٩ أكتوبر عام ١٩٤٤ اختار «النراشى» وزيراً للخارجية . وظل يشغل هذا المنصب حتى مساء ٢٤ فبراير ١٩٤٥ . عندما عين رئيساً للوزارة بعد مصرع «أحمد ماهر» .

• • •

وهكذا جاء « محمود فهمي النراشى » إلى رئاسة الوزارة ! وصفه الكاتب الصحفى « محمد زكي عبد القادر » بأنه « .. رجل مهنى له وجه مشرق .. تبدو عليه الصحة . وفي عينيه بريق تشعر منه لأول وهلة يوميضاً من التصميم والعزم والاستقامة . لم تكن حياته كثيرة ولا بجامعته كثيرة .

ولعله يعتمد على وجهه الذى ، وإن لم يكن معيناً ، إلا أنه يوحى جنباً بالصدق والاطمئنان . رأيته في قفص الاتهام ، حبل المشنقة قريب من عنقه ، وهأنذا أراه الآن وهو على مقعد رئيس وزراء مصر : من كان يتصور وأنا جالس في قاعة جلسة الإحاله بمحكمة جنایات مصر . مهمور الأنفاس مائحوذاً برهبة الموقف . والقاضى البريطانى « كيرشون » يخدهجه وزميله « أحمد ماهر » بانتظارات فيها الغيط والحدق . والرجل صامت ساكت مؤمن صابر متيسم . من كان يظن أن الأيام ستجمعنى به الآن وهو رئيس للوزراء ! .

هذا المكافع العظيم . هذا الوطنى المتقد حماسة . الذى خرج من صفوف المدرسين ليكون ثائراً عظيماً ، وإنساناً يكاد يقدم رقبته فداء وطنه . ما أعجب المقادير . وما أعظم الدرس الذى تعطيه للخاملين المسلمين القابعين . يخشون الخيال ، والحقيقة . ويغفلون من مجرد التفكير في عمل من أعمال البطولة » .

الدرس الأول .. لناصر المدرسة

لم يكن الملاك مستريحاً «النقاراشي» .

التقى «بالدكتور محمد حسين هيكل باشا» . رئيس مجلس الشيوخ عقب اغتيال «أحمد ماهر» فقال للملك :

ـ أخشى أن يكون «النقاراشي» من لا يسهل التعاون معهم . لقد حدثت بيني وبين «الدكتور ماهر» ألوان من الاحتكاك أول عهده بالوزارة . ثم تفاهنا تمام التفاهم وصرنا صديقين . أما «النقاراشي» فلا أظن فيه المرونة التي كانت في « Maher» .

• • •

كانت الظروف الخجولة «النقاراشي» صعبة للغاية .

صديقه وزميله في الكفاح ضد الإنجليز اغتيل داخل البرلمان بطريقه كان لها وقع الزلزال في مصر . منذ اغتيال رئيس الوزراء «بطرس غالى باشا» عام ١٩١٠ . والسفير البريطاني يعاديه ويرى فيه خصماً قد يبدأ للإنجليز . منذ الاستقلال . وعلى امتداد ٢١ عاماً متصلة .

«ومصطفى النحاس» يعتبر «النقاراشي» منشقاً على الوفد . ومن ألد أعدائه . لأنه تمرد على الزعامة الوفدية واتهمها - وهو عضو في الوفد - بعدم القرابة .

ولم يكن هؤلاً هم كل خصوم «النقاراشي» .. ولكنهم كانوا أقوى هؤلاً الخصوم .

• • •

بدأت مشاكل «النراشى» بعد منتصف الليلة التى عهد إليه فيها بتشكيل الوزارة .
كانت المشكلة مع صاحب الجلالة نفسه !
فكـر «المملـك فاروق» في بقاء الـوزارة كـما هـي . وـأن يـعين «الـنراشـى» رـئـيسـاً لـهـا . فالـوزـارة
بـاقـية وـرـئـيسـها وـحدـدـهـا . مـاتـ . وـيعـينـ بدـلهـ .
أـجـابـ «الـدـكتـورـ هيـكلـ» عـلـىـ «فارـوقـ» قـائـلاـ :
ـ الـوزـارة سـقطـت بـوفـاةـ «ماـهرـ باـشاـ» . وـلمـ يـبقـ لـهـا وـجـودـ . وـالـنقـالـيدـ الدـسـتـورـيـةـ تـقـضـيـ بـأنـ
يعـهدـ الـمـلـكـ إـلـىـ مـنـ يـؤـلـفـ الـوزـارةـ مـنـ جـديـدـ .
وـيـنـضـمـ الـوزـيرـ «مـحـمـودـ باـشاـ حـسـنـ» الـذـيـ كـانـ رـئـيسـاـ لـقـضاـيـاـ الـحـكـومـةـ إـلـىـ رـأـيـ «هيـكلـ

باـشاـ» . وـكـذـلـكـ فعلـ باـقـيـ الـوزـراءـ .
ويـكـونـ رـأـيـ «الـنـراـشـىـ» أـيـضاـ أـلـاـ بـلـدـ منـ أـمـرـ مـلـكـيـ بـتأـلـيفـ الـوزـارةـ . وـلـاـ بـلـدـ منـ أـنـ يـرـفـعـ
«الـنـراـشـىـ» إـلـىـ الـمـلـكـ أـسـمـاءـ الـوزـراءـ . وـلـاـ بـلـدـ منـ صـدـورـ مـرـسـومـ مـلـكـيـ بـتـشـكـيلـ الـوزـارةـ .
ويـنـزـلـ الـمـلـكـ عـلـىـ رـأـيـ الـجـمـيعـ .
كتـبـ «الـمـلـكـ فـارـوقـ» إـلـىـ «الـنـراـشـىـ» وـهـوـ يـكـلـفـهـ بـتـشـكـيلـ الـوزـارةـ :

«عـزيـزـىـ»
أـخـرـنـىـ حـادـثـ الـاعـتـدـاءـ الـفـطـيـعـ الـذـيـ أـوـدـىـ بـجـيـةـ الـمـغـفـورـ لـهـ «أـحـمدـ ماـهرـ باـشاـ» .
وـلـاـ عـهـدـنـاهـ فـيـكـمـ . أـصـدـرـنـاـ أـمـرـنـاـ إـلـيـكـمـ لـلـأـخـلـدـ فـيـ تـأـلـيفـ هـيـةـ الـوزـارةـ وـعـرـضـ الـمـشـرـوـعـ
عـلـيـنـاـ» .
وـيـرـدـ «الـنـراـشـىـ» قـائـلاـ :
ـ لـسـتـ أـخـلـىـ بـأـمـلـاـيـ أـنـهـ شـاقـةـ ، وـقـدـ رـأـيـتـ أـنـ أـشـرـكـ مـعـيـ فـيـ الـوزـارةـ حـضـرـاتـ
الـوزـراءـ الـذـيـنـ اـشـرـكـوـاـ مـعـ الـمـغـفـورـ لـهـ «الـدـكـتوـرـ أـحـمدـ ماـهرـ» فـيـ وزـارـتـهـ» .
ولـكـنـ «الـنـراـشـىـ» لـاـ يـخـتـارـ .
يـقـ كـلـ وزـراءـ «أـحـمدـ ماـهرـ» كـمـاـ هـمـ ، فـرـضـهـمـ الـمـلـكـ ، وـفـرـضـهـمـ ظـرـوفـ الـاغـتـيـالـ ،
وـفـرـضـهـمـ الـأـحـدـاثـ السـيـاسـيـةـ الـقـائـمـةـ فـيـ ذـلـكـ الـحـينـ ... وـعـدـاءـ كـلـ الـأـحـزـابـ الـمـؤـتـلـفـةـ فـيـ الـحـكـمـ
لـلـوـفـدـ .

كـانـتـ الـوزـارةـ مـؤـلـفـةـ مـنـ ١٣ـ وزـيرـ يـمـثـلـونـ ٤ـ أـحـزـابـ سـيـاسـيـةـ .
«الـهـيـةـ السـعـدـيـةـ» أوـ «الـحـزـبـ السـعـدـيـ» الـذـيـ أـصـبـحـ رـئـيسـاـ لـهـ .. وـلـهـ ٤ـ وزـراءـ «مـحـمـودـ

غـالـبـ باـشاـ» وزـيرـ الـأـشـغالـ ، «إـبرـاهـيمـ عـبـدـ الـهـادـىـ» ، وزـيرـ الـصـحـةـ ، «وـعـبدـ الـراـزـقـ الـسـنـهـورـىـ

بك » وزير المعارف « وعبد الحميد بدر بك » وزير الشئون الاجتماعية .
والأحرار الدستوريون وهم ٤ وزراء هم « الشيخ مصطفى عبد الرزاق باشا » وزير الأوقاف .
« وأحمد عبد الغفار باشا » وزير الزراعة ، « وإبراهيم دسوق أباظة » وزير المواصلات ، « وحفيظ
محمد بك » وزير التجارة والصناعة .
والكتلة الوفدية وبعثتها ٤ وزراء هم رئيس الحزب مكرم عبيد باشا وزير المالية ، « وطه
السباعي بك » وزير التموين ، « وراغب حنا بك » وزير الدولة ، « والسيد سليم » وزير الدفاع
الوطني .

والحزب الوطني ورئيسه « حافظ رمضان باشا » وزير العدل .
واحتفظ « النقراشى » لنفسه بوزارتي الداخلية والخارجية بالإضافة إلى رئاسته للوزارة .

° ° °

بعد انتهاء الحرب الأولى ، قامت ثورة ١٩١٩ في مصر تطالب بالاستقلال وجلاء القوات
البريطانية عن مصر .

وفي سنة ١٩٤٥ ، كانت مصر تطلب الاستقلال الكامل ، وجلاء القوات البريطانية ،
وتعديل المعاهدة ، وخروج « اللورد كيلون » الذي حكم مصر منذ عام ١٩٣٤ .
رأى المصريون أنهم قدموا تضحيات كثيرة ساعدت الحلفاء على تحقيق النصر ولذلك فلن
حقهم أن تكون لهم السيادة على أرضهم .

وإذا كان المصريون عام ١٩١٩ ، يكرون قتلامهم الذين أرغموا على المشاركة في الحرب ،
ويمنعون محاصلتهم التي استولى عليها الإنجليز في الحرب الأولى .
فإن المصريين في عام ١٩٤٥ كانوا يريدون عملا لعشرات الآلاف من المصريين ، الذين
يشتغلى بهم القوات البريطانية والأمريكية ، وإصلاح المراقق الذي لم يتم بسبب الحرب . ثم
التوسيع في التعليم ... الخ .

وأراد المصريون الإفراج عن أرصدمتهم المحتجزة في بريطانيا ، فقد حدث خلال سنوات الحرب
أن أخذت بريطانيا من مصر القطن المصري ، وغيره بالجنيه المصري الذي اشتراه بريطانيا من
البنك الأهلي المصري ووضعت المثلث بالعملة الصعبة في لندن .

وتحمّلت هذه الأرصدة الإسترلينية حتى وصلت إلى نحو ٤٠٠ مليون جنيه إسترليني خلال
سنوات الحرب . واحتاجت إليها مصر لشرائها ما تريده . ولكن بريطانيا اتفقت مع مصر على منحها
١٠ ملايين جنيه إسترليني فقط خلال عام ١٩٤٥ ، وبعض القمح والسماد !

تجمعت المشاكل أمام « محمود فهمي التقراشي » بصورة لم تعرفها مصر إلا بعد الحرب العالمية الأولى .

وكانت الحرب العالمية الثانية في مراحلها الأخيرة .

في اجتماع مشترك بين مندوبي وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية وحضور ممثلين للقوات البريطانية .. قدم البريطانيون البيانات التالية رداً على أسئلة الجانب المصري .

١ - يحتمل بعد استسلام ألمانيا بفترة ، تخفيض عدد العاملين المصريين المدنيين في القوات البريطانية تدريجياً .. ومن غير المحتمل أن تجري تخفيضات كبيرة في العمال المهرة قبل انتهاء الحرب مع اليابان .

٢ - السلطات العسكرية غير مستعدة للاحتفاظ بعمال يزيدون عن حاجتها لأسباب اقتصادية ولكنها ستبلغ الحكومة المصرية - قبل فصل العمال - بأطول مدة ممكنة .

٣ - تبحث السلطات البريطانية مسألة منح تعويضات للكتبة ، والمراقبين ، والحرفيين المقصولين ، ولكنها غير مستعدة لأكثر من ذلك .

أعربت السلطات المصرية عن خيبة أملها لأن الجيش البريطاني غير قادر على دفع تعويضات للمجاذب الأعظم من العاملين . إن الكتبة والمراقبين والحرفيين لا يشكلون سوى قسم صغير من مجموع العاملين .

أوضح ممثلو القوات البريطانية وجود صعوبات إدارية كبيرة ، تواجهه دفع تعويضات للعمال غير المهرة ، لأن سجلات الجيش لا توضح مدة الخدمة .

... والجيش لا يتصور إمكانية دفع تعويضات لعمال دون أن يكون وافقاً من مدة عملهم . ولا يتصور إمكانية دفع تعويضات للجميع نظراً للنفقات الكبيرة التي سيتكبدوها . هذه هي المشكلة الأولى العاجلة التي يواجهها « التقراشي » .

• • •

وكانت أمام « التقراشي » مشاكل أخرى من التنظيمات والأحزاب الجديدة : الإنجوان ، والشيوعيون ، ومصر الفتاة ، والبليل الجديد من المصريين ، الذين تعلموا ويتمنون حياة اجتماعية وسياسية أفضل بعد انتهاء الحرب .

والجلو السياسي كله بالغ التعقيد ومراتك القوى متعددة .

• • •

كان « الملك فاروق » يحكم مصر .. جلس على العرش يوم ٦ مايو ١٩٣٦ وعمره ١٧ سنة وفي

عهده وقعت معاهدة ٣٦ مع بريطانيا.

وخلال السنوات التسع الأولى في حكم «فاروق»، تولى رئاسة الوزارة كل من «مصطفى النحاس»، «محمد محمود»، «على ماهر»، «حسن صبرى»، «حسين سري»، ومصطفى النحاس، وأحمد ماهر»؛ أي ٧ رؤساء وزارات فكان متوسط عمر الوزارة أقل من عشرين شهراً. وقد مات من هؤلاء اثنان، هما «حسن صبرى»، وأحمد ماهر»، - داخل مبنى البريد - الأول وهو يلقى خطاب العرش؛ والناثن بعد أن ألقى خطاب الحرب، الذي يطالب فيه بإعلان مصر الحرب على كل من ألمانيا واليابان.

وقد حل الملك مجلس النواب ٣ مرات منذ تولى سلطاته الدستورية. وأقال الملك «مصطفى النحاس باشا» رئيس الوزراء وزعيم حزب الوفد مرتين؛ فالمملكة يتصف بالدستور عندما يريد.

وكان «أحمد حسين باشا» رئيساً للديوان الملكي..

وهو - رجل الملك - يكره الوفد، وعلى صلة طيبة بالإنجليز.

وكان «اللورد كيلون» هو سفير بريطانيا في مصر.

وصل إلى مصر يوم ٧ يناير عام ١٩٣٤ باسم «أنسيير مايلز لامبسون» مندوبياً سامياً للبلاد، وبعد توقيع المعاهدة أصبح سفيراً.

وكان يجب أن يتقلّ «مصر» ليبدأ عهد جديد في العلاقات المصرية البريطانية. ولكن «كيلون» استمر يحكم بعقبة المندوب السامي.

إنه يعارض أية حكومة ليس لها يد في تعينها..

وكان يجمع الأحزاب الائتلافية المشاركة في الحكم برئاسة «أحمد ماهر» هدف واحد هو العداء للوفد ولرئيسه «مصطفى النحاس»؛ ولكن قتل «أحمد ماهر» وظهرت الخلافات داخل الوزارة، وبرزت التضادات والأطاع.

• • •

«الدكتور محمد حسين هيكل باشا» رئيس حزب الأحرار الدستوريين ورئيس مجلس الشيوخ يرى أنه أحق برئاسة الوزارة من «النقراشي».

«هيكل باشا» تولى رئاسة تحرير جريدة «السياسة» الناطقة باسم الحزب فترة طويلة وتولى منصب الوزارة عدة مرات.

وفي وزارة «أحمد ماهر» طلب أن يتولى وزارتين في وقت واحد: المعارف العمومية والشئون

الاجتماعية . وكان يأمل أن يرفض طلبه ، فلا يشترك في الوزارة ؛ ولكن طلبه أجيبي .
وعندما عدل « أحمد ماهر » وزارته بعد إجراء الانتخابات في ٨ يناير ١٩٤٥ ، طلب
« هيكل باشا » أن يترك الوزارة وأن يعين رئيساً لمجلس الشيوخ فأجبي إلى طلبه أيضاً .
« ومكرم عبيد » - ٦٠ سنة - رئيس حزب الكتلة .

كان « مكرم سكريتيراً عاماً للوقد ثم اختلف مع « النحاس » فاستقال « النحاس » وأعاد
تشكيل الوزارة بدون « مكرم » ثم فصله من الوقد عام ١٩٤٢ . وألف « مكرم عبيد » الكتاب
الأسود » يروي فيه فضائح « النحاس » ويوجه إليه وإلى أسرة قرينته اتهامات شني .
ويرى « مكرم عبيد » أن رئاسة « التقراشي » ليست أمرًّا طبيعياً فإنه أى - مكرم - أقدم من
« التقراشي » ومن « أحمد ماهر » في الوفد ، وكان سكريتيراً عاماً للحزب يسيقهها في كل شيء ..
ولم يخف « مكرم عبيد » هذا الشعور أبداً وكان الخصم الأول « للتقراشي » داخل الوزارة .
وكان « حافظ رمضان » رئيس الحزب الوطني ضد مبدأ مفاوضة الإنجليز ..
وعلى حد تعبير « الدكتور محمد حسين هيكل باشا » في مذكراته .. قال :
« .. كانت في الوزارة عوامل داخلية تتضمنها » .

* * *

اجتمع الأقطاب الثلاثة : « روزفلت الرئيس الأمريكي » ، وستالين زعيم روسيا ، وترشيشل
رئيس وزراء بريطانيا » في قصر ليفاديا - القصر الصيفي السابق للقيصر - بمدينة يالطا على شاطئ
القرم يبحثون مستقبل العالم بعد الحرب .
بدأت الاجتماعات يوم ٤ فبراير ١٩٤٥ واستمرت أسبوعاً وصدر قرار بعقد مؤتمر الأمم المتحدة
« لتنظيم العالم » يوم ٢٥ أبريل ١٩٤٥ بمدينة سان فرانسسكو .
ونقرر أن تدعى للجتماع الدول المعاونة في الحرب ، وكذلك الدول التي تعلن الحرب على
ألمانيا في موعد أقصاه أول مارس .
روى « السير الكسندر كادوجان » الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية في مذكراته
ما جرى في تلك الاجتماعات فقال :

« إن الزعماء الثلاثة الكبار لم يكونوا يعرفون بما يتحدثون ويناقشون .
كان « تشرشل » يجهل كل شيء عن تنظيم الأمم المتحدة . ورفض أن يقرأ آية كلمة قدمنت
إليه . ومع ذلك فإن هذا الرجل العجوز السخيف انطلق يتكلم عن المنظمة العالمية .
وما قاله كان على العكس تماماً مما اتفقنا عليه مع الأميركيين ، وقد اضطررت - أى

«كادوجان» - إلى أن أقول للأميركيين - سراً - لا يأخذوا اقتراحات «ترشل» على محمل الجد ، ووعدمهم بإصلاح الأمر.

وكان «ترشل» يخسى (جرادل) كاملة من الشميانيا تخلف صحة الإنسان العادى . وكان إيدن سطحيًا .

وقد اضطررت أن أشرب نحني في صحة الدبلوماسي السوفيت «فيتشسكي» الذي لا تساوى صحته قرشاً واحداً عندي . ولا أحب أن أقول شيئاً طيباً عنه ، ولكن لا يضرني أن أشرب نحني في صحته .

أما الرئيس «روزفلت» فغير مهم ما فعله ، وكان طيب «ترشل» ، «الورد موران» يرى أن «روزفلت» هو أول من سيموت من الزعماء الثلاثة .. وضعف صحته هو سر عدم اهتمامه .

وفي آخر يوم مؤتمر يالتا عرفنا - أى الإنجليز - أن «روزفلت» تفاوض مع «الروس» ، سراً ، في شروط دخولهم الحرب ضد اليابان .

وقد احتاج «إيدن» على ذلك وقال إن روسيا تحارب لحسابها ، وكان يجب على «روزفلت» أن يستشير الصين .

ووقف «إيدن» ضد الاتفاق الذي عقده «روزفلت» ، وستالين » .
وطلب «إيدن» من «ترشل» ، أمام «روزفلت» ، وستالين» ، عدم التوقيع .
وانضمت - أى «كادوجان» - إلى رأي «إيدن» ولكن «ترشل» وقع .. وقال لنا بعد ذلك إنه خاف أن تفقد بريطانيا نفوذها في الشرق الأقصى .
وكان اتفاق يالتا ، ضد اتفاق القاهرة ، الذي عقده «روزفلت» ، وترشل مع «ستالين» في القاهرة في نوفمبر ١٩٤٣ .

وتضمن اتفاق يالتا ، التزام الحلفاء المقدس بالحفاظ على وحدتهم في السلم ، كما سرموا عليها حلال الحرب .

ولكن الاتفاق تضمن اقتطاع مناطق من بولندا وضمها للسوفيت .
وأعلن «ترشل» أنه مadam «ستالين» باقى فإن الصداقة البريطانية مستمرة .
ولكن بعد شهر من الاتفاق ، سافر ٦ من زعماء بولندا إلى موسكو للاتفاق مع السوفيت على إعادة تشكيل الحكومة البولندية .

ولم يسمع أحد عن هؤلاء الزعماء فقد اختفوا في موسكو . وأعلن السوفيت بعد ذلك أنهم اعتقلوا الجميع .

ووضع السوفيت حكومة موالية لهم في رومانيا وأرغموا « الملك مايكيل » على طرد الحكومة الائتلافية .

ورفض « مولوتوف » ، وزير الخارجية السوفيتي بعد ذلك - تفسير الخلفاء لاتفاقيات يالطا .. وأدرك « تشرشل » أن ما جاء في بيان يالطا - عن أوروبا المحررة من النازية ، لن يكون صحيحاً لأن بريطانيا وأمريكا لن يكون لها أى تفوّذ في شرق أوروبا » .

وكان « كادوجان » يكتب رسالة يونية إلى زوجته خلاصتها :
- ياليتك ترين كيف آكل .. أمامي الكافيار صباحاً و... إلخ .

وكان كل شيء بالبطاقات في بريطانيا خلال الحرب ، فقد خسرت بريطانيا بسبب الحرب ٧٠٠ مليون جنيه .

وهذه الصورة تبين ماذا جرى داخل المؤتمرات ..
المتصرون يريدون اقتسام العالم وتوزيع مناطق التفود فيها بينهم .

* * *

كان اتفاق يالطا هاماً بالنسبة لمصر ، التي يحب أن تعلن الحرب على ألمانيا إذا أرادت حضور اجتماعات الأمم المتحدة .

وجاء إلى القاهرة من يالطا « تشرشل ، وايدن » وزير خارجيته « وكادوجان » .
واجتمع « تشرشل » في الفيوم « بالملك فاروق » ، والملك « عبد العزيز آل سعود » .
وزار وزير خارجية بريطانيا « أحمد ماهر باشا » رئيس الوزراء يطلب منه أن تعلن مصر الحرب على ألمانيا .

وزار « كادوجان » ، « وكيلون » ، « أحمد ماهر » نفس الغرض . وأبلغ « ماهر باشا » رئيس ديوان « الملك فاروق » بضرورة إعلان الحرب لثبت مصر شخصيتها ويكون لها - في مؤتمر المصلحة - رأى ودور .

وقال « كادوجان » ، « ماهر باشا » :

- قرار الحرب لم يفرض التزامات عسكرية أو مالية على مصر .. ولن يشترط على مصر إرسال قوات مخارية إلى اليابان .

وقال « كادوجان » :

- إن الاتحاد السوفييتي هو الذي أصر على ضرورة إعلان الحرب .
وخطب « تشرشل » .. بعد ذلك في لندن فأشاد « بجهود مصر وجيشه في الحرب وحاجة الجيش المصري للدولتين .. وقال إننا وجدنا كل التسهيلات من مصر في أثناء الحرب ».
وأضاف :

- إن أحدًا لم يضغط على مصر لإعلان الحرب .

• • •

انختلفت الأحزاب العربية الحاكمة حول قرار إعلان مصر .. (دولة مجازية) .
السعديون يرون أن يعلن مجلس الوزراء القرار .
والدستوريون والكللة يردون بأنه لا بد من عرض الأمر على البرلمان والحصول على موافقته لأن
الحرب ضد اليابان ليست حرّة دفاعية !

والحزب الوطني يرى عدم دخول الحرب على الإطلاق . واستقال « حافظ رمضان » رئيس
الحزب ووزير العدل من الوزارة احتجاجاً ضد اتخاذ هذه الخطوة . ولكن القصر أقنعه بالبقاء
وعدم تقديم الاستقالة كل ذلك وقرار الحرب مسألة شكلية لأن الحرب في شهرها الأخيرة ..
ومصر لن تقاتل إلا على الورق .

• • •

دعى البرلمان إلى الانعقاد وتكلم « الدكتور أحمد ماهر » في مجلس النواب فشرح وجهة نظره .
ولكنه أغتيل عند انتقاله إلى مجلس الشيوخ .. فدفعت مصر ثمن إعلان الحرب .. حياة ماهر
باشا .

وجاء التقراشي ليكون مطالباً باتخاذ قرار إعلان الحرب .. وللتقراشي أغلبية في مجلس النواب
الذى يضم ١٢٥ نائباً من السعديين و٧٤ من الدستوريين - و٢٩ من الكللة - حزب « مكرم
عبيد » - و٧٤ من الحزب الوطني و٢٩ من المستقلين . ويرأس هذا المجلس « حامد جودة » من
الحزب السعدي .

وكان الوفد قد قاطع الانتخابات التي جرت بمجلس النواب يوم ٨ يناير في نفس العام .
أما مجلس الشيوخ فيرأسه « الدكتور محمد حسين هيكل باشا » رئيس حزب الأحرار
الدستوريين والأغلبية فيه أيضاً لأحزاب الحكومة والمستقلين .

• • •

بعد يوم واحد من أداء رئيس الوزراء والوزراء الجبين الدستورية أمام « الملك فاروق » اجتمع

مجلس النواب في جلسة سرية وقرر - يوم ٢٦ فبراير - منع الثقة للحكومة وإعلان الحرب ، على ألمانيا واليابان .. وذلك بأغلبية ٢١٤ ضد اثنين فقط .

أما في مجلس الشيوخ ، الذي انعقد في نفس اليوم ، فكانت الموافقة بأغلبية ٦٥ ومعارضة ٤ .. لأن الوفد مثل تمثلا قويا في هذا المجلس .
والوفد في المعارضة .. غير الوفد في الحكم ..
ساند الوفد الإنجليزي طوال سنوات الحرب .

ولكن الوفد - في المعارضة - يصدر بياناً ضد إعلان الحرب لاكتساب الأنصار .. وللتلويع للسفارة بما يمكن أن يفعله ، الوفد .. وهو في المعارضة .. من إثارة الجماهير ضد بريطانيا !

• • •

هاجمت صحف الوفد قرار مصر ، واتهمت الحكومة بالزج بالبلاد في الحرب ، وطالبت بوجوب موافقة الشعب أولا على إعلان الحرب ، أي بإجراء انتخابات عامة جديدة ، لأن البريان الحالى لا يمثل الأمة .

وفي بيانه اتهم « مصطفى النحاس » الحكومة بالإضرار بمصالح البلاد ، وأنها تعرض مصر لخسائر فادحة من الرجال والأموال . وتلقى على البلاد تبعات وأهوال الحرب التي أمكن تجنبيها والابتعاد عنها .

وكان « نورى السعيد » رئيس الوزراء في العراق ، قد أعلن الحرب على المجر - ألمانيا وإيطاليا واليابان - في يناير ١٩٤٣ ، أما تركيا وسوريا ولبنان ، فأعلنوا الحرب في نفس الفترة التي اتخذت فيها مصر قرارها بهدف واحد ، هو الاشتراك في مؤتمر سان فرانسيسكو وليس إرسال قوات
محاربة ١١

• • *

وإذا كان قرار إعلان الحرب هو المشكلة الأولى التي واجهتها « التقاراشي » فإن « اللورد » ، كان ، وظل ، المشكلة الدائمة والمزمنة .

لقد أنهالت برقيات السفير على لندن ضد « التقاراشي » طوال فترة بقائه في الحكم .

وفي هذه البرقيات قال « كيلرن » :

« إن موت « أحمد ماهر » كان من سوء حظ بريطانيا ومصر أيضا .
ويوجد « التقاراشي » في السلطة ، فإن علاقة مصر ببريطانيا ، تفتقر إلى درجة كافية من

الإخلاص والصراحة من جانب مصر؛ وهو الأمر الذي كان يدعو للتفاؤل طوال فترة رئاسة «أحمد ماهر».

وأدى، ما يتصف به «النقاراشي» من ضيق الأفق، إلى هبوط الثقة المتبادلة.

«أصبحت مصر بالارتكاب في تصريف أمورها الداخلية، وبصفة خاصة عقب موت «أحمد ماهر باشا» بسبب افتقارها لزعامة مؤثرة، ويسبب الانشقاق المستمر داخل صفوف الحكومة.

«إن ما يتميز به «النقاراشي» من حساسية واستبداد، وعقليته المشوشة، سيشكلان عرائق بالغة في تعامله مع زملائه، من غير السعداءين، وفي علاقاته مع الحكومة البريطانية.

« موقف «النقاراشي» من بريطانيا العظمى يفتقر للوضوح والإقدام وسلوك رجل الدولة.. وهي الأمور التي يتميز بها سلفه.

وتصرفاً تميز بالشك، والتزدد، وعدم التجاوب».

ولم يكن هذا هو رأي «كيلرن» وحده.

إن رأى الإنجليز في «النقاراشي» لم يتغير أبداً منذ تركت الأضواء عليه في عهد «سعد زغلول».

كان هذا هو رأى «اللنبي»، ثم «اللورد جورج لويد»، «والسير برمي لورين».

وبعد نقل «كيلرن» من مصر، بقى رأى الإنجليز في «النقاراشي» ثابتاً لا يتبدل.

كتب «السير رونالد كامبل» السفير الذي جاء بعد «كيلرن» يقول في ٥ يونيو ١٩٤٧:

«إن «النقاراشي باشا» ضيق الأفق عنيد، لا يتسم بالمرونة.

ومن الطريف أن تذكر لدى استخدامنا لهذه الأوصاف أنه قد بدأ ناظر مدرسة.

وبالنسبة لأكثر الفترات سواداً في حياته فإنه – على حد قول أصدقائه البريطانيين – ينق بشدة أي اشتراك، على أي مستوى من جانبه، في حادث اغتيال «السردار السير ستالك».

ولكنه يعرف أن البريطانيين يتذكرون أنشطته المطرفة. ويعتبرونه شريكاً في كثير من الاغتيالات. ولا يعفيه الكثير منهم من الاشتراك في جريمة اغتيال «السردار».

ويلى على يقين من أنه، في قراره نفسه، لديه اعتقاد دائم بأننا نذكر هذه الأشياء دائماً ونأخذها عليه. وأن موقفنا تجاهه، والتصرفات التي ثنا بها وهو رئيس للوزارة، نابعة من رغبتنا في معاداته شخصياً.

وقد صرخ لأحد البريطانيين البارزين، بأن وزراء الخارجية البريطانية ووكلاه الوزارة

الداعمين ، يحيطون ويذهبون ولكن وزارة الخارجية تسير دون تغيير « إنهم يحرجون الدوسييات القديمة للرجل الجديد ويسير كل شيء كما كان من قبل ». ولاشك في أن هذا يعكس افتتاحه .

وقد يكون تأثيرها إلى أقصى حد . وذا عملية دموية إذا تصايق منها ، ووجد نفسه عاجزاً عن مواجهتها .

وقد اتخذ موقفاً أكثر اعتدالاً تجاهنا خلال فترة تحدّد عدة سنوات حتى عام ١٩٤٣ ، ولكنه في ذلك العام استعاد موقفه المعادى لبريطانيا . وهو في المفاوضات يفتقر إلى الحشاح . وتعوزه المرونة تماماً .

• • •

كان السير « ونستون تشرشل » رئيس حزب المحافظين رئيساً لوزراء بريطانيا في ذلك الوقت .. « وأشرف إيدن » وزيرًا للخارجية . « وإيدن » يثبت « كيلرن » على طول الخط . رأى « تشرشل » أن بين رئيس وزراء مصر .. الخط الذي ينبغي أن يسير عليه في حكم مصر وهو تنفيذ مطالب بريطانيا .

خطب « تشرشل » في مجلس العموم البريطاني . مطالب « بتطبيق العدالة في مصر على الذين أدينوا في قضايا الاغتيال السياسي » .. يقصد بذلك إعدام قاتل « اللورد مورين » ، وزير الدولة البريطاني المقيم في الشرق الأوسط .

• • •

استقبل اليهود بفرح بالغ نأى تعين « اللورد مورين » وزيراً للمستعمرات في بريطانيا يوم ٤ فبراير ١٩٤١ لأن الوزير السابق لم يحقق لليهود ما يريدون في فلسطين .

وبعد ٢٣ يوماً من تعينه أطلق الوزير الجديد سراح « موشى ديان » ، و٤٢ من عصابات « الماجاناه » الذين اعتقلتهم السلطات البريطانية في فلسطين .

واعتبر « اللورد » بعد ذلك عضواً في اللجنة السادسة التي شكلها « ونستون تشرشل » لبحث السياسة البريطانية في فلسطين ، وتقسيمها إلى دولتين عربية ويهودية .

وفي هذه اللجنة رأى « مورين » ضم صحراء النقب للأردن ، لا لدولة إسرائيل الجديدة .. إذا قامت .

وحدث أن وصلت باخرة قديمة اسمها « ستروما » - حمولتها الرسمية ١٠٠ راكب من مبناء

(الروماني) إلى البحر الأسود ثم استانبول تحمل ٧٦٩ مهاجراً أوربياً يهودياً ، نصفهم والأطفال ، في طريقهم إلى فلسطين .

ـ « المورد موين » إعادة الباحرة إلى البحر الأسود . وقال في الأوراق الرسمية السرية إن ـ يهودياً إلى فلسطين سيكون له تأثير محزن في دول البلقان ، وسيشجع اليهود الآخرين على التزوج إلى فلسطين .

إن هذه العملية شجعها (الجستابو الألماني) ليتسلل عماله النازية إلى فلسطين . ح « موين » على المندوب السامي البريطاني السماح بإدخال الأطفال - الذين نقل عن ١٦ سنة فقط - إلى فلسطين .. بغير آباءهم .

الباخرة « ستروما » ، منه رحلتها من روما في ١٢ ديسمبر ١٩٤١ حتى ٢٤ فبراير في

٤٢ فبراير وعلى بعد ٥ أيام من البوسفور انفجرت ستروما .

ـ أسباب كثيرة لذلك منها أنها اصطدمت بلغم ، ومنها انفجار قبلة كانت في السفينة . أيضًا إن اليهود فجروا الباخرة بمحولها من البشر لإثارة قصيthem .. ولم ينج من الركاب بحث رجل وامرأة ، سمح لها بدخول فلسطين .

وسيحال عصابة المهاجنة اليهودية قد فجروا السفينة « باتريا » في ميناء بحيفا احتجاجًا على ح لركابها وعددتهم ٢٥٠ بدخول فلسطين . وذلك يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٤٠ فرق الجميع .

* * *

ـ « موين » بعد خروجه من الوزارة في مجلس الموردات يوم ٩ يونيو عام ١٩٤٢ ، سجرة اليهودية إلى فلسطين وقال إن مطالب الصهيونيين تثير مشكلتين أساسيتين : ، إنهم يريدون هجرة واسعة إلى بلد مزدحم بالسكان .

ـ إنهم يريدون سيطرة عنصرية للمهاجرين الجدد ، على السكان الأصليين .

ـ « موين » :

ـ اليهود ليسوا عنصراً على الإطلاق .

ـ بالنسبة للعرب فإن اليهود ليسوا أعداء لهم في الثقلة فحسب ، بل أعداء في النم أيضًا .

ـ فلسطين لا تستطيع امتصاص ٣ ملايين من يهودي أوروبا ، لأن مجرة على هذا النطاق تبرأ كارثة خطيرة وحتمًا غير علمي . إن العرب الذين عاشوا في فلسطين ودفنوا أمواتهم ، ٥ جيلاً لن يسلموا طواعية أرضهم أو الحكم الذاتي لليهود .

« لقد أعلن الدكتور « حاييم وايزمان » - الذي أصبح فيما بعد أول رئيس للدولة إسرائيل - أن فلسطين وحدها تستطيع امتصاص اليهود الذين بلا مأوى ولا دولة وشردتهم الحرب . إن معنى ذلك توجيه عطف العالم إلى استشهاد اليهود ، وأن يرفض الصهاينة كل الخطط لاستقرار هؤلاء الصهاينة في أي مكان آخر .. ألمانيا ، بولندا ، أو في أية منطقة غير مزدحمة بالسكان مثل مدغشقر .

« إن الخوف من سيطرة اليهود على السياسية في فلسطين سيفل إذا أمكن استقرارهم في مناطق واسعة . إن اتحاداً للدول العربية الشيالية - سوريا ، لبنان ، الأردن - يمكن أن يساعد في إيجاد هذا الحل .

واعتراض « موين » في مجلس الوزراء البريطاني في مايو ١٩٤٣ - على السماح بهجرة ٤٥٠٠ يهودي بلغاري إلى فلسطين طبقاً لقرار سابق أصدره المجلس بعدم خروج مواطنين من بلاد تشيكو في الحرب ضد بريطانيا .

وعلى ذلك هاجمت الصهيونية « موين » واعتبرته مسؤولاً عن قتل بريطانيا في إنقاذ يهود أوروبا من النازيين الألمان في أثناء الحرب .

وفي الأدب الإسرائيلي الحديث يوصف « موين » بأنه مجرم حرب ومعاد للسامية . واختار « تشرشل » ، « موين » بعد ذلك وزيراً مقيماً لبريطانيا في الشرق الأوسط ومقره القاهرة .

وقررت عصابة (ليبي) الصهيونية الانتقام من بريطانيا لأنها لم تحقق أحلام اليهود في فلسطين ؛ ولذلك فإنها قررت اغتيال « موين » لأنه يمثل الإمبراطورية البريطانية في مصر . وبما أن العصابة لا تستطيع إصابة « تشرشل » في لندن فإن الاختيار الثانى أمامها هو « اللورد موين » في القاهرة .

أوفدت العصابة الاثنين من شباب أعضائها وهما « الياهو حكيم » ، « الياهو تزوري » إلى القاهرة فأطلقوا عليه الرصاص وهو في سيارته أمام باب بيته ظهر يوم ٦ نوفمبر عام ١٩٤٤ ، ومات متأثراً بجراحه حوالي التاسعة مساء .

وإنغير هذا اليوم لأن العالم كان يتبع في إعادة انتخابات « روزفلت » رئيساً لأمريكا . وبينما كانت النتائج تذاع في كل محطات الإذاعة ، كان يتخيلها نياً اغتيال « موين » وقضية الصهيونية

فإن القاتلتين قبض عليهما واعتبرها بالجريمة .

حوكم القاتلتين في مصر وأدليا باعترافات أمام المحكمة . فأخيلت أوراقها إلى المحقق يوم ١٨ يناير

١٩٤٥

و قبل ، وبعد ، صدور الحكم ، تدفقت البرقيات والالتماسات على « أحمد ماهر باشا » رئيس وزراء مصر لتخفيض حكم الإعدام وبالذات من يهود أمريكا . فقد أثارت عملية الاغتيال ردود فعل مؤيدة لها بين الصهاينة وبالذات في مدينة نيويورك . نشرت صحيفة (أنصار) - ومعناها (الإيجابية) « إن اغتيال « لورد موين » لا يشير فيها عاطفة أكثر من الأسف » .

وقال « أندره سومرز » أحد أعضاء الكونجرس عن مدينة نيويورك : « بريطانيا مسؤولة عن موت يهود أوروبا مثل ألمانيا . ووزارة المستعمرات البريطانية شريكه للنازحين المتوجهين » . أبلغ « أحمد ماهر » ، « اللورد كيلرن » أن الحكم بإعدام قته « اللورد موين » ، ثم التصديق عليه وأنه أي « أحمد ماهر » لن يقوم بتحفيض الحكم ، وبقى تحديد موعد التنفيذ . ولم يكن التصديق على الحكم قد أعلن رسميًا . ولذلك أصبح من الضروري أن يراجع « محمود فهمي القراشي » ملف القضية ، ويصدق على الحكم بصفته المحاكم العسكري . وواجه « القراشي » ضغوط اليهود الأمريكيين ، وضغطوا « تشرشل » أيضًا فإن « موين » كان من أعز أصدقائه نعاه بعبارات مؤثرة بعد اغتياله وكتب « تشرشل » إلى « إيدن » يقول له بالنص : « يا « إيدن » ، حذر « كيلرن » ، ستنتأ متاعب إذا لم يعدم الرجال .

وكانت بريطانيا قد هددت باتخاذ خطوات انتقامية من اليهود والعصابات الصهيونية في فلسطين بعد اغتيال « موين » . ولكن بريطانيا لم تتخذ إجراء انتقامياً واحداً في فلسطين . أما في القاهرة فقد صدر حكم الإعدام وبقى التصديق .. ثم التنفيذ .

ومن هنا خطب « تشرشل » في مجلس العموم مشيرًا إلى هذه الجريمة ومطالبًا بعقاب القاتلة .

• • *

رأى « كيلرن » أن يتحقق فائدة من هذه « الصفعه » التي وجهها « تشرشل » إلى رئيس وزراء مصر ..

ومن ناحية أخرى فإن التقاليد التي سار عليها الحكم أن يزور السفير البريطاني رئيس وزراء مصر - بعد تعيينه - وأن يرد رئيس الوزراء الزيارة للسفير في دار السفارة . وكان هدف « كيلرن » أن يلقن ناظر المدرسة الذي أصبح رئيساً للوزراء الدرس الأول في

أسلوب الحكم في مصر في عهد الاحتلال البريطاني .
وهذا (الدرس) هو أن رئيس الوزراء المصري يجب أن يعرف رأي السفير البريطاني في كل
شيء وفي جميع القرارات قبل إصدارها .
ويكون الدرس الأول في اللقاء الأول الذي تم بين « التقراشي ، وكيلون » ، في دار السفارة
بعد ٤ أيام فقط من تولى « التقراشي »

أبرق السفير إلى حكومته يوم ٢٨ فبراير ١٩٤٥ بما جرى ..

قال « كيلون » :

١ - رد رئيس الوزراء زيارتي له هذا الصباح .

٢ - بعد الجماليات المعتادة لفت نظري إلى ما جاء في خطاب رئيس وزراء بريطانيا في البرلمان
ونقلته وكالة روبيتر ، من أن تدابير الأمن في مصر تحتاج إلى مزيد من الحزم والتشديد ، ومن
الضروري تطبيق العدالة على الذين ثبت عليهم جريمة الاغتيال السياسي ، وأن يكون ذلك بشكل
سريع حتى يكونوا عبرة لغيرهم .

٣ - يعتقد دولة « التقراشي باشا » أنه بخصوص اغتيال « اللورد موين » ، تم تطبيق القانون
بكل حزم .

ولو كان « أحمد ماهر باشا » حياً لصدق على حكم المحكمة . وأعرب عن اعتقاده بأننا
نضرب ذلك المثل في فلسطين في ملاحقة الجرمين أو محاسنتهم .

وقال إن كلام رئيس وزراء بريطانيا وضع دولته في موقف بالغ الخطورة . وستكون له آثار سلبية
على الصعيد المحلي بما يعنيه من عدم كفاءة أو حسن إدارة رئيس الوزراء الراحل .

٤ - أتجه بأن من الأفضل لنا أن نتحدث بصرامة ، وأن دولته يوافقني على أن إعدام قاتل
« اللورد موين » تأخر كثيراً ، أيها كانت نصوص القانون التي تجيز التأخير .

... وقعت الجريمة في ٦ نوفمبر من العام الماضي وهو نفس تاريخ ٢٨ فبراير . والقاتلان لم يقبض
عليهما متلبسين . فحسب . بل اعترفا بالجريمة . فلماذا تأخر إعدامها .

وأكيدت له أن هنا هو الشعور السائد في بريطانيا العظمى ، فإن رد الفعل في هذا الموضوع
كان قوياً .

٥ - أجب دولته أنه بات يتوجب عليه ، بوصفه حاكماً عسكرياً ، أن يتخذ من
الإجراءات ما لم يتخذه سلفه لسوء الحظ ، وقال إنه لا يعلم بالضبط كم من الوقت ستستغرقه

قراءة ملف هذا الموضوع . ولكنه لا يجادل في أى على حق من الناحية المنطقية وإن لم أكن على حق من الناحية القانونية البحنة .

تلاحظون مما سبق أن حكمنا على « القراشى » ليس بعيداً عن الصواب . فهو ، بحكم نشأته . مدرس وبحكم طبيعة صعب المراس بالغ الحساسية .

وهو لا يساوى شيئاً بالمقارنة بسلفه « أحمد ماهر » . وإن آسف كثيراً لأن « القراشى » يستهل أعماله كرئيس لوزراء مصر بذلك التحفظ الذى أبداه على كلمات رئيس وزراء بريطانيا . أعدها . أنا وجيهة وصحيحة .

٦ - يراودنى إغراء أن أشدد عليه التكير لكننى أتصور أن التصرف المحكم إزاء « القراشى » هو تجاهل ما يقول » .

° ° °

ويصدق « القراشى » بعد ذلك على حكم الإعدام لقاتل « اللورد موين » . وينفذ الحكم يوم ٢٢ مارس .

ويرغم ذلك بيق من اللقاء الأول موقف « القراشى » الواضح . إنه يلقت نظر السفير إلى أن رئيس وزراء بريطانيا مستر « ونستون تشرشل » بتدخل فى شئون مصر !

الخصوم

تراسم خصوم «النراشى» من رجال الأعمال المصريين المشغلين بالسياسة والمستفيدون منها على باب السفارة البريطانية .
في مقدمتهم رجل الأعمال الشهير «أحمد عبود» عضو الوفد القديم ، وصديق الوفد ، حالياً .

« عبود » كان مديناً للحكومة المصرية بضرائب تقدر بثلاثة ملايين ونصف المليون جنيه عن أرباح شركة بوآخر البوستة الخديوية التي يملكها « عبود » ، وشركة السكر التي يملكها « عبود » أيضاً .

والباشا - عبود - هو أكبر مانع للرشوة في مصر ، ولكنه لم يستطع شراء «النراشى» ، ومن هنا سعي للحقيقة بينه وبين السفير ... اللورد ..

برقية رقم ٥٠

من « اللورد كيلرن »

إلى وزير الخارجية

بتاريخ ٦ مارس ١٩٤٥

- ١ - تحدث « عبود » الذي زارني هذا الصباح يأشهاب شديد عن الموقف السياسي الداخلي .
- ٢ - كان عبود صديقاً خاصاً لرئيس الوزراء المصري الراحل « أحمد ماهر » ، وترتبط به صلات وثيقة على مدى السنوات الماضية ، ويكن له أكبر قدر من الإعجاب

وما لا شك فيه أن أراءه تمثل لصالح رئيس الوزراء الراحل على العكس من رئيس الوزراء المصري الجديد.

ومع ذلك فإن آرائه في «النقاراشي»، تتفق بصورة كبيرة مع ما أخشى أن يكون صحيحاً، وبالتالي فإنها تستحق التسجيل.

٣ - «عبود» يشك تماماً في «النقاراشي».

نشأ «النقاراشي» كناظر مدرسة. وظل يعتقد بعقلية وأساليب ناظر المدرسة. وخلافاً لرئيس الوزراء الراحل، فإن «النقاراشي» يفتقر إلى الليونة والمرونة تماماً، وليس له أتباع أو شعبية في البلاد.

وكان «أحمد ماهر» مصمماً، ورعاياً، في توجيه وخدمة «الملك فاروق»، بما يخدم مصالح البلاد كأحسن ما يكون... ويتمتع بالإيمان والشجاعة اللذين يكتنانه من مواجهة السrai إذا تطلب الأمر ذلك.

ويفتقر «النقاراشي» إلى الصفتين. وقد يتضح أنه من صنائع السrai... وتلك وسليته الوحيدة للاحتفاظ بمنصبه.

وعلى الوزارة الآن من القوضى وانعدام النظام.

لا يكاد «النقاراشي» يتكلم مع وزير مالية «مكرم».

«مكرم» على خلاف مع «عبد الحميد بدوى»، الذي تعرض عليه حالياً وزارة الخارجية، وهو منصب لا يتمتع بهؤهلات حقيقة له (برغم أنه صديق طيب «لuboud»، بل مستشار قانوني له ويتقاضى منه ٢,٠٠٠ جنيه مصرى سنوياً).

٤ - وباختصار فإن «عبود» ينظر للموقف بأكثر الأشكال تشاؤماً. وهو لا يعرف كيف يمكن أن يستمر «النقاراشي ياشا» رئيساً للوزارة.

وأعرب «عبود» عن خشيته من أن تجد «النقاراشي» صعباً وصغيراً، ومشاكساً عند التعامل معه.

٥ - وذلك يتفق (إلى حد كبير) مع تقديرات الأولية.

ولا نستطيع إلا أن نأمل في أن تصلح مسئولية كرسى الرئاسة من نقائص «النقاراشي» الطبيعية.

ولست متفائلاً، وأشك أن أحداً يشعر بالتفاؤل.

٦ - وتحمّل عبد أيضاً عن ميل في السرای لإثارة أمريكا ضدها . وزعم أن لديه أدلة قوية على ذلك .

٧ - أبلغته ألا يقلّ كثيراً فلا أعتقد أن الأمريكيين يمكن أن يميلوا بأدنى شكل - في المستويات العليا على أية حال - لأن يُصلّوا بشيء واضح مثل هذا وهو أننا نتمتع بوقع مسيطر مصر ، ومن المؤكد أننا لا نعترض التخلّي عنه » .

• • *

بعد أسبوعين من رئاسة « النراشى » عين - يوم ٧ مارس - « عبد الحميد بدوى باشا » رجل القانون المصري وزيرًا للخارجية .

وكان « بدوى باشا » - ٥٣ سنة - هو الوزير الوحيد المستقل عن كل الأحزاب السياسية . وقد شغل منصب السكرتير العام مجلس الوزراء المصري ، وعمل مستشاراً ملكياً ، بقلم قضائياً الحكومة ثم رئيساً له ووزيراً للمالية في وزارة « حسين سرى باشا » . وهو رجل قانون متّاز اشتراك في (مؤتمر مونتريه) الذي ألغى الامتيازات الأجنبية . ورأى الإنجليز أن « وطنيه وحججه القانونية تمثل إلى إigham نفسها - بإصرار سخيف - في كل وثيقة رسميّة » .

ورأى « مكرم » في تعيين « بدوى » خدمة له ، لأن « النراشى » يعرف العداء القديم بين « مكرم » و « بدوى » .

• • *

في نفس اليوم الذي زار فيه « عبد دار السفارة » ، توجه إليها أيضًا « أمين عثمان باشا » وزير المالية في عهد الوفد ، ورسول الوفد إلى السفارة ، ورسول السفارة إلى « النحاس » .

والرجل الذي كان وسيطاً بين « النحاس » ، والسفير في أحداث فبراير .

إن « أمين عثمان » يحاول أن يخفّف من أثر بيان الوفد ضد دخول مصر الحرب ، ويتوعد للإنجليز - سراً - محتلّاً عن البيان العلني .

ويكتب « اللورد كيلرن » إلى حكومته يوم ٦ مارس البرقية رقم ٥١ .

١ - تحدّث طويلاً مع « أمين عثمان » مساء اليوم بعد اجتماع لنادي العلمين عقد بالسفارة .

٢ - أبلغني « أمين عثمان » كلمة من « النحاس باشا » ، الذي أخذته على غرة رسالتي المذاعة ، التي رفضت فيها البيان الذي أذاعه الوفد أخيراً .

رد « النحاس » بأنه على حق فيها قاله ، بعد أن رأى الحكومة المصرية تتّفاوض عن التشر

والإعلام فيها يتعلق بالدوانع الكامنة وراء إعلان الحرب .

وقال «النحاس» - بأمانة - إنه لم يكن على علم بأسباب هذا البيان المشروع . وفضلاً عن ذلك لم يكن من اللباقة - في سياق استشارة جميع الرعماء السياسيين الآخرين - استبعاد «النحاس» تماماً وبشكل سافر من تلك المشاورات .

٣ - لم أجده صعوبة في إثبات أنه برغم ما أبدته الحكومة من تفاسير باستبعاد «النحاس» من تلك المشاورات . فإن البيان كان خطأ سياسياً كبيراً بالغ الأذى ، لأنه نشر أفكاراً متطرفة كاذبة وضارة بشكل مباشر بالنسبة لبريطانيا . وهي أفكار - يعلم «النحاس» نفسه - أنها مصلحة بشكل متعدد .

قلت إن المسألة قد تكون على ما يرام بالنسبة للسياسة الداخلية ، لكن البيان تجاوز الحدود المشروعة بخطوات كبيرة » .

ويكون لقاء «أمين عثمان» فرصة يشكو فيها «أمين عثمان» هموم الوفد ومتاعبه مع «النقراشي» .

وقال «اللورد كيلن» في برقته يصف آلام الوفد :

٤ - قال «أمين عثمان» إن استبعاد تمثيل الوفد في مؤتمر سان فرانسيسكو أمر خططي ، والأفضل للحزب لا يتطلب منه الحكومة الاشتراك في المؤتمر ، فالبلاد حافظة بكل الأفكار الحمقاء التي تقول بأن سان فرانسيسكو ، هي الفرصة المئالية للذوب مصر ليعرض على الملايين ما تدعوه مصر من أضرار لحقت بها على أيدينا .

وقال «أمين عثمان» إن التبيعة الحكومية لذلك أن هذه الشكاوى الصغيرة لن تلق آذاناً صاغية وسط تجمع دولي يضع نظاماً عالمياً للسلام .

ومن هنا سيعود تمثيل مصر خالي اليدين ، أمام شعب جاهل ، تمثل بلاده بالنسبة له مركز الكون . شعب لا يرى أبعد من طلعة القرية .

وأضاف أن ذلك يضيف إلى رصيد حزب الوفد . إذلن يستطيع أحد اتهام الوفديين بأنهم ، عملوا على تشجيع الآمال الكاذبة في التفوس كما فعل خصومهم . في حين أن الحكومة تخسر ، حالياً ، بسبب التقصي المتزايد في كفاء الشعب وغذياته .

٥ - يستصرخ «أمين عثمان» شأن «النقراشي» كما يفعل الآخرون .

ولا ينتن أن أمام «النقراشي» فرصة ليصبح أفضل » .

بعد أسبوع بتحرك « على ماهر » .

إنه يجد العذر لزيارة « اللورد كيلرن » - الذي طلب إقالته عام ١٩٤٠ - فهو يريد شكر جناب اللورد على التعزية في وفاة شقيقه رئيس الوزراء الراحل « أحمد ماهر » ! ولكن اللورد شديد الحذر من « على ماهر » .

حرص - السفير - على أن يبين للرأي العام المصري أن « على ماهر » لا يزال بعيداً عن قلب السفاره .

كتب « كيلرن » إلى لندن يوم ١٣ مارس يقول :

- ١ - طلب « على ماهر » أن يقابلني لتقديم شكره على ما أبدته من تعاطف عند وفاة أخيه « أحمد ماهر » رئيس الوزراء السابق .
- ٢ - شعرت أن من غير اللائق ألا أراه ، نظراً للظروف الاجتماعية الخاصة المرتبطة بالوفاة .
- ٣ - جاء « على ماهر » في الصباح ، كان واضحاً أنه متاثر بشكل عميق . وأسهب في الحديث عن مدى الخسارة التي لحقت بيلاده مؤخراً ، بسبب مأساة وفاة شقيقه الراحل .
- ٤ - قال « على ماهر » إنه كان لديه وقت لتفكير مليئاً في الأخطاء الكثيرة التي يعترف بارتكابها .

وقال إنه خلال العزلة التي فرضت عليه عكف على تأليف كتاب عن تجاربه في الحياة سينشر بعد وفاته .

وقال إنه كان ينوي أن يقول شيئاً عن النتائج التي توصل إليها خلال المناقشة التي نمت في البريان مما يروق لنا ، ولكن بسبب اغتيال أخيه ، لم تنسح الفرصة للإدلاء بآرائه في مجلس الشيوخ .

وهو يعتبر أن أهم الأعمال التي ينبغي الإقدام عليها في المستقبل في مصر هي الإصلاح الاجتماعي ، وهو عمل لا يتطلب نشاطاً حزبياً .

وأكيد « على ماهر » أن عامة الناس في مصر يعيشون في ظروف فاسدة تتطلب علاجاً . وأنه نقاش هذا الموضوع مع أخيه الراحل الذي كان يتم بذلك من صمم قلبه .

٥ - وانحتم « على ماهر » حدسيه باقتراح أن يطرح الماضي بعيداً ، وأن يركز على مستقبل الشعب المصري وهو الأهم .

وأعرب عن أمله بأن تكون على استعداد لمقابلته - بعد فترة - لأنه يعرف أن السياسة البريطانية تجري في نفس الخطوط التي يتبناها .

٦ - لكي أقطع الطريق على التكهنات السياسية حوصلت على أن تعرف الصحافة المحلية السبب الذي من أجله استقبلت « على ماهر » .
وفضلا عن الصحافة حرص السفير أيضاً على إبلاغ الملك - عن طريق « أحمد حسنين » -
بطرائف استقباله « لعلى ماهر » !

• • •

ويستمر سياق زعماء مصر... نحو السفارة .
كل يريد أن يكون الوريث « للقراشي » ، أو يضع في حكم البلاد صديقاً له .
كتب « كيلن » إلى لندن :
« طلب « أحمد عبود » مقابلتي بشكل عاجل ، وكان « عبود » قد قابل « أحمد حسنين باشا » ، وأخبره أنه فهم أنني لست معيلاً بالتشكيل الوزاري الجديد .
ويبدو أن « حسنين » من نفس الرأي .
سألني « عبود » عما يقلقني ، وما يمكن أن يكون - عبود - فيه هزة وصل ، بيني وبين « حسنين » ؟ .

١ - شكرت البالباشا على هذا الافتراض ، وقلت بعزم ، إن لا أجد طريقة يجعلني أفيد من هذا العرض .

إن الوضع يتلخص في أن رئيس الوزراء الجديد « محمود فهمي القراشي » يكتسب التجارب في ظل صعوبات ومسؤوليات جسمية ينطوي عليها منصبه .
وإذا كنا نعلم جميعاً أن - القراشي - ليس « أحمد ماهر » . فإن العقل بفرض علينا أن ننتظر ونرى - وأن تتبع بالجهاز مبدأ (من أعلمهم تحكم عليهم) .

• • •

وبحى « حسنين سري باشا » ليهاجم « القراشي أيضاً » . وبعلن استعداده لرئاسة الوزارة .
« وحسنين سري » هو الذي استقال في فبراير ١٩٤٢ ليفسح المجال للذبابات البريطانية لتحاصر قصر عابدين بالذبابات وتفرض « التحااسم » رئيساً للوزارة .
وما دار في الاجتماع ، سجله اللورد بالحرف الواحد في البرقية رقم ٥٨٧ :
١ - تحدثت طويلاً ، هذا الصباح ، مع « حسنين سري باشا » .
وكما تعلمون فإنه ابتعد تماماً عن السياسة وانشغل - بنجاح عظيم - بالأعمال الحرة التي يشترك في بعضها مع « حسن ثابت باشا » .

٢ - ينظر « سرى باشا » إلى الوضع الراهن نظرة متشائمة تماماً ..
إنه يعتبر « القراشى » ضيق الأفق . ولا يصلح أبداً لرئاسة الوزراء .
ويرى « سرى » أن « عبد الحميد بذوى » أسوأ .
أما « مكرم عبيد » فيفوقها سوءاً .

وفضلاً عن ذلك ، فالثلاثة ، يكره كل منهم الآخر كراهية العم .

ولا يتوقع « سرى باشا » أن يطول عمر الحكومة الحاضرة أكثر من ثلاثة شهور .

٣ - بعد ذلك السيل من المجموع ، أعرب « حسين سرى » عن رأيه بأنه لا يمكن لأية حكومة برلمانية أن تدير دفة الأمور في ظل الظروف القائمة ، ومن ثم فهو يدعو إلى تأجيل البرلمان لمدة عام مثلًا .

ويعرف أن ذلك يعني تعطيل الدستور ، ولكنه أهون الشرور .

ويرى سرى أن « الملك فاروق » زادت مساؤه . ويتبع عليه علامات التدهور لا التحسن ،
وجلالله يتلقنا بشكل خداع ، وخاصة فيما يتعلق بقواتها الخارجية .

ويرى سرى أن الوقت سيجيء حين يتquin علينا أن تتدخل حفظاً للنظام . وإجبار الملك على
أن يفعل ما نراه لصلحة الشعب ولصلحتنا .

٤ - علاقات « سرى ، بالملك فاروق » تتسم بكثير من الغرابة ولا تبعث على الرضا .
الملك يعامله على أنه صديق مدة شهر كامل . ثم يأتي الملك ، دون سابق إنذار ، أو سبب
وجيه ، فيعامله - كما يحدث الآن - على أنه عدو . « فالمملكة فاروق » شخص مختلف التوازن .

٥ - أنتي على سلك « سرى باشا » فيبقاء بعيداً عن السياسة والمكائد الخاطئة .
المهم « سرى » بشكل طفيف جداً إلى أنه قد يأتي يوم يتquin فيه عليه شخص ، يحب بلده ،
أن يعود فيسلم زمام الأمور ، حتى ولو لم يكن ذلك على هواه .

٦ - وكما تعرفون فإن « حسين سرى باشا » رجل عاقل مما يجعل لرأيه وزناً أكبر من غيره .
وليس لديه خصومات مباشرة . ومع ذلك لم أجده - أبداً - على هذا القدر من التشاؤم .
وقال سرى إن « القراشى » ملاً الرأى العام بأمال مؤداها أن مصر ستلقى بالمستحيل من
سان فرانسيسكو .

أما « النحاس » فقد رکن إلى المدورة بمكمة . ولا يزال له أتباع كثيرون في البلاد .
وقال « سرى » إنه إذا كانت « للنحاس » وصحيحة خطاؤهم فإن ححومه الودي كانت أفضل
من الوضع الحالى .

وق البرقة - ٨٨ يسجل السفير باق حديث « سرى باشا » .

١ - فاتنى أن أسجل شيئاً آخر قاله « حسين سرى باشا » عدة مرات وشدد عليه خلال محادثنا أمس .

٢ - قال إلى رجلاً أتذكر ما أبلغنى - إيه - حين كان رئيساً للوزارة من أن الملك « فاروق » جان وعند ، يرغى ويزيد إلى حد ما ولكنه ينهار في النهاية .
ويعلق « كيلر » :

« إن « حسين سرى » لم يقل ذلك . ولكن كان واضحًا أنه ينطلق في الحديث عن يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ باعتباره دليلاً على نظريته حول اعتبار الملك (ولد منفوخ) يحتاج إلى من يفرغ منه الماء .
ويود « سرى » إبلاغي بأن موقف اليوم شبيه بموقف الأمس فقد ظل « الملك فاروق » - كعهده - جباناً دائمًا ما أن تكشر له عن أنابينا حتى يرضخ ويلعن جانبه .

٣ - رأيت أن ذلك جدير بإنباته لأنه يتفق مع اعتقادى الشخصى » .

* * *

وأخيرًا .

هذا هو « حسن نشأت باشا » .

إن « حسن نشأت » كان يحكم مصر عام ١٩٢٥ عندما كان رئيساً بالنيابة لديوان « الملك قواط » .

وأصر « اللورد جورج لويد » المندوب السامي البريطاني على إقصاء نشأت وخروجه من مصر فعين وزيرًا مفوضًا في مدريد ، ثم بروكسل وأستقر أخيرًا سفيرًا لمصر في لندن .
وفي لقاء بين « نشأت » ، واللورد هاليفاكس « وزير خارجية بريطانيا في يونيو عام ١٩٤٠ أشار « نشأت » ، تلميحاً إلى أن « على ماهر » ، رئيس الوزارة حيث ، لا يصلح ، وأنه - أى نشأت - أولى منه برئاسة الوزارة .

ويتروج « حسن نشأت » من أجنبية فيضطر - طبقاً للقانون - إلى الاستقالة من منصبه كسفير ، ويعود إلى مصر ويصبح من رجال الأعمال ، ولكنه يتطلع إلى رئاسة الوزارة ، أو رئاسة الديوان الملكي .

ويشير نشأت إلى أنه يمكن للإنجليز ترويض الملك إذا تولى رئاسة الوزارة سياسي قوى أى « نشأت باشا » نفسه .

« برقية رقم ١٦٦ .

من «اللورد كيلر»

- ١ - زارني «حسن نشأت باشا» هذا الصباح لأمر يتصل بطلب الحصول على تأشيرة دخول لزيارة المملكة المتحدة . أبلغته أن أرسلت برقية بهذا الشأن .
- ٢ - وبعد مناقشة الأعمال التي تضمنتها الزيارة (البلاستيك وصناعة التعليم وعلم الماشية) ، تحدث البشا بإسهاب وباقتراح ملخص واضح ، عن الأوضاع المؤسفة هنا . فلن الممكن إن عاجلاً أو آجلاً التخلص من رئيس وزراء أوتوقراطي ؛ ولكن ما الذي يمكن عمله مع ملك شاب أوتوقراطي أطلق العنان لنفسه ؟ «المملكة فاروق» يسيطر على الجيش والبوليس ومصلحة السجون . وأى شخص موال للبريطانيين يصبح ضحية على الفور .
- ٣ - وكما أعرف ، فإن «المملكة فاروق» رفض ، بإصرار ، أن يستقبل «حسن نشأت» منذ عودته .

وظاهرياً ، كان ذلك بسبب زواجه من سيدة إنجلزية .

ولكن للمرة الأولى ، شعر «حسن نشأت» ، بأن من الممكن أن يغضي بشيء لي .
منذ بضعة أعوام أرسل «المملكة فاروق» هدايا من الشيكولاتة لكي يقوم «الميجور سموليت»
الذى أصبح على علاقة حميمة بالملك ليقدمها إلى أميرات البيت المالك البريطانى . وعندما وصل
الميجور إلى لندن طلب رؤية «نشأت باشا» الذى استقبله .

وكان «الميجور سموليت» ، يصر على الذهاب إلى قصر بالمورال الملكى ليقدم المدية شخصياً .
وشرح له «نشأت باشا» السبب في استحالة تحقيق ذلك . وعندئذ قال الميجور «نشأت
باشا» إنه مكلف بنقل تعليمات إليه من «المملكة فاروق» بأن يشرع على الفور في العمل على
إبعادى - أى إبعاد «كيلر» - نتيجة لأحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ .

ورد «نشأت باشا» بالآتي :

- ١ - إنه لا يستطيع بأى حال من الأحوال أن يفعل ذلك بشكل صحيح .
- ٢ - إن التعليمات من صاحب البلالة ملك مصر يجب أن تصل إليه بشكل مباشر .
وفيما بعد زار «نشأت باشا» (ملازم بولندي) وصل من مصر بحمل رسالة ثمانية تتعلق
برغبات «المملكة فاروق» ، وقد نحي سعادته هذه الرسالة أيضاً .
- ٣ - «نشأت باشا» يرجع - إلى حد كبير - المعاملة التي يلقاها حالياً من «المملكة فاروق»
إلى الموقف الذى اتخذه .
- ٤ - وقيل أن يغادر إنجلترا ، طلب منه الحصول على بعض معاطف المطر «للملكة فريدة» .

وعند الوصول إلى مصر ، أرسلت قرينة « نشأت ثلاثة من هذه المعاطف - أحدها حريري والآخرقطني ، والثالث من المطاط كهدية صغيرة » للملكة فريدة ». ولكن « الملك فاروق » أعاد هذه المعاطف .

ومنذ ذلك الحين وبصورة سرية للغاية طلبت الملكة فريدة المعاطف ، وهي الآن في حيازتها . ولكن « الملك فاروق » لا يعلم شيئاً عن ذلك » .

• • •

وهكذا وقف الجميع ضد « التراشى » (الوقد ، وحسين سرى ، وعلى ماهر ، وأحمد عبود ، وحسن نشأت) .
والقائمة طويلة .

إن بعض زعماء ورجال مصر هاجموا الملك مثل « حسين سرى » .
والبعض اكتفى بهاجمه « التراشى » !!

• • •

وينتهز السفير كل فرصة لإثارة « التراشى » ، أو إخضاعه .
تحديث في يونيو عام ١٩٤٢ بعد أن تولى « النحاس » الحكم ، أن طار الثان من الطيارين المصريين وراء الخطوط البريطانية . وهبطا في المناطق التي يحتلها الألمان في الصحراء الغربية .
قتل أحد الضابطين وعاش الآخر وهو « محمد رضوان سالم » .
استجوبته السلطات الألمانية فطلب منها أسلحة للفلاحين ، والعمال المصريين ، لاستعمالها ضد البريطانيين .

وقال إن « فاروق » تركى لا يتم برحاه البلاد بل بالثراه .

وقال إن حزب الوفد يضم مجموعة من السياسيين القدامى . ولا بد من قيام نظام عسكري جديد في مصر .

وتنتهي الحرب ويتعطل الحلفاء ، في المانيا ، « محمد سالم رضوان » وينقلونه إلى مصر .
كتب « اللورد كيلرن » إلى « التراشى » يوم ٢٩ يونيو ١٩٤٥ ، يقول :
« عزيزى رئيس الوزراء .

تشاورت مع حكومى ، بشأن المصريين الذين تعاونوا مع العدو ، خارج مصر في أثناء الحرب .

وقد وصلتني التعلیمات كي أحیط دولتكم علماً بأنهم يرون أن رغبتكم في تلاقي إثارة آية

مشكلة لا يبني أن تكون أساساً لترك هؤلاء الجرمين مطلق السراح .
وعلمت أنه من غير المتحمل في ظل القانون المصري ، أن ترفض المحاكمة نظر هذه القضايا على
أنها خيانة ، باعتبار أنها ارتكبت خارج البلاد ،
ولقد فهمت من رسالة سعادتكم التي لحسن بتصددها أن الحكومة المصرية على استعداد لمحاكمة
ومعاقبة أي من هؤلاء الأشخاص الذين يثبت ارتكابهم بجريمة ضد القانون المصري في غير تعاونهم
مع أطراف أخرى .

وافتراض أن الخيانة يمكن تجربتها بصرف النظر عن المكان الذي ارتكبت فيه ، وعلى هذا
أنقدم إلى الحكومة المصرية في ظل الحالات التي ينطبق عليها ذلك ، فأطلب إجراء محاكمة
ب شأنها . وفي الحالات الأخرى سأقبل ما عرضتموه دولتكم .

وإنفس أن تولى الحكومة المصرية أمر الترتيبات المتعلقة « برضوان سالم » لدى صوله إلى
المطار وأنها - أي الحكومة المصرية - ستكون على استعداد لسداد تكاليف رحلته إلى مصر .
وبيث كيلرن التقارير الواردة من هيئة الأمن العسكرية البريطانية عن الأنشطة التي قام بها
محمد رضوان سالم إلى التقراري قائلاً إن « محمد رضوان سالم » قام بالتجاذ درجة وثيقة من التعاون
مع الأعداء .

وقال :

« ثبت أن الرجل خائن . ومن هنا فإن الخطوات التي تتخذها السلطات المصرية لمعاقبته
سترقها الحكومة البريطانية بكل اهتمام .

ولست بحاجة إلى أن أذكر لدولتكم ما يحكم هذه القضية من مبادئ لها طبيعتها الحيوية .
وأضع تحت أنظار دولتكم وبشكل عاجل ، الموقف العام الذي تتخذه الحكومة البريطانية .
إن « محمد رضوان سالم » ، طيار في سلاح الطيران ، طار إلى الخطوط الألمانية في يوليو سنة
١٩٤٢ .

ويرفق اللورد محضر التحقيق الذي أجرته قوات الحلفاء في ألمانيا مع « محمد رضوان سالم »
وهذه مقتطفات منه :

س : هل لك أن تحكي قصتك منذ بدأت رحلتك الاحتياطية ؟
ج : أنا محمد رضوان سالم القابط رقم ٥ في السرب المقاتل بسلاح الطيران الملكي المصري .
استدعيت لمقابلة شخصية كبيرة معينة . وقال إنه بمراجعة إلى طيار يؤدى عملاً معيناً .

وقال أخترتك لستقل طائرة وتهبط خلف خطوط الأعداء وتحاول إقناعهم أن يوقفوا الغارات على المدينة وأن يعتروا بالمصريين في الصحراء .
أقلعت صباح يوم ٨ يوليو ١٩٤٢ بطاولة حربية من الماظة بالقاهرة . وهبطت خلف الخطوط الألمانية في مرسى مطروح .

قابلت « روميل » ، وكسلرنج ، والجزال مولлер .
أخبرني « كسلرنج » نفسه أنّه لو تأخرت بضعة أيام عن الجhi ، لكانت المقابل قد اجتاحت أماكن أخرى .
وبعد ذلك أخذت أبحث عن المصريين في الصحراء ، ثم بدأ الشك يساورهم نحوه فووضعوني في سجن مدفن في برلين اسمه « الكستدر بلاتز » .

واردوا مني قيادة العرب ضد البريطانيين الذين كان المفتي « الحاج أمين الحسيني » يعمل على ترويضهم في فلسطين . في حين كان يعمل في الوقت نفسه حساب الجستابو .
ووجهت إلى برلين لإعداد الخدمة العربية للحرب ضد البريطانيين ، ومارست التدريب العسكري لهذا الغرض ، كما أرسلت إلى تونس ووضعي في فندق في مدينة الخمامات كان مليئاً ب رجال الجستابو الفرنسيين .

وحين وجدت الأمور تتجدد بغير خطيرًا أعددت تقريرًا إلى « كسلرنج » كتبته فيه « إن هؤلاء الناس - العرب - ليسوا لأنفسهم ليكونوا جنوداً ، وعليكم أن توفروا ما تقدمون من مواد فلا تبددوها فيها لا طائل وراءه . ولا تستطيع مسئولية قيادتهم » .
وعلى ذلك أعادوني إلى ثانياً .

عادت الشكوك تساورهم من جديد فقضيت الفترة كلها موضوعاً تحت رقابة الجستابو .
وبعد أن أقضيت زماناً على هذا الحال تكون لديهم رأي يقول بأنّي أعمل مع عناصر في برلين لها صلات بأجهزة المخابرات البريطانية والمصرية .

وكانتوا يعتقدون أنّي ألعب دوراً في فضف المانيا من خلال معلومات حيوية أقدمها حول الواقع الواجب قصفها .

ومع ذلك لم يكن بوسعي تقديم أدلة محسنة ضدّي ووضعوني في السجن المدفن « الكستدر بلاتز » حيث ظلت تحت رقابة الجستابو . وقد احتجزوني مع اليهود الألمان بهدف الإفادة من المعلومات التي يمكن أن أحصل عليها من خلال آية محادثات أجربها مع زلاع العسكرية ، وثبت أنّ كثيراً من زملائي من رجال الجستابو .

وقد أضرت عن الطعام لمدة خمسة أيام مما أصابني بالمرض فنقلت إلى مستشفى وبقيت هناك .
وعندما بدأ الروس يهددون المدينة نقلوني إلى ميونيخ . وأعطيت ورقة كان على أن أعرضها على
الشرطة كل خمسة أيام .

وفي يوم من أيام العرض هذه كان الأميركيون يقتربون من ميونيخ . ولم أذهب يومها لأنّ
كنت مستعداً بجواز سفر مزيف .

وأعفوني هذه الوثيقة من تقديم نفسى للشرطة بشكل دوري .
وبعد ذلك حين دخل الأميركيون ميونيخ ذهبت إلى الحكومة العسكرية فأرسلوني إلى المعسكر
الذى جئت منه إلى هنا .

• • •

ويحاكم محمد رضوان سالم وتحكم عليه .. ومع ذلك فإن السفير البريطاني لا يقتضي بالحكم
برغم قسوته كما تقول هذه البرقية المرسلة من السفير لوزير خارجية بريطانيا
١ - الضابط المصري محمد رضوان سالم ، من سلاح الطيران الملكي المصري حكم
 أمام محكمة عسكرية مصرية فقضت بتزيل رتبته وتسرىمه من الجيش المصري ويعاقبه بالأشغال
 الشاقة لمدة ١٥ عاماً .

٢ - وقد تشاورت مع قائد منطقة الشرق الأوسط وقائد سلاح الطيران بالشرق الأوسط حول
 ملامة هذا الحكم . وكان من رأى الجزائر « السير برنارد باجيت » أن الحكم ليس شديداً في
 ضوء المعايير البريطانية وإن كان يمكن القول بأن جنسية محمد رضوان سالم فضلاً عن مركز مصر
 القانوني المعتقد في علاقتها مع الحور فترة مغادرته لها تغير من الظروف المخففة للعقوبة .
 ومن هنا فإن الجزائر باجيت يعتبر العقوبة مناسبة .

٣ - ويرى ماريشال الجو السير شارلى مدھيرست أن محمد رضوان سالم لو كان في سلاح الجو
 الملكي البريطاني فإن عقوبته ستكون أقسى بكثير ، ولكن نظراً للوضع الغريب الذي كانت فيه
 القوات المسلحة المصرية ، فترة اختفاء هذا الضابط ، فإن ماريشال الجو « مدھيرست » يعتبر
 الحكم معقولاً .

ثورة السفير

أخذ السفير البريطاني يتحين الفرصة بلا يأس.

أراد أن يحكم البلد عن طريق «النقاراشي»، كما حكمها في السنوات الأخيرة عن طريق «حسين سري»، ومصطفى التحاس، وأحمد ماهر! ولكن «النقاراشي» صعب المراس.

بلغ «اللورد كيلر» إلى «عبد الفتاح عمرو باشا» السفير المصرى في لندن - وكان بالقاهرة - ليكون وسيطاً لدى «النغراشى» يعلميه أسلوب الحكم في مصر : وهو أن رئيس الوزراء يجب أن يحافظ على الصلات الطيبة مع السفير البريطاني في مصر : يستشيره . ويمثل لصالحه ! تطوع «عبد الفتاح عمرو باشا» للقيام بهذه المهمة : ثم زار السفير ليعرض عليه نتائج مساعيه الخميدة ووساطته لدى «النغراشى» .

ويتبين من الكلمات الأولى أن « عمرو » حذر « النفراشي باشا » من شكوك بريطانيا تجاهه .
في خضم رئيس الوزراء

قال «عمرو، لكيرون» :

« وجدت « القراشي » مستعداً تماماً لفكرة أن يطرح - كما فعل « أحمد ماهر » - موضوع المخافقة على الصلة المستمرة بك حتى ضمن وجود الانسجام ... ».

ويقول «كيلن» في برقة لحكومة:

وأخرجت « عمرو باشا » أولى لاحظت ماقام به من جهد طيب . إذ كان « القراشي » حريصاً

كل المحرص ، منذ أيام قليلة ، على الحصول على موافقتي ، قبل تعيين مدير عام جديد للبلدية الإسكندرية .

وكان من سخرية القدر أنــ فــ هذه المسألــة بالذاتــ لمــ يكنــ يــوســعــيــ الموافــقةــ فيــ ضــوــءــ مــارــيــتهــ ،ــ منــ ســعــةــ بــيــةــ يــتــصــفــ بــهــ المرــشــحــ لــ المنــصبــ .ــ فإــيهــ كانــ موــلــيــاــ لــ الــأــمــانــ وــ مــعــادــيــاــ لــ الــبــرــيطــانــ خــلالــ الفــترــاتــ الــخــروــجــةــ الــأــولــىــ مــنــ الــحــربــ .ــ

ــ «ــ وــ بــالــنــســبــةــ لــمــوــضــوــعــاتــ أــخــرــىــ أــلــبــغــتــ «ــ عــمــرــوــ بــاشــاــ »ــ يــمــاــ ســبــقــ أــنــ قــالــتــهــ لــوــزــيــرــ الــخــارــجــيــ بــشــكــلــ غــيرــ رــســيــ تــامــاــ ،ــ حــولــ ضــرــورــةــ إــعادــةــ النــظــرــ فــيــ خــطــاــ اــســتــبعــادــ حــزــبــ الــوــفــدــ مــنــ (ــ مــؤــثــرــ ســانــ فــرــاتــســيــكــوــ)ــ .ــ

ــ وــ إــذــاــ كــانــ ذــلــكــ لــبــســ دــاخــلــ فــيــ الــخــاصــاصــ .ــ فإــيــ أــســتــطــعــ أــنــ أــشــرــ رــأــيــةــ مــشــكــلــةــ تــثــورــ فــيــ الــأــفــقــ .ــ إــذــ يــعــودــ الــوــفــدــ إــلــىــ مــصــرــ فــيــ حــينــ أــنــ حــزــبــ الــوــفــدــ -ــ حــزــبــ الــأــغــلــيــةــ -ــ مــطــلــقــ الــحــرــيــةــ فــيــ الــبــلــدــ .ــ دــوــنــ قــيــدــ ،ــ يــطــلــقــ لــســانــهــ اــنــقــادــاــ وــتــجــرــيــحــاــ .ــ

ــ أــخــبــرــيــ «ــ عــمــرــ بــاشــاــ »ــ أــنــ كــلــاــ مــنــ (ــ الــمــلــكــ فــارــوقــ ،ــ وــحــســنــ)ــ طــلــبــاــ مــنــهــ تــأــجــيلــ ســفــرــهــ إــلــىــ مــقــرــ عــمــلــهــ فــيــ لــندــنــ حــتــىــ نــهاــيــةــ الشــهــرــ .ــ

ــ أــجــبــتــ :ــ إــنــ كــلــاــ بــقــىــ فــتــرــةــ أــطــلــوــلــ لــأــدــاءــ مــهــمــتــهــ الــمــفــيــدــةــ خــلــفــ الــكــواــلــيــســ كــانــ ذــلــكــ أــفــضــلــ .ــ وــتــقــرــيــرــ «ــ عــمــرــ »ــ عــنــ أــجــوــاءــ الســرــايــ وــالــنــقــراــشــيــ »ــ ،ــ مــشــجــعــ بــالــتــأــكــيدــ .ــ لــكــهــ يــشــكــ كــثــيرــاــ فــيــ صــفــاتــ «ــ عــبــدــ الــحــمــيدــ بــدــوــيــ بــاشــاــ »ــ ،ــ وــزــيــرــ الــخــارــجــيــ الــجــدــيدــ الــذــيــ يــعــتــبــهــ ضــيقــ الــأــفــقــ وــغــارــقــاــ فــيــ الــمــســائــلــ الــقــانــوــيــةــ .ــ

ــ أــطــلــعــتــ «ــ عــمــرــ بــاشــاــ »ــ ،ــ لــيــلــيــعــ «ــ الــمــلــكــ فــارــوقــ »ــ ،ــ عــلــ الــاتــجــاهــ الــعــامــ الــذــيــ ســادــ لــقــالــ مــعــ «ــ عــلــ مــاــهــرــ »ــ .ــ

ــ قــالــ «ــ عــمــرــ بــاشــاــ »ــ إــنــ «ــ الــمــلــكــ فــارــوقــ »ــ يــنــظــرــ بــكــلــ تــقــدــيرــ إــلــىــ دــوــافــعــ الــمــوــافــقــةــ عــلــ روــيــةــ «ــ عــلــ مــاــهــرــ »ــ .ــ ثــمــ قــالــ «ــ عــمــرــ »ــ :ــ «ــ هــنــاكــ ثــلــاثــةــ رــجــالــ خــطــرــينــ فــيــ مــصــرــ وــهــمــ :ــ عــلــ مــاــهــرــ ،ــ وــالــشــيخــ مــصــطــقــ الــمــرــاغــيــ ،ــ وــحــســنــ نــشــأــتــ بــاشــاــ »ــ .ــ

ــ * ~ * ~

ــ بــدــلاــ مــنــ الــلــفــ وــالــدــورــانــ رــأــيــ «ــ بــنــكــنــيــ تــالــكــ »ــ الــوــزــيــرـ~ الــأــمــرـ~يـ~كـ~يـ~ الـ~م~ـو~ـض~ـو~ـسـ~ـ أـ~ـ يـ~ـعـ~ـلـ~ـ كـ~ـلـ~ـ

ــ الــإــشــاعــاتــ إــلــىــ (ــ الــنــقــراــشــيــ)ــ ،ــ وــإــلــىــ (ــ الــلــوــرــدــ كــيــلــرــ)ــ ،ــ وــإــلــىــ (ــ أــحــمــدــ حــســنــ بــاشــاــ)ــ ،ــ يــعــرــفــ

ــ الــجــوــابــ الصــحــيــعــ مــنــ وــجــهــ نــظــرــ كــلــ الــخــصــومــ ،ــ أوــ كــلــ الــأــطــرافــ .ــ

ــ قــالــ (ــ تــالــكــ ،ــ الــنــقــراــشــيــ)ــ ،ــ كــمــاــ تــقــولــ بــرــقــيــهــ لــوــشــنــطــنــ :

- جرى أخيراً كلاماً كثيرة حول النشاط المزعوم «على ماهر باشا» وهناك إشاعات بأنه قد يتوى أحد هذين المتصلين.

(أ) أن يخلف «حسنين باشا» كرئيس للديوان الملكي.

أو

(ب) يسعى إلى تشكيل حكومة.

رد «القراشي باشا» بصورة حازمة:

- مسألة أن يصبح «على ماهر» رئيساً للديوان غير واردة. ولا أعتقد أن «على ماهر» نسيط سياسياً، بصورة خاصة.

وأضاف القراشي:

- إن «على ماهر»، بوصفه من رجال الدولة القدامى، يتمتع بشهرة واسعة. وأى شيء يقوله، أو يقوم به، يجري تضخيمه.

وزيادة على ذلك فإن له أعداء سواه في القصر أو الحكومة.

وبوصفه مستقلًا فمن الصعب عليه، من الناحية السياسية، أن يعتمد أو يسعى للحصول على تأييد أى حزب، أو عدة أحزاب في الحكومة الائتلافية الحالية.

• • •

ولكن «اللورد كيلرن» السفير البريطاني لا يشارك «القراشي باشا» آرائه.

قال «لثالث»:

- إن «على ماهر» يتأنى سياسياً. ويظل برأسه القبيح من جديد.

أما «حسنين باشا» فنفي «لثالث» وقال:

- «على ماهر» في حالة كثيبة ومرضية ثقريباً.

• • •

وتتعدد اللقاءات بين السفiriين.

«اللورد كيلرن» سفير بريطاني في القاهرة.

(وعبد الفتاح عمرو) سفير مصر في لندن. وسفير «كيلرن» لدى القراشي!

وصف «اللورد كيلرن» في برفقة رفته رقم ٩٣ لقاءً مع «عمرو».

قال:

١ - «زارني عبد الفتاح عمرو باشا» لوديعي، ويعتقد أن يوسعه تأجيل سفره يوماً أو

يوبين ، في انتظار وصول « اللورد سويتون » وزير الطيران المدني البريطاني إلى القاهرة ، إذ سئل
مسائل خاصة بالطيران المدني . تجوى مناقشتها مع « محمود فهمي التقراشى باشا » .
٢ - أخبرته عن آخر المضائقات بالنسبة لتأخير اتفاق الطيران الخاص بنا . سمعت أن
« التقراشى باشا » ينوى تأجيل إقرار الاتفاق لما بعد (مؤتمر سان فرانسيسكو) .
قلت إنني فوجئت بهذا التأجيل - وهو أمر تقصه الحكمة والعقل - وليس في مصلحة مصر أو
بريطانيا .

وقلت إنني أعلم أن المقترنات الأمريكية وصلت لنواها إلى الحكومة المصرية متضمنة مسائل
أخرى مثل - الحرية الخامسة - في الجو .

وكتب إلى « التقراشى باشا » ، أحذره من التسريع في إقرار المقترنات الأمريكية . حتى تستぬح
له فرصة إجراء مناقشة وافية للموضوع مع « اللورد سويتون » . وهذا شئ يدعو إلى الأسف
البالغ فإن « التقراشى » - عبد الحميد بدوى - وزير الخارجية - قررا فيما بينهما مزيداً من تأجيل
الموضوع .

وقلت « لعمرو » :

- شأن بين هؤلاء وبين « أحمد ماهر » الذى بارك الاتفاق بكل قواه .
قال لي « عمرو باشا » إنه متفق تماماً معى .

وقال إنه سيعاود حث الملك على الوقوف ضد هذا التأجيل ، باعتباره أمراً تقصه الحكمة .

٣ - قلت « لعمرو باشا » :

- سأتكلم معك بصرامة كاملة .

أعربت له عما يساورني من فلق على الوضع الراهن . وأخشى أن مصر التي اجتازت الحرب
دون أضرار تذكر ، احتفظت بالمقاييس ، وتجنبت المغامرة ، وانتفخت أوداجها ، وتصورت نفسها
في موقف القدرة على أن تحمى علينا ماتريد .

وقلت له : إن مصر تصرف حالياً بطريقة مستطردنا إلى التدخل لتصحيح مسار الأمور ،
عاجلاً أو آجلاً .

وقلت له : إن المصريين لن يكونوا معتمدين على العون الأمريكي .
لقد واجهنا منذ وفاة « أحمد ماهر » رجلاً معقداً ، إن « التقراشى » لا يرجى منه أى خير .
وقلت : قد تكون « للنحاس باشا » وجماعته عبوديم الواضحة . بل وربما يكونون قد تحطموا
حدودهم ولكننى قادر على مناقشة الأمر بطريقه غير رسمية .

وكنت عادة أصل مع «النحاس» وجماعته ، إلى أساس متفق عليه . لتسوية الأمور ، قبل إثارتها بطريقة رسمية .

وقلت «عمرو ياشا» مع «النحاس» وجماعته كان يوسعنا دائمًا - بشكل عملى - أن نحصل على ما يريد في كثير الأمور ، وصغيرها . بما فيه رضا وقناعة الطرفين .

أما في أيامنا هذه ، فما أبعد البلاة عن البارحة ، سواء من ناحية الوضع أو الجو العام . أصبح من الضروري بذل كل محاولة لتحسين الأرضية قبل السير عليها . أو إبراسه أى قاعدة لاتفاق مبدئي .

إن مثل هذه المحاولة من شأنها أن تعطى للشلة الموجودة حالياً - أي «القراشي» وحكومته - الفرصة لاتخاذ مواقف وطنية والتشدد في الشكليات التي لا تتجددى .

وبهذا يسدون الطريق على إمكانية التوصل بحل مسألة من المسائل وتسويتها عن طريق التراضى خارج الإطار الرسمى .

إن كل ما يواجهنا حالياً من مشكلات - ومضايقات أمور هيئة ، إذا قيست بالمشكلات المقادمة ، مثل قضية الدفاع عن مصر ومستقبل قناة السويس .

مع «النحاس» ، كان يوسعى الاطمئنان إلى التوصل لاتفاق .

مع «أحمد ماهر» ، كنت واثقاً أن الأمور ستعالج بنظرية رجل دولة مختلف .

أما مع «القراشي» ، وبجانبه «عبد الحميد بدوى» ، فليس لدى مأركن إليه ، لسوء الحظ لاسعة الأفق ، ولا بعد النظر السياسي . وإنما - بدلًا عن ذلك - النظرة القانونية الضيقة ، والنبع الوطنى التعصب . وباختصار فإن المنظر العام يندر بالخطر .

ـ كان «عمرو ياشا» على دراية بالعوامل التي ذكرتها ، وكان يشعر أن الجانب المضى الوحيد في الصورة يمكن في استمرار الملك ، في لعب دور مساعد ، في هذا المجال . وأبدى «عمرو» - دون أن يفتح نفسه - شعوره بتجاهده في إبقاء الملك سائراً على الطريق المستقيم بالنسبة لبريطانيا .

وافتقت على ذلك .

وأعرب الملك عن أمله في أن يواصل «عمرو» دوره من لندن بمساعدة وزارة الخارجية . وقال إنه تم ترتيب أمر الاتصال المستمر بالملك فاروق «من خلال الحقيقة الدبلوماسية لوزارة الخارجية» .

وبهذه الطريقة . . ومع مداومة الاتصال بمستر «سكريفيفر» رئيس القسم المصرى بوزارة

الخارجية ، فإن « عمرو » يرجو أن يتذكر من خلال تقاريره المباشرة إلى « الملك فاروق » ، أن يبق الملك على علم بكل ما يدور .. ذلك أن هناك شيئاً مزكداً ، وهو أن « عبد الحميد بدوى ساشا » لم يضع الملك في الصورة أبداً . ولا يرجع إليه إلا إذا اضطربت الأحوال . وأكيدت له أن « سكريپنر » سيكون على استعداد لاستقباله دائمًا وإحاطته بفكرة عن الأحداث المحلية التي تجري بالقاهرة » .

* * *

بدأت الولايات المتحدة تطل على منطقة الشرق الأوسط تحاول وراثة النفوذ البريطاني أو ماتبقى منه .

وغضبت بريطانيا من ذلك وأصرت على أن تخادر مصر بين الولايات المتحدة وبريطانيا . وكان القرار الصائب أو القرار الملزم - في رأي السفارة البريطانية - هو أن تخادر مصر ، وإلى الأبد ، التبعية لبريطانيا .

وظهر التنافس بين لندن وواشنطن على الشرق الأوسط في مشروع اتفاقية الطيران المدني . أصر الفراشى على أن يستفيد من التطور الضخم الذى جاءت به الاتفاقيات والمعاهدات الدولية الجديدة . في حين أصرت بريطانيا على أن تكون لها السيادة في الأجواء المصرية حتى الطيران资料 .

وببدأ « الفراشى » ، ومعه « عبد الحميد بدوى » وزير الخارجية ، يضعان العراقيل في طريق الاتفاقية المصرية البريطانية .

اقتصرت بريطانيا إنشاء شركة طيران مدنية تشارك في تأسيسها شركة الخطوط الجوية البريطانية وبين مصر ، تقوم بتسيير رحلات منتظمة إلى العاصمة التي لا تصل إليها شركة مصر للطيران ، وجاء « اللورد فيليب سوينتون » وزير الطيران المدني البريطاني إلى القاهرة .. ولكن « الفراشى » لم يمتنع ولم يخنسع ، وأرجأ بحث الموضوع إلى ما بعد تعديل المعاهدة . وكان واضحاً منذ البداية أن « الفراشى » لن يربح المعركة .. بل أنه لم يكتسب إلا في وزارته الأولى ولا في وزارته الثانية .

* * *

ويشكو السفير البريطاني هومه إلى « السير رونالد كامبل » الوكيل المساعد لوزارة الخارجية البريطانية فيبعث إليه برسالة خاصة يقول فيها :

« سقط الوقديون في الخريف الماضي بسبب حماقتهم بالدرجة الأولى . ومن حسن الحظ نـ

أكمن موجوداً بالقاهرة ، مما جعل من السهل تخفي أي هوة بيننا وبين الوفد .
ويمتنع - كما لاشك قرأت بين سطور تقارير الرسمية - إنه بفضل ذلك ، جنح الوفد إلى
السكون ، وتصرف بمصافحة غير معتادة ، (بالنسبة للوفد) خلال الشهر الذي مضى منذ إبعاده
عن الحكم .

ولعل الخطأ الوحيد - وهو خطأ فادح - البيان الذي أصدروه ضد دخول مصر الحرب .
وهذا البيان أُغنى من الغباء نفسه .
وخلف الوفديين «أحمد ماهر». وهو الرجل الوحيد الذي عقد عليه الأمل في تحقيق نجاح
معقول .

وضعه القصر في منصبه وكان يعلم مقدماً أن يعتمد على التأييد الكامل من جانب
السفارة البريطانية .

وهكذا سارت الأمور . وبدا أن الأحوال في طريقها إلى الاستقرار لفترة قادمة .
أبلغت «الملك فاروق» بكل طريقة ودية أن جلالته ، حين أتى «بأحمد ماهر» واتلافه ،
أدخل نفسه مباشرة في الساحة السياسية وهو أمر له - أيضاً - مسئوليته الجسيمة .
وقلت إننا جميعاً نرجو أن تتحقق هذه الخطوة نجاحاً وأن السفارة ستكون مستعدة بالتأكيد -
من وراء الكواليس - لمد يد المساعدة إلى رئيس الوزراء الجديد .
ويبدت الأمور في صورة معقولة .

أحرزت علاقتي «بأحمد ماهر» تقدماً رائعاً . وكنا متباينين ، نلتقي ونتبادل الأفكار ، وسط
أفضل ما يمكن من الأحوال ، وفي ظل جو من التفاهم والتعاون المتبادل .
ثم جاء الاغتيال . وتمت تصفيته «أحمد ماهر» العزيز الصغير الذي ارتبطت به بصدق على
امتداد سنوات . وخلفه - كما كان - مقرراً شخص ذو طبيعة مختلفة تمام الاختلاف هو
«النراشي» .

كان موت «أحمد ماهر» مأساة حقيقة إذ كان - في رأيي - الرجل الوحيد القادر على حكم
البلاد في هذه الفترة التي تبدو فترة انتقال .. على أفضل تقدير .
وهكذا وجدنا أنفسنا مع «محمود فهمي النراشي» وجهًا لوجه ، وقد احتل مقعد «أحمد
 Maher». « والنراشي» مجرد مدرس ضيق الأفق غبي يثير الاستفزاز بعناده ؛ إنه رجل بلا رؤية
ولا كفاءة سياسية أبداً .

وإذا كان النراشي ليس شيئاً فيها يتعلق بالالتزامات الأساسية للروابط الإنجليزية المصرية ،

فإنه عديم الكفاءة بالمرة بالنسبة لمنصب رئيس الوزراء، الذي رفع إليه فجأة وبالمصادفة، وأكثر من هذا ليس لدى «الغراشى» من يوبيده في البلاد لأنه ظل يلعب دور التابع الخزى خلف «أحمد ماهر» لأكثر وأقل.

أضف إلى ذلك وزير المالية «مكرم عبيد»، الذي لا يكاد يجادب رئيس الوزراء الحديث. والمعروف أن «مكرم عبيد» يعمل لحسابه انطلاقاً من شيء واحد، هو روح الانقسام من النحاس ياشا «والوفديين».

وقد صمم «مكرم عبيد» على أن يرى الوفديين بأى وسيلة سجناء خلف القضبان. وكأنما لم تكن هذه الخططة كافية، أضيف إليها «عبد الحميد بدوى وزير الخارجية» - وسوف تذكر «بدوى» بالتأكيد منذ أيام خدمتك السابقة في مصر - وهو رجل قانون على درجة فائقة من الكفاءة والعلم. ولكنه وطئ متطرف، وهو سريص، بطيء، وتعليمه، على أن يدقق النظر في كل فصله. وكل نقطة. وبشك أن وراء كل سطر فخاً منصوباً. ومن هنا فالرجل آخر من يصلح مسئولاً عن الشؤون الخارجية.

واستطاعت - لحسن الحظ - إيقاع صغيرنا «عبد الفتاح عمرو» - في مصر لأن «أحمد حسنين» يعاني ضحطاً صحيحاً فأصبح لا يعتمد عليه.

وقد أزوى عن مسرح الأحداث في توفير الماضي وهو عليل جداً، وفي رأي أنه يمكن أن يصاب بالمرض في أي وقت.

واقتراح «حسنين» - على - استخدام «عبد الفتاح عمرو» كوسيلة اتصال سليمة إلى الملك الذي يميل إليه بالذات بسبب إجادته لعبه (الأسكواش) . في أثناء فترة تقاهة «أحمد حسنين» .

وهذا الترتيب هدية من السماء. وحينما استخدمناه - بانتظام - تمكنا من التغلب على مصاعب كثيرة ما كانت تهدى حلولاً لو اتصلنا بشأنها مع الحكومة مباشرة. وتبقى الحقيقة الواضحة وهي أن هذه التركيبة الوزارية من صنع القصر. ومن ثم فهو تأثر بأمره .

بعد ذلك - ولوسو الحظ - عاد الشك - ذلك الوباء المتفشي في المصريين يتتصر مرة أخرى . أصبح «أحمد حسنين» يشعر بالغيرة من «عمرو» الذي تباه - من قبل - للدرجة أن «حسنين» تصور ، والغيرة تأكل قلبه ، أن «عمرو» يعمل على خلمه كمستشار دائم «للملك فاروق» .

وعلى هذا تعين على « عمرو » أن يسافر إلى مقر منصبه في لندن برغم أن « حسين » لا يزال مريضاً غير قادر على العمل ويدون وجود « عمرو » . ودوره كمبعوث أولسان حال لنا مع « الملك فاروق » . تحركت لأواجهه « التراشى » ومعه « عبد الحميد بدوى » ذلك الرجل الصعب المنصب . لقد رأينا « التراشى » على حقيقته . وكم كانت سروراً عندما قدر لأحد الوزراء البريطانيين – سوبتون وزير الطيران – أن يرى ذلك بنفسه عندما كان الوزير في القاهرة وأخذته لمناقشة مسائل الطيران مع « التراشى » .

لقد عامله « سوبتون » بطريقة متعالية ، أرجو أن تحدث فعلها في هذه القضية بالذات ، ولكنني الآن بقصد توضيح أن هذا هو « التراشى » . وهذه هي جائحة التي يتعرض علينا أن نتعامل معها في أمور كبيرة حقاً ، مثل الدفاع عن مصر وتعديل المعاهدة وقناة السويس وما إليها . إنها نظرة مشائكة حقاً ، وليس هناك ما يربط المهمة أكثر منها .

وعلينا أن نستمر بأفضل الطرق الممكنة .

وأظن أن السجلات تبين أن هذا هو أسلوب المعاد . لكنك لا تستطيع أن تصنع من الحليب باروداً ، بل إن الحليب الذي نتعامل فيه أقل دسمًا من الحليب المعاد . وقد فكرت بطبيعة الحال فيما عسى أن تكون البديل . ولست أعرف لهذا السؤال أية إجابة . بل الأفضل لا أحاول الإجابة في الوقت الحاضر .

وف رأي أن الوفد يكسب الآن أرضًا جديدة ،

ولم يتبدل اعتقادى أبداً بأنهم كانوا يتمتعون دواماً بستين في المائة على الأقل من تأييد سكان البلاد ، وسيواصلون مسيرتهم ، تلك ، على حساب ما يفقده الفريق الحالى من تأييد . وقد ترك الوفديون ، لحسن حظهم ، دون الانضمام إلى (وفد سان فرانسيسكو) ، مما يعطيهم كامل الحرية في اتخاذ أي إجراء يشذ عن ذلك . وكذلك فإن الغذاء والكساء ومواد التوربين الآن أقل من أي وقت مضى .

إن الوفد يبدو وكأنه على مايرام حالياً .

والأفضل لهم أن يبقوا بعيداً عن الحكم فترة من الزمن . فهذا من شأنه أن يؤدى إلى اهدافه . ويعطى لهم وقتاً يراجعون فيه ما ارتكبواه من جحافل وأخطاء . حينما كانوا في الحكم ومن هنا فمن الأفضل لهم - في تقديرى - لا يعودوا إلى الحكم إلا بعد فترة من الزمن .

والآن أين يقف « الملك فاروق » من هذا كله ؟

هذا سؤال آخر كبير وإن كنت أعتقد أنه في موقف أسوأ مما يتصوره . حزب الأغلبية بعيد عن الحكم . والملك جعل من الوفديين خصومه الألداء . والبلاد معرضة تماماً لحدوث قلاقل اجتماعية خطيرة في أي وقت . وقد تعاوَن الملك في إهانة متآمر خطير مثل « حسن نشأت » فجعله عدواً للدودي .

وعلاقته سيئة مع قريبه « حسين سري » . وعلاقته « بالملكة » موضع الثرثرة ورواية الفضائح . إن هذه ليست صورة وردية .

لكن هناك جانباً آخر لهذه الصورة ، فالملك عمل منذ جرعة الدواء القوية في العلمين - أي منذ « فبراير وانتصار العلمين - على إضعافه تغيير كبير على شخصه .

وهو الآن تجسيد حق للمودة خصوصاً مع جنودنا البسطاء . وبالذات رجال الطيران . وأدى ذلك إلى ميزة كبيرة بالنسبة لنا تتمثل في استعداد الملك - بمحض من عبد الفتاح عمرو - بأن يلزم أفراد الحكومة الحالية حدودهم حينما طلبنا ، وأن يجهزهم على أن يلعبوا اللعبة حسابنا .

ولكن قناة الاتصال هذه نضبت بعد رحيل « عمرو ». وليس هناك من يصل محله إلا « حسين » العليل الذي يلازم الفراش .

علاوة على كل ما سبق فإن رجالاً صغاراً - مثل « التقراشي » ، ويدوى » - لن يتورعوا عن استخدام أي اتجاه أمريكي لتخریب المركز السياسي الممتاز الذي تتمتع به في مصر . وربما لا يمكن الخطرف الأحوال الراهنة ، فإلى أمars دور المراقب الصديق الذي يتظر تطور الأحداث .

ولكن إذا عادت مصر ، لتصبح مركزاً أو قاعدة استراتيجية حيوية - حينها يتسع مجدهوننا العربي ، في الشرق الأقصى ويزداد ; فربما لا يظل سليماً الاستمرار في المخاذ موقف المراقب الصديق الخايد إزاء السياسة الداخلية في مصر .

ومن هنا أعود فأقول إن علينا (أن نتظر ونرى) .

إن آسف على هذا الخلط الطويل ولكنني أشعر ألا خسر من إطلاعك على الطريقة التي أفكـر
بها . . .

* * *

وردد « كيلرن » شكوكه . . . ولكن إلى « أحمد حسين باشا » هذه المرة :
قالت برقيته إلى وزارة الخارجية في لندن :

- ١ - تحدثت طويلاً مع «أحمد حسين باشا» رئيس الديوان الملكي مساء أمس.
- ٢ - ينظر «حسين» بكتير من الاستهانة إلى رئيس الوزراء الحالى - «محمد فهمي التراشى» - لكنه يأمل أن يتعلم «التراشى» ، ويصبح أقل (حبلىة) وأكثر اتساعاً في أفقه . أخبرت «حسين» عن تجربتنا الشديدة لهم بخصوص اتفاق الطيران بين مصر وبريطانيا .
- ٣ - قال «حسين باشا» إنه يستبد به غم شديد بسبب عدم وجود رجال ، يتمتعون بأى قدر من الكفاءة السياسية . وليس هناك دم جديده يدرو في الأفق . وقال «حسين» إنه لم يعرف قط مثل هذا النقص الشديد في الرجال ، ومن هنا فإن وفاة أحمد ماهر تعد بمثابة كارثة قومية من الدرجة الأولى .
- ٤ - أخبرته أن أشد ما يقلقني في الوقت الحاضر ، أنه سيعين على التعامل مع رئيس الوزراء الحالى لمعالجة مشاكل كبيرة قادمة على الطريق ، مثل : تعديل المعاهدة ، وقناة السويس . . . الخ .
- ومثل هذه المشاكل كان يمكن الاتفاق عليها مقدماً مع «أحمد ماهر» ، ويشكل مفيد ، ووفق أنس معقوله .
- أما أن أحاول ذلك مع «التراشى» - الذى يسانده «عبد الحميد بدوى» - فلا يدو أمل في الحل بقدر احتمال إثارة رد فعل متخصص قومى محکوم بتصنيع قانونية جامدة . ولو كان هناك فريق وزارى أكثر استنارة ، لكان المرء يجدوه الأمل في ملقة ثلاثة الصيحة البيغانية القائلة (بتعديل المعاهدة) . بل ينطلق الجميع وفق منهج واقعى ، مستمد من الحقائق الثابتة الموجودة ، لمعالجة مشاكل مثل الدفاع الفعال عن مصر ضد العدوان الجوى ، مثلاً ، في صورة تجارب الحرب .
- ٥ - وافق حسين - معى - على أن الحكومة الحالية ينقصها القدر اللازم من الرؤية والقدرة السياسية . وأعرب «أحمد حسين» عن اعتقاده أن أفضل نهج هو الحكم السليم على الأمور . فالمطلوب - في رأيه - جعل الرأى العام المصرى يفهم أنك حين تكون «موالياً لبريطانيا» فعنده ويفصدق إنك (موال مصر) .
- وقال «حسين» إن ذلك يتطلب تدبرًا عميقاً ، وعملًا إعلاميًّا سليماً ، الأمر الذي نأمل أن نقوم به في المستقبل .
- ٦ - ثم طرح موضوع «على ماهر» . وكان رأى «حسين» قاطعاً ، في أنه لا ينبغي أن تعود

فتش أبداً في «على ماهر» ، وفضلاً عن ذلك « فعل ماهر » رجل مريض . وأضاف «حسنين» ، إن «على ماهر» يتآمر حالياً مع «حسن ثابت» ، حول إيجاد حركة شباب جديدة بالإضافة إلى محاولة إلغاء نظام الأحزاب .
واعتبر حسنين أن عودة الصحف الأمريكي « جوزيف لين » أمر مؤسف للغاية لأن «لين» سعيد بصلته «على ماهر» وسيبدأ في الدعاية التي تخصم من شأن «على ماهر» ، سواء على صعيد السياسة المحلية ، أو في الصحافة الأمريكية .

٧ - أعرب «حسنين باشا» ، عن عميق قلقه بالنسبة للأحوال الاجتماعية وما يتردد عن وجود أنشطة روسية في مصر . وهي أنشطة تحمل بشكل متقن . وتحقق بالفعل قدرًا من الفعالية . وقال إنه يتمنى بحدوث اضطراب داخلي شديد سيكون من الصعب مواجهته خاصة وأن الفريق الحاكم حالياً ليس مؤهلاً للتعامل مع هذا الخطر .
وأكَدَ أنه من المهم لنا - أي لبريطانيا العظمى - أن تظل مصر في حالة هدوء وأن علينا أن نبذل ما في وسعنا لضمان ذلك الهدوء .
وقال إن مصالحتنا الأساسية تكمن في أن نصافح جهودنا لتخفيف ظروف المعيشة عن الشعب .
وقال إنه يعرف الصعوبات . لعملنا الجديد في هذا الصدد (وكانت قد شددت على موضوع هذه الصعوبات . وأضفت أن الرأي العام البريطاني على قناعة تامة بأن مصر لم تكون حقاً بinar الحرب) .

ومع ذلك فلا يأس أن نتعاون في المسائل الحيوية مثل توفير :
١ - الأسمدة .
٢ - الكهرباء .
٣ - الكسائ .

وداعع «حسنين» عن أهمية توفير هذه المواد دفاعاً حارزاً وإلى مقتنه أنه على صواب . لكنني شرحت له - بالطبع - الصعوبات المتعلقة بعمليات الشحن . . . إلخ ، وإن وافقته على أن منع عصف القلاقل بمصر ، أمر على غاية الأهمية بالنسبة لنا .

٨ - أكَدَ «حسنين» اقتراحه ، بأن يبدأ معاونه «حسن يوسف» في مباشرة دوره بوصفه قنادة

اتصال غير رسمية مع « الملك فاروق » في أثناء الاعتكاف الصحي المستمر له - أى حسين - تماماً كما كان « عمرو باشا » يؤدى هذه المهمة من قبل بسجاح .

وأكيد أنه سيكون من غير السليم سياسيًّا أن اتصل مباشرة « بالملك فاروق » متخطيًّا بذلك الحكومة المصرية في الشؤون والمشكلات اليومية .

وقال إنه في هذه المسائل يمكن جوهر النجاح في الوسيلة ، غير الرسمية ، للاتصال .

٩ - وجدت « حسين باشا » أحسن صحًّا مما توقعت . ذهن حاضر واستعداد تام للمساعدة . وهو يدرك أنه لو حدثت له نكسة صحية فستكون الأخيرة .

ولهذا سلم بضرورة التخفف من الأعباء وأن يسمح « لحسن يوسف » أن ينوب عنه مؤقتًا في الاتصال بالسفارة وسأبدأ في تجربة هذا الترتيب » .

* * *

ويلتقي « الدكتور محمد حسين هيكل باشا » بالقراشي .

قال « هيكل » :

- إن غياب كبار الساسة عن مصر في هذه الفترة الدقيقة من حياة العالم لا ضرورة له . وأقترح أن يرأس الوفد المصري إلى (مؤتمر سان فرانسيسكو) بدلاً منك « عبد الحميد بدوى باشا » وزير الخارجية ، وأن يستصحب من رجال القانون أكثر مما يصطحب من رجال السياسة . رد « القراشي »

- إني من هذا الرأي وخشيت أن أبادلنى به وأنت عضو في الوفد . وهكذا يسافر « عبد الحميد بدوى باشا » . ويقع « القراشي » ليواجه مشاكل كثيرة .

* * *

حاول « عبد الحميد بدوى باشا » وزير الخارجية في (مؤتمر سان فرانسيسكو) أن يدفع في ميثاق الأمم المتحدة نصًّا يأبطال المعاهدات المختلفة لمبادئ هذا الميثاق .

وكان هدف « بدوى باشا » معاهدـة ١٩٣٦ باعتبارها معاهدـة بين دولتين غير متـكافـتين وفيها لفسـوس بيـنـاءـهـ فـوتـ اـحتـلـاـلـ بـرـيطـانـيـةـ فـيـ مـصـرـ .

ولكن يفشل اقتراح « بدوى باشا » .

* * *

ولا يستطيع السفير أن يتوجه « للقراشي » بل يقصد الملك مباشرة .

برقية رقم ١٣١٩
من «اللورد كيلر»
إلى وزارة الخارجية
بتاريخ ١٣ يونيو ١٩٤٥

- ١ - تصرفت مع «الملك فاروق» بعد ظهر اليوم بناء على تعليماتكم .
 - ٢ - تلقى صاحب الجلالة احتجاجات بصورة طيبة للغاية .
- بدأت بتفسير السبب في أنه من الأفضل أن أتوجه إليه مباشرة في أمر ، على هذه الأهمية العظمى ، بدلاً من الذهاب لرئيس وزرائه .
- لم يرفض جلالته هذا الرأي .
- ٣ - شرحت الخلفية الكاملة للموضوع ، كما كشف عنها ممثلو مصر في سان فرانسيسكو .
- اعرف الملك بأنه في حيرة .
- لقد أكد - الملك - على «عبد الحميد بدوى» قبل سفره إلى سان فرانسيسكو أن يتذكر أنه يتعامل مع عقلية أمريكية وبريطانية ، وأن يكتسب جماعة عقليته ذات التدريب اللاتيني .
- ٤ - اعترف «الملك فاروق» بأن على مصر الاعتداد دائمًا على بريطانيا العظمى . ولكن عليه أن يتذكر وضعه ، كملوك دستوري ، لا يستطيع التدخل ، إلا إذا كان على قناعة بأن مصلحة بلاده تتطلب ذلك .
- ذكرته بما يكفي ، من الإلحاح ، بأنه يتسع إيقاف أي مسعى غير متعقل لتعديل المعاهدة بصورة سابقة لأوانها . وأنتا تطلع إليه بشقة ليفعل ذلك .
- وفي إشارة لأبيه ، «الملك فؤاد» ، أبلغني جلالته شيئاً أكدل لي أنه لم يكتشفه على الإطلاق من قبل وهو أن «الملك فؤاد» قال له إنه على مدى الخمسين عاماً القادمة لا بد أن يرتبط مصر ببريطانيا العظمى . ويجب أن تعتمد ، عليها ، مصر دائمًا ، والآن وقد انتصرت عشر سنوات من السنوات الخمسين فإنه - أي «الملك فاروق» - يشارك والده ، رأيه ، بصورة صادقة للغاية » .

... وهنوم الأمير

تغير الموقف تماماً في بريطانيا

في أبريل عام ١٩٤٥ طلب حزب العمال إجراء انتخابات عامة .
وكان « ونستون تشرشل » برأس حكومة ائتلافية تضم وزراء من حزبي المحافظين والعمال .
وأجرت الانتخابات يوم ٥ يوليو . وأرجى إعلان النتيجة حتى يصل فرز أصوات القوات
البريطانية المخارة والمتشرة في كل مكان .

أعلنت النتائج النهائية يوم ٢٦ يوليو ففاز حزب العمال . وهزم المحافظون واضطرب « ونستون
تشرشل » إلى الاستقالة برغم أنه كسب الحرب .
وتولى « كليمنت أتل » زعيم حزب العمال رئاسة الوزارة يوم ٢٦ يوليو ١٩٤٥ فأُسند وزارة
الخارجية ، في اليوم التالي ، إلى « أرنست بيكن » .

° ° °

حشد « كيلون » كل أصدقائه لإبلاغ « بي肯 » أن المكتامة في صحافة بريطانيا . « بان الأمان »
في تجاج آية مفاوضات مع مصر بنسبة واحد في الألف .

وحشد زعماء مصر جهودهم وبحملاتهم للتقارب إلى حزب العمال .
من مصيغه في لبنان بعث « إسماعيل صدق » رئيس الوزراء السابق إلى مجلس النواب ببرقية
قال فيها « إن السياسة القديمة ستخلي لبنان للاتجاه جديد يرمي إلى خدمة الشعوب جميعاً
وقال « صدق » الآن وقد نهياً جو من التسامح السياسي ، فاقتصر على المجلس أن يطالب

الحكومة . بل يطالب الأحزاب بالعمل بدون ثوان على تصفية مسألي الجلا ، والسودان
وفي القاهرة قالت صحيفة « البلاغ » المؤدية : إن حزب العمال كان دائمًا قريباً منا ولازال
مستعداً للارتفاع إلينا

ومرق بعض الخنود البريطانيين في أحد بارات حي الأزبكية صورة « نشرشل » تعبيراً عن
أملهم في أن يكون سقوطه بشيراً بانتهاء هذه الحرب الطويلة .

• • *

أخذت الصحف المصرية ، لأول مرة ، تهاجم اللورد .. صراحة وبعنف .
كتب « إحسان عبد القدوس » في مجلة « روز اليوسف » يقول تحت عنوان « الرجل الذي
حب أن يذهب »

« من حق مصر أن تطالب بسحب فخامة « الرايت أو نورمالل لورد كيلر » السفير البريطاني
خلال من منصبه وإبداله بغيره . فقد فشل في مهمته لأنها لم يستطع أن يقنع نفسه بأن مصر بلد
مستقل ذات سيادة ! !

وقد استقبلت مصر سعادة « اللورد كيلر » عندما وصل إليها لأول مرة استقبالاً كريماً .
ويبدأ الرجل بالفعل سياسة جديدة ، فتفاهم مع حزب الوفد الذي كان دائمًا ألد أعداء
الإنجليز ، ثم فتح باب المحادثات لتصفية العلاقات بين البلدين .

وانتهت جهوده بعقد المعاهدة ، وأصبحت إنجلترا بالنسبة لنا صديقة حليفة عزيزة . وخرجت
المعاهدة على العالم . فدهش العالم وكتب في أكثر من كتاب وفي أكثر من صحيفة . أن إنجلترا
(ضحك) على مصر . وأن الرعماء المصريين مغفلون !

وأفقنا نحن من سكرة الأمل وأعدنا قراءة المعاهدة فأخذنا نولول وتلطم الخذين .
ولكتنا رضينا بها (وشربناها) مادامت الغلطة غلطتنا وما مدمنا مغفلين !
الهم أن صديقنا وصديق زعيم الأغلبية فيها ، لم يستطع أن يفرق بين مرکزه قبل المعاهدة
ومركزه بعد المعاهدة .

وكان جنابه قبل المعاهدة مندوبياً سامياً ، وأصبح بعد المعاهدة سفيراً ليس إلا ، أى لا تتعذر
حقوقه وسلطاته ، حقوق وسلطات « فخامة محمود جم » سفير إيران في مصر إلا فيها نص عليه
البروتوكول .

نهى مرکز « اللورد كيلر » بيتنا هو مرکز السفير ؟
أبداً ، بل إنه أعطى لنفسه حقوقاً فاقت حقوق المندوب السامي في بلد مستعمر (فتح)

المم) . والرجل الذى يقتسم قصر عابدين على رأس فرقه من الدبابات ، ليس سفيراً ، ولا مندوياً سامياً . إنما هو قائد جيش معندي !

وقد لا يكون من اللباقة الدبلوماسية أن تعدد مدى انتهاك السفير البريطاني في حق استقلالنا . ونعدد الإنذارات الشديدة اللهجة التي أرسلها إلى حكوماتنا المختلفة أبو نين خطورة الصداقات التي تربطه ببعض رجالنا .

وإنما نحن على استعداد لأن ننسى كل ذلك . وأن نبدأ صفحة جديدة في تاريخ العلاقة المصرية الإنجليزية . ولكننا لانستطيع أن ننسى طللاً أن وجه فخامته يطل علينا » . احتاج اللورد على هذا المقال فصودرت « روز اليوسف » وقبض على « إحسان عبد القدوس » ، مرت النيابة بجسده ٤ أيام في سجن الأجانب ولما أفرج عنه عيشه والدته السيدة « روز اليوسف » رئيساً لتحرير المجلة وعمره ٢٥ عاماً !

كانت مصر ضعيفة لانستطيع أن تغير السياسة البريطانية في السودان . أو تحقق وحدة وادي النيل .

أراد الوفد أن يعيد تجربة « سعد زغلول » عندما زار مع « عبد العزيز فهمي » . وعلى شعراوى « السير » رونالد وينجيت » المعتمد البريطاني يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ليطالبوا باستقلال مصر . وكانت هذه الزيارة مقدمة لثورة ١٩١٩ ، وأطلق على ذلك اليوم ، (عيد الجهاد) . قدم الوفد في يوليو ١٩٤٥ مذكرة إلى السفير البريطاني لانسحاب القوات البريطانية وتحقيق وحدة وادي النيل .

واعتقد الوفد أن ماجرى عام ١٨ ، سيتكرر عام ١٩٤٥ ، وأن الشعب سيؤيد الوفد ويتظاهر خلفه ويثور وراءه .

وأراد الوفد أن بشت للجميع أنه المتحدث باسم الأمة والمعبر عن آنماها . وفي عام ١٩١٨ عامل « حسين رشدي باشا » ، سعد زغلول » ، باحترام بالغ وطلب من الإنجليز السماح « لسعد » بالسفر إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح . ولكن « التقراشي » لم يفعل ما فعله « حسين رشدي » ، ولم ينظر للوفد إلا على أنه حزب معارض .

وكان هذا هو نفس تصرف « كيلزن » ، والإنجليز . ويعلن « التقراشي » في مجلس الشيوخ أن مصر أقامت الدليل على حفظها العهد . ونصرت حلقتها ، وأثبتت في ذلك أحسن البلاء . وبذلك من الموعنة لقضية الديمقراطية

ما اعترفت الأمم بتحليل قدره . وليس فوق ذلك كله سبب أكثر تبريرًا لإنهاء القيود التي أحاطت بالاستقلال البلجيكي .

ولكن « أرنسن بيغن » يخلص من الخرج بالمناورة والتأجيج . صرح بأن « مسألة إعادة النظر في معاهدة ١٩٣٦ ستكون موضع بحث الحكومة البريطانية في الوقت المناسب ، بروح الصداقة وتقديرصالح الشريك » .

ويرغم ذلك وقبل أن يكرر « التقراري » كلاته في خطبة العرش ، أسرع « كيلرن » إلى « حسنين » بسؤاله عن محاولات رئيس الوزراء تعديل المعاهدة ، ويشكوكإليه .

ويكتب « كيلرن » إلى لندن في ٦ أغسطس البرقية رقم ٢٢٤ :

« زارني « أحمد حسنين باشا » وتحادثت معه طويلاً في السياسة المحلية .

١ - أولاً موضوع « عبد الفتاح عمرو باشا » :

قال « حسنين » إنه لا يتوقع أن يستمر « عمرو طويلاً في منصبه كسفير في لندن . « وعمرو باشا ، نعمه لا يريد ذلك ، وعنه اهتمامات كثيرة في مصر .

وذكر « حسنين » أنه يتضرر أن يخلفه في رئاسة الديوان الملكي « حسين سري باشا » . وذلك في رأيه . تعين سليم . وأمله أن أتفق معه في ذلك .

٣ - واقته بكل تأكيد . لكن آسف إذا كان « حسنين باشا » يشعر أنه سيضطر لنزك منصبه بسبب الاعتبارات الصحية ، من تلميح « حسنين باشا » في سياق حديثه ، لن أدهش إذا عين « حسنين » سفيراً في لندن ، وسيكون هذا - في رأيي - تعييناً سليماً .

٤ - انتقلنا إلى السياسة المحلية وأعرب - وأعتقد أنه صادق - عن شعوره بالرعب عندما أخبرته أن اتفاقية الطيران المدني لازالت تكتنفها خلافات حادة كثيرة وهذا يرجع إلى ما يتصف به رئيس الوزراء المصري الحالي من ميل إلى التعويق وعدم الاستجابة .

ولما كان البرلمان المصري سيفوض غداً (٧ أغسطس) . فإن ذلك من شأنه أن يؤجل المسألة حتى عودة البرلمان إلى الانعقاد في توفير القادر .

وعد « حسنين باشا » ببحث المسألة مرة أخرى .

٥ - ثم تبادلنا الآراء حول الوضع الحالي واتفق معى على أنه وضع مি�توس منه .

والطبع إلى أن الحال قد يكون في تعين « شريف صبرى باشا » رئيساً للوزراء .

وأسألني عن رأيي في ذلك ؟

أجيبه :

- لا يأس به فهو رجل نظيف اليد على علاقة طيبة بجميع الأحزاب يتمنع بخبرة إدارية ، وإن كان رجلا ضعيفا ... كما أعتقد .

وقلت إن علاقة « شريف صبرى » بالوفد ، وبجميع الأحزاب الأخرى ، طيبة . وهو حال الملك ، ووصى سابق على العرش .

وذكرت « حسين » بما قلته « للملك فاروق » أخيرا ، من أنه ليست لدينا أية نية أو رغبة للاشتغال - يقصد التدخل - بالسياسة المصرية الداخلية . ولكن جلاله أول من يعرف بأن رئيس وزرائه لابد أن يحوز ثقة الحكومة البريطانية . وهو شعور وافق عليه جلاله تماما .

ومع انتظار تعديل المعاهدة يصبح من الضروري أن يكون على رأس الحكومة شخص مؤهل لمناقشة مثل هذه المسألة الحيوية بطريقة سياسية وتعاونية . فإذا تيسر وجود شخص كهذا في الحكم ، فلن يصبح من الصعب التوصل إلى تفاهم حول قضية « إن الدفاع عن مصر مصلحة مشتركة بين الطرفين ولا بد من معالجتها على أسس واقعية » .

وإذا تم ذلك يصبح من السهل على كلينا أن نعرض احتياجاتنا المشتركة في إطار (ميثاق سان فرانسيسكو الجديد) .

وقلت (للملك) « إن ذلك سيصبح مستحيلا مع وجود « القراشي » في الحكم . أما مع وجود « شريف صبرى » فإلى أتصور أن الأمر ينطوى على قدر معقول من الأمل » . ومن هذه البرقية يتضح أن السفير أبلغ الملك بأن « القراشي » عقبة أمام المفاوضات !

° ° °

ملأت الإشاعات الكثيرة .. جو السياسة المصرية !

وقصد « بنكى تاك » القائم بالأعمال الأمريكي إلى رئيس وزراء مصر يسأله :

- هل مسألة تعديل معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا قيد البحث ؟

رد « القراشي » بالإيجاب وقال :

- أتوقع أن تبدأ المناقشات حول ذلك قريبا .

ويصاب « تاك » بالدهشة الشديدة ، فإن « كيلن » يستبعد في أحاديثه مع « تاك » أن (يمرو) « القراشي » على طلب تعديل المعاهدة .

ويحاول الوزير الأمريكي المفوض أن يعرف الحقيقة النهائية . من السفير البريطاني .

برقية رقم ٤١٤

من «بنكني ثالث»
الوزير المفوض الأمريكي
إلى وزير الخارجية في وشنطن

استعرضت الموقف السياسي الراهن في مصر مع السفير البريطاني .
قال «اللورد كيلرن» إن حكومته متفقة مع توصياته بالامتناع عن التدخل في الموقف السياسي
غير المستقر ، إلى حد ما ، في مصر .

وقد حذرت وزارة الخارجية البريطانية من أنه إذا قامت حكومة «النقاراشي» الحالية بأى
خطوات لتعديل معاهدة ١٩٣٦ ، فإن المعارضة الوفدية ستكتفى على هذه الخطوات تماماً .
وباختصار يشعر بأن الحكومة المصرية الوحيدة المؤهلة بشكل صحيح للتعامل مع مسألة
التعديل الشائكة ، يجب أن تتألف من كافة الأحزاب ، بما فيها الوفد .

-- وقال السفير البريطاني إن سمعنا وفدياً أبلغه في ٢٢ يوليو أن «النحاس باشا» رئيس المزب
ورئيس الوزراء السابق ، كان يرغب في أن يرسل إليه خطاباً مفتوحاً ليقتله إلى الحكومة البريطانية
حول ردود فعل الوفد إزاء الموقف السياسي الراهن . وإزاء تعديل المعاهدة .

رد «اللورد كيلرن» بعدم رغبته في تلقى أي رسالة من هذا النوع من «النحاس باشا» لأنها
ستتضمن بالتأكيد هجوماً على حكومة «النقاراشي» التي يحتفظ البريطانيون بعلاقات ودية معها .
ووافق السفير أخيراً على نقل الخطاب المقترن إلى حكومته ، بشرط عدم الإعلان عنه ، بأى
شكل ، كما حصل أيضاً على تصريح من وزارة الخارجية البريطانية ، بأن يقر بصورة موجزة وغير
ملزمة ، بالخطاب .

وقرأ في «اللورد كيلرن» الخطاب الذي اتفق كلانا على أنه متوازن ومعتدل بصورة تبعث على
الدهشة .

أكيد «النحاس باشا» -- في خطابه -- ضرورة تعديل المعاهدة وأوضاع -- دون أن يستخدم
هذه الكلمات بالتحديد -- إن أي مفاوضات للتعديل يتبعى أن تتولاها حكومة ممثلة للشعب
المصري .

ويرى السفير أن الصحيح الذى ساقها «النحاس باشا» تؤيد توصياته التى تقدم بها إلى وزارة
الخارجية البريطانية -- وهى أنه لا يمكن تعديل المعاهدة ما لم تصر وزارة الخارجية البريطانية -- مثلاً
فعلت عام ١٩٣٦ -- على أن تجري المفاوضات مع حكومة تمثل فيها كافة الأحزاب السياسية .
وفي تعليقه على الوضع الراهن ، أشار السفير إلى أن أفضل ردود فعل «النقاراشي باشا» هي

ردود سلبية ، ولا ينصح برضاء السرای ، أو برضاء البلاد بوجه عام .
ونظير على الملك علامات تدل على تقاد الصبر إزاء الحكومة الحالية ، التي يعد مسئولاً إلى حد ما ، عن توليها الحكم .

وفي هذا الصدد قال السفير : إن دواعي الاتقام الشخصى استمرت بين القرانى ومكرم عبيد ، كها أن علاقات بدوى باشا مع مكرم عبيد يمكن أن توصف بأى شىء إلا الصداقة .
وسألت اللورد كيلرن من - فرأيه - يرأس حكومة معدلة . يمكن أن تضم الوفد .
وأشارت إلى حسين سرى باشا .
وافق على اقتراحى .

وقال إنه علم من مصدرين موثوق بهما أن الملك استطلع رأى « سرى باشا » مؤخراً في هذا الصدد .

وأضاف أن « سرى باشا » على علاقات طيبة مع الوفد .
ومعلومات السفير تتفق مع مقاله لـ « سرى باشا » منذ بضعة أسابيع .
في ذلك الوقت قال « سرى » إن الملك استطلع رأيه . ولكن « سرى » لن يلزم نفسه إلا إذا شعر بأن الموقف السياسى أصبح جاداً بما يكفى لأن يتولى الحكم .
ونشأ لدى انطباع من ملاحظات السفير ، بأن حكومته ، قد تولى اهتماماً بإمكانية وزارة يرأسها « حسين سرى » . وهى الوزارة التى يمكن ، إذا ضمت عناصر وفدية ، أن تشكل حكومة مقبولة لبريطانيا العظمى لإجراء مفاوضات لتعديل المعاهدة .
وأكيد الوزير من جديد سياسة (رفع الأيدي) - أى عدم التدخل - وأكيد أنه لن يلعب أى دور مباشر ، أو غير مباشر ، للتأثير على تغيير في الحكومة في مصر .
وتائياً لهذه السياسة ، قال إنه رفض أخيراً أن يستقبل « النحاس باشا » ، في السفارة عندما أراد أن يقدم له الخطاب السابق .

وعلق « اللورد كيلرن » بشىء من المراة على استمرار عجز وعدم فعالية الحكومة الحالية .
إن الاتصاف الساحق الذى أحرزه حزب العمال فى إنجلترا أدى بصورة طبيعية إلى إثارة تكهنات حولبقاء « اللورد كيلرن » في مصر .
فن المعترض به ، بوجه عام أن « المستر تشرشل » ، كان أقوى الذين يستطيعون حمايته عليه .
 وسيصل السفير في أغسطس الحالى إلى منتقاعد ، وهي الخامسة والستين في السلوك الدبلوماسي البريطانى .

عقد «الأمير محمد على» مؤثراً صحفياً أعلن فيه أن بريطانيا مشغولة ، ولا وقت عندها
لخاصة مصر والشرق الأوسط .

وحاول «يشكى ناك» أن يعرف مزيداً عن الصورة السياسية من ولي العهد «الأمير محمد
علي» . فذهب يسمع إلى حموم الأمير ... ولي العهد ..

«برقية رقم ١١٧٦

إلى وزير الخارجية في وشنطن

في ٢٦ نوفمبر ١٩٤٥

فـتـ الـيـوـمـ بـزـيـارـةـ صـاحـبـ السـمـوـ الأـمـيرـ «ـمـحمدـ عـلـيـ»ـ ،ـ وـكـانـ ،ـ عـلـىـ عـادـتـهـ ،ـ ثـرـاثـاـ جـدـاـ .ـ
غـطـيـ كـلـامـهـ عـدـةـ مـوـضـوعـاتـ ،ـ مـنـهـ رـحـلـتـهـ الـأـخـيـرـةـ إـلـىـ إنـجـلـنـتـرـاـ ،ـ وـمـحـادـتـاهـ مـعـ مـلـكـيـ اليـونـانـ
وـيـوـغـوـسـلـافـيـاـ ،ـ وـالـخـطـرـ الـرـوـسـيـ المتـرـاـيدـ ،ـ وـالـأـشـطـةـ الـرـوـسـيـةـ فـيـ إـيـرانـ ،ـ وـالـدـيمـقـراـطـيـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ
الـبـرـازـيلـيـةـ ،ـ وـعـدـدـاـ كـبـيرـاـ مـنـ الـمـوـضـوعـاتـ .ـ
وـمـلـاحـظـاتـ حـولـ مـصـرـ تـسـجـيلـ .ـ

يـدـأـ هـذـهـ الـمـلـاحـظـاتـ عـنـدـمـ ذـكـرـ أـنـ قـالـ «ـلـمـ»ـ فـيـ إنـجـلـنـتـرـاـ إـنـ إـذـاـ لـمـ تـسـانـدـ إـنـجـلـنـتـرـاـ الـمـلـوـنـ
الـشـيـانـ ،ـ فـيـ الـعـرـاقـ وـإـيـرانـ وـمـصـرـ .ـ فـيـنـمـ لـنـ يـقـوـاـ طـوـيـلاـ عـلـىـ عـرـوـشـهـ .ـ
قـاطـعـتـهـ بـقـوـيـ :ـ

ـ يـدـوـ أـنـ صـاحـبـ الجـلـالـةـ ،ـ الـمـلـكـ فـارـوقـ ،ـ يـمـتـعـ بـشـعـبـةـ عـظـيـةـ فـيـ بـلـادـهـ .ـ
أـجـابـيـ «ـالأـمـيرـ مـحمدـ عـلـيـ»ـ يـقـولـ :ـ

ـ إـنـهـ جـمـيـعـاـ يـطـالـبـونـ بـخـروـجـ الـجـيـشـ الـبـرـيطـانـيـ مـنـ مـصـرـ .ـ وـمـاـ يـخـرـجـ سـرـىـ طـوـلـ الـفـتـرـةـ الـنـىـ
سـيـقـاـهـاـ ،ـ فـارـوقـ ،ـ عـلـىـ عـرـشـ .ـ
ـ إـنـ كـتـلـةـ كـبـيرـةـ مـنـ شـعـبـ هـذـاـ الـبـلـدـ تـنـتـظـرـ الـلحـظـةـ الـمـنـاسـبـةـ لـلـسـلـبـ وـالـتـهـبـ .ـ إـذـاـ ذـهـبـ الـجـيـشـ
الـبـرـيطـانـيـ فـلـنـ يـوـجـدـ مـاـ يـوـقـفـهـ .ـ

ـ وـفـ هـذـهـ الـلحـظـةـ مـنـ سـيـصـلـ إـلـىـ الـحـكـمـ .ـ

ـ وـخـسـرـ الـأـمـيرـ عـلـىـ اـنـدـادـ الـخـزـمـ فـيـ الـحـكـمـةـ الـخـالـيـةـ وـلـدـىـ الـمـلـكـ .ـ

ـ وـقـالـ إـنـ شـيـابـ الـيـوـمـ يـرـيدـونـ كـلـ مـلـذـاتـ الـمـلـكـ دـوـنـ نـحـمـلـ تـبـاعـتـهـ .ـ

ـ وـأـشـارـ إـلـىـ حـدـيـثـهـ مـعـ «ـتـشـرـشـلـ»ـ .ـ وـمـاـ أـبـدـاهـ رـئـيسـ وزـرـاءـ بـرـيطـانـيـاـ مـنـ أـسـفـ ،ـ لـأـنـ أـحـوالـ
الـفـلـاسـحـيـنـ لـمـ تـمـسـنـ ،ـ خـلالـ الـثـلـاثـيـنـ عـامـاـ الـأـخـيـرـ .ـ

ـ وـقـالـ «ـالأـمـيرـ مـحمدـ عـلـيـ»ـ إـنـ قـالـ «ـتـشـرـشـلـ»ـ إـنـ دـخـلـ مـصـرـ خـلالـ الـسـنـوـاتـ الـثـلـاثـ الـأـخـيـرـ .ـ

ارتفاع من ٣٩ مليون جنيه سنويًا إلى ما يقرب من بليون جنيه .
ويمضي آخر كان من الممكن تحويله ٦٠ مليون جنيه لتحسين أحوال الفلاحين . ولكنها (بددت
وضاعت) .

ونتحدث عن الفساد في المحاكم . وكيف يرفض القضاة الإقامة في المدن والمناطق الصغيرة .
ونفاثروا جميعًا على القاهرة .

وقال إن شارع القاهرة على نفس القدر من القذارة الذي كانت عليه منذ ٦٢ عامًا حين بلغ
سن المراهقة .. ولا تزال مليئة بالمتشردين والشحاذين .
وزعم أنه أوضح ذلك للحكومة . وقال إنها لم تفعل شيئاً لأن أعضاءها يسعون للحصول على
الشعبية ولا يرغبون في إدانة أحد .

سألت سمهو عن الحل فأجاب بقوله :

- لا يمكن تحقيق إنجاز إلا باتخاذ موقف قوى .

وقال إنه اقترح على الحكومة كلها عزرت على صبي صغير يتسلل في الشارع أن تتجه إلى
والديه وتسألهما عن السبب في عدم تشغيله وتركه يتسلل .
وأوصى - الأمير - على سبيل المثال - أن يتم ترحيل مائة أسرة من يضبط أطفالهم يتسللون إلى
السودان .

فإذا حدث ذلك انتشرت الأنباء في القاهرة . وعلى الفور تخلو الشوارع من الأشخاص المشين
للسمعة .

ومن الوسائل التي اقترحها الأمير لمنع المشاة من المشي وسط الشارع ، أن يعلن أن السائقين
ليسوا مسئولين عن إصابة أي شخص من المشاة » .

• • •

ويكشف « كيلر » عن نواياه ضد « الفراشى » ، وحقده على مصر . في حديث مع « بتكتى
ناك » الوزير الأمريكي المفوض .. وذلك بعد عودة « كيلر » من مؤتمر سفراء بريطانيا في الشرق
الأوسط في ١١ نوفمبر .

ويدور الحديث على ضوء ما جرى في لندن
بدأ الحديث بسؤال من الوزير الأمريكي :

- كيف وجدت الأحوال في مصر؟

أشجب « كيلر » في الكلام

قال :

— «النغرashi» ليس الرجل المناسب لمنصب رئيس الوزراء ... فهو ليس كثيراً بما فيه الكفاية . وليس قوياً . وردود فعله ، في أحسن أحوالها ، تافهة . وأبدى «كيلرن» استياءه من كل هذا الكلام عن إخراج القوات البريطانية من مصر والمجلة لتعديل معااهدة عام ١٩٣٦ .

وأضاف «كيلرن» :

— لقد قلت هذا «للنغرashi» منذ يومين .
ولا أعرف صراحة ما هي خططنا بالضبط .
وليس هناك حاجة إلى هذه العجلة الكبيرة حتى ديسمبر ١٩٤٦ — أي طبقاً لنصوص معااهدة ١٩٣٦ بأن التعديل يجوز بعد ١٠ سنوات من التوقيع — فإن ذلك يثير الجماهير بصورة داممة .
إن هذه المطالب الصانحة صناعية بالكامل . ولا تديرها سوى هذه الحكومة .

رد «بنكتي تاك» :

— لقد أوضحت «للنغرashi باشا» منذ أيام أننا ، أيضاً ، نرى أن أحداث الشعب الأخيرة ، وما تؤدي إليه ، خطيرة للغاية .

وألمح «اللورد كيلرن» إلى أن هذه خطوة حكيمة .
وواصل تأكيده قائلاً :

— إن «النغرashi باشا» ليس رجلاً قريباً . وهو وطني إلى حد التطرف ، وليس من السهل التعامل معه .

وأضاف «كيلرن» :

— خلال مقابلتي «للملك فاروق» منذ أيام وجدت جلالته في حالة معنوية عالية .
وقال «اللورد كيلرن» :

— إن الملك يرتفع حقيقة إلى مستوى مشولياته . وسيق أن أخيره منذ سنوات أنه إذا وجه عجلة القيادة في طريق متند ، فستكون لديه الفرصة لحكم عظيم وبجد .
ويقدم «بنكتي تاك» مفاجأة ، «اللورد كيلرن» .

قال :

— شكا كثير من رجال الأعمال الأميركيين في مصر ، من أن صغار المسؤولين البريطانيين يحاولون إبعادهم عن هذا الجزء من العالم وخاربونهم حتى النهاية .

رد «كيلر» :

- علمت بذلك . وقلت لهم في لندن إن هناك مجالاً لكل من الأميركيين والبريطانيين .. في مصر.

وقال :

- بطبيعة الحال توجد مصالح بريطانية معينة ثابتة هنا أجد من واجبي حمايتها . ولكنني أعلم أن هناك مجالاً لنا معاً .

وبالنسبة لمسألة إبعادكم فإن هذا آخر شيء في الدنيا نرغب في عمله .

وعندما كان «بنكى تلك» يهم بعفادة السفارة البريطانية قال «كيلر» :

- أؤكد لك أنني أتفق في صفات التعاون الأنجلو - أمريكي .

وأضاف :

- تستطيعون الاعتماد على دائنا لأن أيدينا متعانقة فوق البحر .

• • •

وتستمر الدسائس ضد «النراشي» ووزير خارجيته «عبد الحميد بدوى» .

بعث السفير البريطاني إلى حكومته - برفيه أخرى - يوم ٥ ديسمبر يقول :

«أبلغنا عميل بالقصر أن «عبد الفتاح عمرو باشا» سفير مصر في لندن ، قال له بصفة شخصية : إن «عبد الحميد بدوى باشا» وزير الخارجية ، قال «عمرو» : إن الطريقة الوحيدة للتعامل مع البريطانيين هي أن تكون فعلاً معهم .

وقد خلقت البرقيات الواردة من لندن بأن «عبد الحميد بدوى باشا» وقف مع الروس ضدنا - في مسألة بلجنة الوصاية المؤقتة - بعض الحساسية هنا . وخاصة أن ذلك حدث في

الوقت الذي ترغب فيه مصر الدخول في مفاوضات مع بريطانيا العظمى لتعديل المعاهدة .

ويعتقد العميل أن هذا قد يكون أسلوب «بدوى» في التعامل بطريقة «فعالة» مع البريطانيين وأنه من الأفضل إبعاده قبل أن يسبب مزيداً من الضرر» .

• • •

وكاناليومان الأخيران من عام ١٩٤٥ جباراً بالأحداث المتلاحقة .
عين «الشيخ مصطفى عبد الرزاق» وزير الأوقاف - وهو حر دستوري - شيخاً للجامع الأزهر .

وعدل قانون الأزهر ليسمح بهذا التعيين .

ويستقبل عمداء كليات الشربعة واللغة العربية وأصول الدين بالأزهر «الشيخ إبراهيم حمروش»، «والشيخ عبد الحميد سليم».. «والشيخ مأمون الشناوى» احتجاجاً على هذا التعيين وتعديل القانون.

والجدير بالذكر أن رجال الدين المستقبليين الثلاثة أصبحوا بعد ذلك شيوخاً للأزهر. ويختتم مجلس الوزراء يوم ٣٠ ديسمبر ويقرر تدب وزير آخر من حزب الأحرار الدستوريين - «أحمد عبد الغفار باشا» وزير الزراعة - لتولى أعمال وزارة الأوقاف.

وي فقد حزب الكتلة أحد وزرائه بوفاة «راغب حنا بك» وزير الدولة. وطلب «مكرم عبيد» أن يُعين وزير جديد بدلاً من «راغب حنا»، وأن تستد للوزير الجديد وزارة معينة ولا يكون مجرد وزير للدولة! وتسurge أptrال الأحزاب المشتركة في الحكم إلى «محمد فهمي القراشي»، لترى كيف سيعمل وزارته.

وتعطلت أptrال الإنجليز إلى «القراشي»، أيضاً، تحاول أن تتبين ملامح التعديل، وهل يؤدي إلى دعم الوزارة أم يزيدها ضعفاً.

بدأ الصائدون يلقون شباكهم حول منصب رئيس الوزراء... «على ماهر باشا» يطالب في مجلة «المصور» بالوحدة الوطنية ويقول: إن المناصب وسيلة لا غاية.

وترجمة هذا الحديث أنه لابد من وزارة للوحدة الوطنية، ولابد أن يرأسها «على ماهر»! ويقول «على ماهر» إنه لابد من تأليف هيئة المفاوضات من كل الأحزاب بما فيها الوفد، كما حدث عام ١٩٣٦ عندما كان «على ماهر» رئيساً للوزارة!

«وعبد الفتاح يحيى باشا» رئيس الوزراء السابق عامي ١٩٣٣، ١٩٣٤ ورجل «الملك فؤاد» الذي أرغمه الإنجليز على الاستقالة يقول: لا يمكن إشراك الوفد في الحكم إلا إذا برئ وزاروه المتهمون بالانحراف واستغلال النفوذ.

ويقول إن الانتخابات لا يمكن أن تجرى قبل ذلك، بل بعد براءة رجال الوفد؛ في حين أن رجال الوفد لم يقدموا للمحاكمة، ولم يتحقق معهم أحد! وهدف «يحيى باشا» أن يقول الملك مصر إنه يؤيد المحاكمة «النحاس»، وإنه مع الملك ضد الوفد ضد الإنجليز كما فعل عام ١٩٢٤، وإنه - أى يحيى باشا - يصلح للعودة إلى الحكم!

« وسيف الله يسرى باشا » - الرجل الذى لم يتول رئاسة الوزارة أبداً . ومع ذلك رشح لها أكثر من مرة - يطالب في صحيفة الأهرام بانتخابات جديدة .

وترجمة هذا الحديث أن « يسرى باشا » يرأس الوزارة التي تجرى الانتخابات .

وشباب الوفد ومثقفوه اليساريون « الدكتور محمد متول » ، والدكتور عزيز فهمي « يهاجمون الإنجليز ويتهمنون بريطانيا بأنها لازالت تتبع سياسة « اللورد كرومر » الاستعمارية .

أما حزب الوفد فيكتفى بهاجمة حكومة « التقراشي » !

ويختطب « حفني محمود بك » ، وزير التجارة والصناعة وشقيق زعيم حزب الأحرار الراحل « محمد محمود » ، وهو من رجال الحزب اللامعين فيطالب بتعديل قانون الانتخابات بحيث لا يعطي صوته إلا المتعلم الناضج .. الذي يستوف شروطاً معينة .

وهدف « حفني محمود » إلا يعطي حق الانتخاب للجميع ، فالوزير الدستوري يخشى أن تجرى الانتخابات فيفوز الوفد .

بل إن « حفني محمود » ، يلتقي « باللورد كيلن » ويدور بينهما حديث ، يظن وزير التجارة أنه شخصي ، ولكن السفير يبعث به إلى لندن في البرقية رقم ٥٠ .

قال :

« تحدثت « حفني محمود » بصراحة تامة عن رئيس وزرائه الذى وصفه بأنه طفل فى السياسة بين « مكرم عبيد ، وبذوى باشا » .

ويعتبر الوزير ، « التقراشي باشا » ، رجلا ضعيفاً جدًا والمشكلة ، أنه لا يوجد بدليل واضح له .

وسألنى إن كانت لدى فكرة ؟ .

رفضت الالتفاق إلى إبداء رأى ، لأنها مسألة داخلية بمعناها لا تهمنا .

ذكر الوزير اسم « صدق باشا » فقلت إنه من الصعب احتفال حصوله على تأييد شعبي . واعترف الوزير بأن سجل « صدق » كان سيئاً .

ولكن المطلوب - من وجهة نظره - رئيس وزراء محايده لجمعية كل الأحزاب معاً . وأشار الوزير إلى مباحثات المعاهدة المحتملة .

وسألنى : ما هو الموقف ؟

أجبت ، إنه كمفاوض الوزارة يجب أن يعرف أكثر مني ؟ فهل يمكنه أن يقول أي شيء . قال إنه ليست لديه فكرة حول اتجاه آراء التقراشي .

وكما نعرف جميماً فإن «حفني محمود» وزنه ضعيفٌ؛ ولكنه عضوٌ في الوزارة.
وقد فكرت فقط في تسجيل أقوالهِ!

• • •

وتحاول «النفراشي»، وسط هذا كله أن يضع أسلوبًا جديداً للحكم، يصونه. أعلن أن الحكومة تعد قانوناً يمنع أي وزير سابق من عضوية مجالس إدارة الشركات إلا بعد عامين من ترك المنصب.

وكانت الشركات تغري الوزراء ليستجيبوا لطلباتها بتعيينهم مديرين وأعضاء في مجالس الإدارة.

وامتلاك مقاعد الشركات الأجنبية بالوزراء السابقين.

وكل وزير يستعمل الشركات فلا يرفض لها طلباً حتى تعينه ، بعد استقالته .

وأعلن « التراشى » أن مشروع القانون الجديد سيمنع كل من يتول منصب وزير العدل من مراجعة إلا أمام القضاء العالى .

ولراد «القراشي» بذلك أن يحمي القضاة من عسف وزراء العدل، وكلهم محامون سابقون.

• • •

وتنشر صحيفة «التايمز البريطانية» مقالاً عن «تطبعات مصر وأمامها» - تهاجم فيه تصريحات الموظفين المصريين في السودان ، وتهمهم بالفساد والاخراج .

وبحد كل مصرى في هذا المقال إيهام بأن بريطانيا لن تسد ديونها لمصر .. وأنها لن تخرج من السودان .

صاحب الجلالة يعرض خدماته

كان « تشرشل » هو العامل المسيطر على السياسة البريطانية في الشرق الأوسط خلال ربع قرن .

ويسقطه ، وكذلك « إيدن » ، وجد « فاروق » أن « كيلرن » فقد أهم سند له .
طلب صاحب الجلالة إلى سفيره في لندن « عبد الفتاح عمرو » أن يبدأ خطوة جديدة للتقارب مع حرب العمال ، الوا福德 الجديد إلى مقاعد الحكم .
رأى الملك أن يتقرب إلى بريطانيا وأن يعقد معها بصفته الشخصية - معاهدة شفوية - لا تعرفها مصر .

قُسم « عبد الفتاح عمرو باشا » إلى وزارة الخارجية البريطانية أغرب عرض يقدمه ملك إلى الدولة التي تحمل بلاده .

* * *

في ١٠ سبتمبر ١٩٤٥ قصد « عمرو » إلى مكتب « السير روبرت هاو » الوكيل المساعد للوزارة والذي اختير بعد ذلك - ولمدة ١٠ سنوات كاملة - حاكماً عاماً للسودان .
وسجل « روبرت هاو » كل كلمات « عمرو باشا » . وبعث بالنص الكامل إلى « اللورد كيلرن » ليزيد على كل ملاحظة أبداً ما سفير مصر .
وهذا نص الموارد السرى ورد « كيلرن » عليه ، كما وجدته في الوثائق البريطانية .
كتب روبرت هاو :

« تحدث إلى « عبد الفتاح عمرو باشا » السفير المصري أخيراً وبشكل خصوصى جداً حول ضرورة انتهاج حكومة جلالة ملك بريطانيا منهاجاً جديداً بالنسبة للمشكلة الإنجليزية المصرية ». وفيما يلى الخطوط النى سارت فيها هذه المحادثة :

الأمية المصرية :

قال السفير المصرى « عبد الفتاح عمرو باشا » « لروبرت هار » :

- ٩٩٪ من سكان مصر أميون . ومن هنا - فإن البلد ليس مستعداً . بعد . حكومة بريطانية على العزار الإنجليزى . وتوجد هوة كبيرة ثابتة بين الأغنياء والفقراه . وطرحت الحكومات المصرية المتعاقبة ، برامج براقة للإصلاح الاجتماعى . ولكن هذه البرامج لم تخرج - في أية حال - عن الورق الذى كتبت عليه .

رد « كيلون » :

- هذا أمر واقع بشكل عام ولكن نسبة ٨٥٪ أدق .

الحكومة البريطانية خدعة :

قال « عمرو - لروبرت هار » :

- الحكومات الديمقراطية في مصر خدعة وليس هناك ، ولم يوجد قط ، ذلك الشيء المسمى بالانتخابات الحرة . فالناخبون يتذمرون ليذمموا الحزب الذى تخانه لهم الأقدار . وهذه الأقدار تستمد الوحي - في الماضي - من المندوب السامي البريطاني في القاهرة .

رد « كيلون » :

- حكم صادق إلى حد كبير فإن الانتخابات الحرة الوحيدة التي تمت في عهدي كانت عام ١٩٣٦ حين وضع « على ماهر » الشرير . أساس الجبهة الوطنية التي تفاوضت على المعاهدة . وتلا ذلك توزيع مقاعد البرلمان بين الأحزاب أعضاء الجبهة .

السفارة البريطانية تثير في الانتخابات :

قال « عمرو » :

- لهذا أدرك المصريون ، أن البريطانيين لو أيدوا حزباً من الأحزاب ، فإن هذا الحزب سيفوز ومن هنا فإن من الصواب الحفاظ على علاقات طيبة مع هذا الحزب .

رد «كيلون» :

ـ من بديهيات السياسة المصرية أنه ما من رئيس وزراء يمكن أن يحرز نجاحاً مالما يكن حائزاً ثقافة حكومة جلالة ملك بريطانيا . واتفق « الملك فاروق » معى دون تحفظ على صحة ذلك ، بل أكثر منه .

وأتفق الملك على أن هذا أمر ضروري . وأنه حق واجب في اختيار رئيس الوزراء الذي يعيشه . وأضاف الملك أن ذلك لا يعد - مجال من الأحوال - تدخلاً في السياسة الداخلية المصرية .

تأيد « النحاس » صحيحاً تماماً :

قال « عمرو » :

ـ وقد توجه هذا التأييد ، طوال الحرب ، إلى « النحاس باشا » ، وإلى ذلك الجناح من حزب الوفد القديم الذي اتفق حول « النحاس » .
وهناك تفهم للأسباب التي حدثت بنا نحن البريطانيين إلى أن نفعل ذلك في فترة الحرب .
والمصريون مقتعمون أنه لولا تأييدينا « للنحاس » ، لسقطت منذ زمن طويل .
وقد أعطينا هذا التأييد في ٤ فبراير ١٩٤٢ إلى حد تحريرك للسبابات في ساحة القصر ، وتقديم إنذار يتضمن تنزيل « الملك فاروق » عن العرش .

رد « كيلون » :

(أ) لأنه من المفيد أن تقف إلى جانب من وقفوا بجانبنا وقت الشدة .
(ب) لأنه كان زعيم حزب الأغلبية .
لقد أصرت بريطانيا على دعوة « النحاس » إلى الحكم ، لأن حزبه في ذلك الوقت - ٤ فبراير - كان الحزب الوحيد القادر على حمل البلاد على الوفاء بالتزاماتها باعتبارها حلبياً ، مع الأخذ في الاعتبار أن العدو يدق الأبواب ، والطوابير الخامسة تعمل .. وإخلاص السראי لنا .. مهتر .

التدخل في السياسة الداخلية :

قال « عمرو » :

ـ الأمة المصرية ترى أنه - مع نهاية الحرب - فإن دعم البريطانيين « للنحاس » لم يعد له ما يبرره ، وينبغي أن يكتف البريطانيون نهائياً عن التدخل في أمور السياسة الداخلية المصرية .

إن علينا أن نترك الساحة .
وليس معنى ذلك أن نترك مصر .
الملك يفهم جيداً احتياجاتنا الاستراتيجية . ولابد من الحافظة على هذه الاحتياجات ، لأن
في ذلك مصلحة مصر كافية مصلحة لنا .
أما السياسة المصرية - كما يؤديها النظام البرلاني - فما هي إلا لعبة يشترك فيها قوم ، لا مبادئ
 لهم ، يعملون لصالحهم ، ومكاسبهم الشخصية .

رد «كيلر» :

- هذا غير حقيق بالمرة .

أقال «الملك فاروق ، النحاس» في الخريف الماضي . برغم أن الوفد كان حائزًا لأغلبية
برلمانية بنسبة ٩٠٪ تقريبًا .

ولقد ابتعدنا . ولم نبذل أية محاولة - من أي صنف أو نوع - لمنع «الملك فاروق» من تسلیمه
هذه الصربة برغم كونها خطيرة ، من الزاوية الديمقratية والدستورية ، حسب المقاييس
البريطانية .

قال «عمرو» :

كانت حكومة «النحاس باشا» - التي قامت بدعم من الدبابات البريطانية - هي أفسد
حكومة في تاريخ مصر الحديث .

رد «كيلر» :

- هذه مبالغة ، كما سجلت ذلك في تقاريرى الدقيقة الكثيرة .

كان الوفديون يكتفون بفساد بعض شركات .

ولكن كل الحكومات المصرية على هذا الحال .

وربما كان الوفديون يمارسون الفساد ، على نحو أكثر سفوراً ، لأنهم ظلوا طويلاً بعيدين عن
الحكم . وكان جميع أنصارهم محروميين من وظائفهم .
ومن هنا يعرضون ماقات على نحو أكثر .

فقط زمن الحرب توجد فرص لا حد لها لاجتناء المغانم (مثل التهرين بالخ) .

لكن إذا أخذنا القضية بصفة عامة . أشك أن صفة الوفديين أكثر سواراً من غيرهم .
وعلى المرء أن يذكر دائمًا أن الوفد هو (حزب الأغلبية) . وأنه لهذا يلقى الازدراه من الطبقه
مالكة أي طبقه ملاك الأرضي .. بالخ وقد درجوا على تشويه الوفد إلى أقصى ما يستطيعون .

فقبل الكثير . وحدثت إساءات كثيرة بالفعل . لكن الوفديين - في رأيي - لم يتساوا ، في سواد صفحاتهم ، بتلك الحفنة من الباشوات . وخاصة أولئك الذين عينهم السرای .

أخطار الفوضى تخيفنا :

قال « عمرو » :

- حين يكون « النحاس باشا » ومؤيدوه خارج الحكم . فإنهم يثيرون المشاكل ويهددون بإحداث الفوضى إلى حد إراقة الدماء .

وتعلم السياسيون المصريون أن هذه هي الطريقة لحمل البريطانيين على التصرف .

رد « كيلون » :

- هذا القول . لسوء الحظ . صحيح إلى حد ما . لكن في حدود علمي فإن الورق لم يفعل شيئاً حتى اليوم في هذا السبيل إلا أنهم ظلوا (حزب الأغلبية) .
وغياب الإصلاحات قد يدفعهم . إلى أن يتزعموا المطالب الشعبية . من أجل اتخاذ خطوات فعالة .

إعادة النظر في المعاهدة :

قال « عمرو » :

ها نحن نسمع أخباراً عما يمكن أن يحدث في مصر إذا لم تكن هناك استجابة للمطالب الوطنية المنطرفة عن طريق إعادة النظر العاجل في المعاهدة .

وقال « عمرو » إنه يضمن عدم حدوثه شريطة لا تتدخل في السياسة الداخلية المصرية .

إن القوى السياسية المصرية تتركز حول ثلات نقاط هي :

الممثل البريطاني

والقصر

والشعب .

رد « كيلون » :

- لا أعرف خطوة قام بها الورق في هذا الصدد . اللهم إلا خطاب « النحاس » الموجه لي .
وقد هالني أنه خطاب مسلم .

وأظن أن الذي حملت « الملك فاروق » على أن يبارك الأصوات المطالبة بإعادة النظر في

العاهدة . ولكن المطالبة جاءت في ذلك الحين بصفة أساسية من دوائر الحكومة الحالية . وكان على الوفد أن يتضمن إليها حتى لا يتم تجاوزه .

الوفد ليس حرب الشعب ...

قال « عمرو » :

كان البريطانيون في الماضي القريب يؤيدون ما يعتقدون أنه حزب الجماهير ، وليست هناك إلا حسنة فاسدة من الباحثين عن الملاصب .

وتتفق بريطانيا - في هذا - ضد إرادة الشعب ضد نصيحة السראי ، وليس هناك من سبب يحول دون تلقي أصلاع مثلث القوى .

فالمملوك يشعر أنه يخوض مواجهة ونأيده أوسع قطاعات الشعب .

وإذا عرف أن البريطانيين لن يولوا تأييدهم ثانية « للتحاس باشا » وأتباعه . فإن الشعب جدير بأن يسير وراء الملك دون تردد .

والمملوك يتطلع إلى برنامج الإصلاح الاجتماعي والتعليم التدريجي على صعيد الأمة المصرية من أجل ديمقراطية حقيقة غير مزيفة .

رد « كيلون » :

- أشك كثيراً في صحة أنهم فقدوا كثيراً منذ سقوطهم في الخريف الماضي . ولكن اعتقادى الشخصى أن رصيدهم يرتفع حالياً بقدر ما يربط رصيد الحكومة الراهنة . وهو . يحدث فعلًا بسبب المشاكل التقليدية من نقص المواد التموينية والكماء ... إلخ ... إلخ . وهذه نفس الخطوة القديمة التي سبق أن اتخذناها .

كيف نقطع على أنفسنا تعهدًا مثل هذا؟

كل ما يريد في الواقع («قلناه مرة ومرات») . هو انتخابات حقيقة حرة . يختار الشعب المصرى من يريده وهذا بالضبط - مالا تنوى السrai السماح به . ومن هنا تجلى الأزمة الراهنة .

الأسرة المالكة هي عنصر الاستقرار الوحيد :

قال « عمرو » :

- إن الأسرة المالكة هي عنصر الاستقرار الوحيد في البلاد . والمملوك لا يزال شاباً في الخامسة

والعشرين وهو جدير بحكم البلاد لمدة ٤٠ عاماً ياذن الله .

رد «كيلون» :

من المفروض أن يكون هذا صحيح . لكن المرء بذلك أحياناً في أن يصبح ذلك صحيحاً إذا
كان إزاء ملك شاب غائب الشعور بالمسؤولية .

وخصوص الحقيقى يتمثل فى حدوث صدام فى نهاية الأمر بين حاكم أو توقياطى شاب - أى
حاكم فردى - وبين القوى الشعبية فى البلاد .

لا خليفة «للنحاس» :

قال «عمرو» :

- «النحاس باشا» في السبعين من عمره وليس بين جماعة الوفديين - التي يرأسها شاب
كاف - أو جدير بخلافته .

رد «كيلون» :

- هنا صحيح وليس «للنحاس» خليفة واضح برغم أن رجالاً مثل «الخلائى» لا يمكن
اسقاطهم من الحساب بأى حال من الأحوال .

الملك فاروق «لن يستدعي «النحاس» مرة أخرى أبداً :

قال «عمرو» :

- لا «النحاس» ولا الملك - مقدر لها أن يتلقاً مرة أخرى .

لقد أعلن «النحاس» نفسه - بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ - (الزعيم المقدس) . واصطبغ
لنفسه طفة من الناس مسلحين بالعصى والقمصان الزرقاء . ألقوا له نشيداً ينشدونه عندما يظهر
بيهم . ومن هنا تصب نفسه منافساً للملك في المناسبات العامة .

ويعرف المصريون جميعاً أنه يريد التخلص من الملك ليعلن نفسه رئيساً لجمهورية مصرية .
ولن يقبل الملك طواعية . فقط . أن يدعوه «النحاس» مرة أخرى لتشكيل حكومة .

رد «كيلون» :

- «قط» الكلمة كبيرة . ولكنني أعرف أن ثمة فرصة صغيرة ثمينة لذلك في وقتنا هذا .
ولكن المرء لا يعرف في مصر كيف تسير الأمور .

ولم أتيس تماماً من إمكان حدوث مصالحة بين السرای « والنحاس » ، أما أن تكون هذه
مصالحة سارة على طول الخط فهذا أمر آخر .

التأييد المعنى « للنحاس » أو أي شخص :
قال « عمرو » :

- إن ما يرغب به الملك هو اتفاق جنستان مع الحكومة البريطانية بأن توليه تأييدها المعنى
وتحب هذا التأييد من « النحاس باشا » .
ويكون ذلك لفترة خمس سنوات مثلاً تستطيع الحكومة البريطانية - في عضونها - أن ترى
كيف تسير الأمور وتطور .
 وسيقدم الملك - بتأييد معنى من بريطانيا . على طرح برنامج واسع للإصلاحات
الاجتماعية .

رد « كيلون » :

-رأينا ضد ما يقارنه « مكرم باشا » من تشهير أو تصفية حسابات أو محاكمة للنحاس
(كتيع من الانتقام الشخصي) . من قبيل اللياقة . إذ علينا أن نلتزم بمبادئنا الأخلاقية المعندة .

« الملك فاروق » يرغب أن يكون صديقاً :

قال عمرو :

- يدون التأييد البريطاني لا يمكن القيام بهذه الخطوة .
إذا أولينا تأييدها المعنى . فيكون في ذلك المخير المشترك لشعب مصر ولبريطانيا .
وف مقابل تأييدها الأدبي للملك . يتکفل جلالته بالتخاذل الخطوات اللازمة لتأمين مصالحت
الدعاعية الحيوية في مصر . ويوسعه أن يفعل ذلك بواسطة حكومة - من اختياره - تطرح برنامجاً
للإصلاح الاجتماعي والاقتصادي . إذا تأذى له دعم حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا .
ويتوسع السفير المصري - وهو أحد رجال الملك - أن يعود إلى القاهرة ليحصل على
لتوكيدات اللازمة من جلالته فيما يتعلق بمصالحتنا الحيوية إذا كان على استعداد لأداء هذا الدور .

رد « كيلون » :

- لا أشك في أن - هذا .. الآن - صحيح .

كانت العلمن - بقصد ة فبرير - دواً ناجعاً . ولدى الملك من الذكاء ما يعمله يدرك وجوب الاعتداد علينا إلى حد كبير . وأعتقد أنه حريص الآن - وب حق - على أن (يتبدل المصالح معنا) . ولكنه ليس محسناً ضد تسلل متبدلة من جانب الأميركيين . وهو مصاب بالرعب من عمليات التسلل الروسي .

إمكانية زيارة « الملك فاروق » لإنجلترا :

قال « عمرو » :

- في هذه الحالة ستكون خطوة طيبة إذا وجهت الدعوة إلى الملك للقيام بزيارة رسمية لإنجلترا .

رد « كيلر » :

كتبت أخيراً بشيء من التفصيل حول هذا الموضوع إلى « السير رونالد كامبل » . ولا حاجة لشكراً، ما قلته حينذاك . وكما شرحت . فإن الأمر يتحتم الجدل .

وقال « روبرت هاو » في برقته « لـ كيلر » :

« اكتفيت بالإصغاء إلى « عمرو باشا » . فمن البدوي أن لا يمكن لأى تجمع من السياسيين المصريين طرح أو تنفيذ مثل هذا البرنامج إلا بدعم من الملك . وبتأييد معنوى من بريطانيا . إن البرنامج يتضمن بالتأكيد فرض ضرائب مرتفعة . ولكن الأثرياء وذوى النطاعات . وهم الذين يتاثرون من الضرائب التصاعدية .

وهؤلاء هم الذين يتحكمون في الحياة السياسية المصرية . عن طريق الواجهة الراهنة . التي تمثلها الحكومة البريتالية .

إن الملك لا تخدوه أية مطامع . بخلاف رغبته في البقاء ملكاً على شعب راض . تربطه علاقات سلبة ودية مع بريطانيا العظمى . لقد تعلم الملكدرس .

إن دوره في أوائل الحرب أسيء تصويره جداً . والحقيقة أنه كان واقعاً - بدرجات ما - تحت تأثيره سي .

وليس للملك ما يفقده . بل لديه ما يعنيه من خلال الإصلاح الاجتماعي . « عمرو » على قناعة بأن حديثه لا يلزم أى طرف . وأنه خارج النطاق الرسمي تماماً

قال « كيلر » في رده يوم 28 سبتمبر إلى « روبرت هاو » :

« طلبت مني إيهاب تعليقًا حول محضر حديث مع « عمرو باشا ». تعليق الغوري . أنها حالة مباشرة من التوصل الشخصي . وكثير مما قاله صحيح . والحقيقة الكامنة وراء هذا كله العداء الشخصي « للنحاس » - الذي فرض ناد على الملك - في فبراير ١٩٤٢ - عندما كان العدو على الأبواب . وكان « للنحاس » الفضل . دون جدال . والحقائق مسجلة . في إنقاذهنا ساعة الحاجة في اللحظة التي كانت تتطلب قدرًا كبيرًا من الشجاعة والإيمان بنا . إن « عمرو باشا » . رجل صغير طيب ولكنه (رجل الملك) قلبًا وقالبًا . ومن الواضح بالنسبة لي أن حديث « عمرو » قائم على تعليمات كاملة من « حسين » . ونقطة ضعف « عمرو » أنه (تابع ملكي) بشكل كامل . وكان موضع انتقاد الصحافة المصرية وخاصة الوقدية .

وربما لهذه الأسباب قرر الملك فجأة ترقية هنا إلى منصب السفير . إن الوفد يختقره . وهو - أيضًا - يختصر الوفد . وأنا أحب ذلك الرجل المحدود . وجدته معيناً ومحبباً . عندما كان يعمل مع « حسين » في السراي . إنه يحمل حساب الملك إلى الخارج ولست متأكدًا تمام التأكيد من أنه سيكون (مفيدة) دائمًا كما كان من قبل . كان في القاهرة بذلة (فرملة) . ومستشار عاقل يصفع « الملك فاروق » إليه على ضوء معرفة الملك بالعلاقة الوثيقة الودية التي تربطني « بعمرو » . أما هنا في لندن فربما يكون « عمرو » قد أصبح (حامل قائم الناق) الملكية ، أكثر من كونه (فرملة) أو (مستشاراً) للملك الذي يعتمد مستقبل « عمرو » وتاريخه كله على حسن نواياه .

* * *

وهكذا أراد « الملك فاروق » بوسيلة ذكية وعن طريق « عمرو باشا » . أن يجعل الحكومة البريطانية تغير سياستها . وتبتعد عن تأييد الوفد . وتنكتب إلى « كيلون » بذلك . وحاول سفير الملك بالطبع والإشارة أن بين أن « كيلون » هو المسؤول . وأوصى بتغييره ولكن العرض الملكي أحيل إلى « كيلون » فرفضه . ومع ذلك التزم « فاروق » . حتى نهاية . بشروط العقد الذي قدمه سفيره إلى بريطانيا العظمى . وبقى صاحب الجلالة . يتنتظر من سبتمبر ١٩٤٥ حتى فبراير ١٩٤٦ ليجري محاولة جديدة . ضد « كيلون » مباشرة !

العام المر

ألقت الولايات المتحدة القنبلة الذرية الأولى على مدينة (هiroshima) اليابانية يوم 6 أغسطس عام ١٩٤٥ .. وألقيت القنبلة الثانية على (نجازاكي) بعد ٧٢ ساعة . وقررت حكومة اليابان . بعد أن راعها الدمار . الاستسلام بلا قيد ولا شرط في ١٤ أغسطس . وقبل « الجنرال مالك أرثر » . وثائق استسلام اليابان يوم أول سبتمبر . وبذلك انتهت الحرب العالمية الثانية .

وتلفتت مصر حولها تنتظر ماذا تفعل بريطانيا .

رأى « السير إدوار جريج » وزير الدولة البريطاني المقيم في مصر - وهو الذي خلف اللورد موين - أن تتخذ بريطانيا الخطوة الأولى .

طلب « جريج » - في أغسطس ١٩٤٥ - أن تعلن بريطانيا من جانبها الانسحاب فوراً من القاهرة والإسكندرية . وأن تتخذ الخطوات الالزمة لتنفيذ ذلك عندما تسمح الظروف . وقال « جريج » إن قبول الأقتراح سيجعل المصريين يعتقدون أن بريطانيا لديها استعداد لتنازل أكبر . وكل ما هو مطلوب منهم الاستمرار في الضغط السياسي على الإنجليز .

وهدف « جريج » لا يتحول المصريون إلى العنف .

ويشرح « باتريك سكريففر » ، رئيس القسم المصري ، الجهد الذي بذلتها وزارة الخارجية منذ انتهاء الحرب لحمل القوات البريطانية على الانسحاب من القاهرة والإسكندرية .

قال « سكريففر » :

« بدأ المجهود تحت ضغط الظروف . أورها بطريقة سلبية . لايقف المحاولات الرامية إلى إبعاد مزيد من القوات العاملة إلى منطقة القاهرة ،

وفي ردٍ على سؤال شفوي طرحته وزارة الخيرية في ٣١ أغسطس ١٩٤٥ .

أغرت عن رأي الشخصى وهو أننا سنواجه حرجاً سياسياً بالغاً إذا تعين علينا أن نؤمن سكوت المصريين على وجود فرقتين قرب القاهرة .

أما وقد توقفت العمليات الخيرية الفعلية ، فقد شعرت ، أن الوقت لن يطول ، قبل أن تلقى

للمباحثات بأن « إجراء تخفيف في القوات المرابطة داخلondon سيلق ترحيباً من المصريين » .

ويع ذلك فلت إذن من حقنا أن نحافظ في ثكنات القاهرة على مستوى القوة الذى كانت عليه « قبل الحرب » مادام التنفيذ الكامل لشروط الجناء الموجودة بالمعاهدة قد توقف العمل به .

ومن ناحية أخرى كان إدخال تعزيز للقوات كفيلاً بتأثر الشكوك فضلاً عن أننا كنا نعات علماً (على يد أكثر من مراقب) بأن وجود المؤسسات والقوات العسكرية البريطانية في منطقة القاهرة بدأ يثير الأعصاب المصرية بصورة تزداد سوءاً .

• • •

وف ٣١ أغسطس طلب « النقراشي » - شفرياً - من السفير البريطاني ، قبل سفره في اليوم التالي إلى لندن ، لحضور مؤتمر سفراء بريطانيا في الشرق الأوسط برئاسة « بيفن » - بحث مسألة تعديل معاهدة ١٩٣٦ .

وقال « النقراشي » إنه يجب الجلاء الكامل عن مصر ، ثم أشار إلى مسألة السودان .

فأطعنه السفير البريطاني قائلاً :

- السودان مسألة شائكة .

• • •

وفي ٩ سبتمبر ١٩٤٥ أعلن « مكرم عبيد باشا » وزير المالية أن مصر لن تعتمد ميزانية لإقامة الثكنات في منطقة القناة لتنقل إليها القوات البريطانية ، طبقاً لمعاهدة ١٩٣٦ ، التي نصت على انسحاب القوات إلى القناة .

وقال « مكرم » إن مصر ستطلب بالجلاء التام عن كل الأراضي المصرية .

• • •

كان « محمود فهمي النقراشي » ، يجهل ما يجرى وراء الكواليس داخل القصر الملكي في عابدين ، وفي أروقة وزارة الخارجية البريطانية في لندن ، أو في مكتب السفير البريطاني في

القاهرة ، أو الرسائل المتبادلة بين مقر قيادة القوات البريطانية في القاهرة . ووزارة التربية البريطانية في لندن .

مضى رئيس وزراء مصر في طريقه بريد تعديل معاهدة ١٩٣٦ .

رفض «النقاراشي» النصيحة التي أبدتها «فاروق» في أغسطس بتأجيل المفاوضات .
وجمع الهيئة السياسية التي ألقاها أحمد ماهر من كبار رجالات مصر - عدا الوفد - لبحث
الموقف بين مصر وبريطانيا .

قالت الهيئة إنها ترى (بإجماع الآراء) أن حقوق مصر الوطنية . كما أجمع عليها رأى الأمة
وأبدته الحكومة . هي جلاء القوات البريطانية . وتحقيق مشيئة أهل وادى النيل في وحدة مصر
والسودان .

وترى الهيئة أن الوقت الحاضر هو أنساب الأوقات للعمل على تحقيق أهداف البلاد القومية
وإنخاذ الوسائل لفاوضة الخليفة » .

واجتمع مجلس الوزراء في اليوم التالي - ٢٣ سبتمبر - وأقر بيان الهيئة .
وألغى «النقاراشي» الأحكام العرفية إبتداءً من يوم ٧ أكتوبر وبذلك لم يعد حاكماً عسكرياً
عاماً .

وانطلقت الصحافة المصرية تكتب بجريدة كاملة لأول مرة منذ ٦ سنوات .

ف ١١ أكتوبر ١٩٤٥ ، كتب «أرسست بيفن» ، وزير الخارجية إلى وزير التربية البريطانية
يطلب منه أن يطرح على مستشاريه الاتجاه الذي يرغب في أن تنقل إليه مراكز القيادة الرئيسية من
قلب القاهرة .

ويعلن «بيفن» رسميًا - يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٤٥ - في مجلس العموم ، أن بريطانيا لم تتناق طلباً
رسمياً من مصر بالطالب المصرية .

ويوافق البرلمان المصري في جلسة استثنائية على ميثاق الأمم المتحدة في أكتوبر أيضاً لحصول
مصر على مزايا إعلانها الحرب .

وفي أولئك نونبر ١٩٤٥ شرع «الجنرال باجيت» في إعداد خطة تفصيلية للجلاء عن القاهرة
 بما في ذلك الجلاء عن القلعة في غضون فبراير ١٩٤٦ ، ومن ثم إزالة مركزى القيادة الرئيسين .

ولكن «اللورد كيلرن» نصح بأن تحفظ بريطانيا في أيديها «بالشدة»، ومقارن قيادة القوات البريطانية في مصر التي كانت قائمة قبل المعاهدة؛ باعتبار أنها أوراق نسائم بها في عمليات مفاوضات المعاهدة.

وافقت وزارة الخارجية البريطانية على هذه الصيحة، ولكنها في الوقت نفسه أثبتت على ما اتخذته الجزائر باجتث.

ويقول «سكريفر» رئيس القسم المصري في وزارة الخارجية البريطانية في تقريره: «إن التطلع للمستقبل كان يهدونا إلى أن نصرف النظر عن تصريح «اللورد كيلرن»، وهي سليمة من الناحية التكتيكية، وخطأة من الناحية النفسية على ضوء الأحداث. كان على «اللورد كيلرن»، أن يخطو خطوة إلى الأمام، أكثر من «الجزائري باجت»، بدلاً من الخطوة التي اتخذها إلى الوراء.

وكنا نأمل أن تخرج القوات من جاردن سيتي (مقر قيادة القوات البريطانية في الشرق الأوسط) ومن فندق سمير أميس (مقر قيادة القوات البريطانية في مصر). ومن كثير من الواقع الأخرى التي أقيمت في أثناء الحرب.

ونكوص السفير أدى إلى تثبيط همة «الجزائري باجت». ولذلك جعلنا هنا منذ ذلك الحين، أن توكل الرأى القاتل بوجوب إجراء تحفظات كبيرة. ولكن عوامل القصور، التي تفعل فعلها في القوات المسلحة، أثبتت بالتجدد في وجهها، ومنعت القيام إلا بعمليات جلاء محدودة.

وهذا التقرير يدل على مشاعر السفير البريطاني «اللورد كيلرن»، نحو المصريين ونحو الجلاء. إن السفير لا يريد أن تخرج القوات البريطانية من القاهرة أو الإسكندرية. بل يريد أن تبقى هذه القوات، لیساوم بها في مفاوضات المعاهدة، أو لعله كان يذكر في تكرار حادث ٤ فبراير إذا شاءت الظروف.

وأثار «النقاراشي باشا»، رئيس الوزراء موضوع العلاقات المصرية البريطانية في اجتماع مع «اللورد آلان بروك»، رئيس أركان حرب القوات البريطانية الذي زار مصر في جولة تفتيشية. تحدث اللورد إلى «النقاراشي باشا» عن مشاركة مصر مع بريطانيا في الدفاع؛ رفض رئيس الوزراء الفكرة.

قال «آلان بروك»:

- وجدت « التفراشى باشا » خشياً في موقعه ، مصمماً على اتسحاب القوات البريطانية من مصر وتحقيق الاستقلال الكامل للبلاد .

٠ ٠ ٠

أنشاً على ماهر » ، جهة مصر لتوحيد الجهود الوطنية أو توحيد الأحزاب أو ليضفي على نفسه بريئاً يؤهله لرئاسة الوزارة .

ورشح « إسماعيل صدقى » نفسه لرئاسة مجلس النواب فتعاونت أحزاب الحكومة على إسقاطه فنُجح « حامد جودة » مرشح الحزب السعدي .
وجاء عبد الجبار .

وخطب « مصطفى النحاس » في ذكرى ذلك اليوم ، فأشار إلى حادث ٤ فبراير ليبرى نفسه من الاتهامات التي وجهتها إليه المعارضة .
ونفتح صحافة مصر كلها ، من جديد ، ملف ٤ فبراير .

ونُخَرِج جريدة الأهرام عن حيادها التقليدي بين الأحزاب المصرية لتنشر مقالاً « لإسماعيل صدقى » ، يقول فيه إنه كان على « النحاس » لا يتكلّم .
وينشر الرعما ، مذكرة لهم عما رأوه من أحداث ذلك اليوم .

وتهاجم جريدة الكتبة « مصطفى النحاس » لأنّه قبل الحكم في ظل الدبابات الإنجليزية ، فترد جريدة البلاغ بأن « مكرم عبيد » ، كان سكرتيراً عاماً للوفد في ذلك الوقت قبل الحكم .
ونظل الاتهامات متباولة . يتألم الإنجليز نصيبهم منها ، في وقت يتطلع فيه « التفراشى » للمفاوضات .

٠ ٠ ٠

استدعي « التفراشى » السفير المصري من لندن للتشاور بشأن سفره - أى التفراشى - إلى لندن للتفاوض .

وتثير عودة « عمرو » إلى القاهرة أزمة داخل مجلس الوزراء المصري ، نقل تفاصيلها « حسن رفعت باشا » ، وكيل وزارة الداخلية المصري إلى السفير البريطاني .

قالت برقية « كيلون » رقم ٢٥٣١ في ٣ ديسمبر ١٩٤٥ :

« ١ - أثارت مهمة « عبد الفتاح عمرو باشا » في مصر ، أزمة وزارية بسبب اعتراض « مكرم عبيد » على ذهاب « التفراشى » إلى لندن ، ومناقشة العلاقات المصرية البريطانية ، دون اشتراك « مكرم عبيد » في هذه المحادثات .

... ومن هنا تأتي مطالبة « مكرم عبيد » بهذه مفاوضات فورية لتعديل المعاهدة عن طريق
وفد رسمي بدلًا من محادثات التقراشي - غير الرسمية - في لندن .
٢ - أبلغ « حسن رفعت باشا » ، وكيل وزارة الداخلية - بشكل شخصي - أحد أعضاء
السفارة أن « التقراشي » أبلغه بأنه لا يتوقع البقاء كثيراً في رئاسة الوزارة بسبب مناورات « مكرم
عبيد » .

وعلق « رفعت باشا » ، بأن « التقراشي » ربما لا يقول ذلك على محمل الجد الكامل .
٣ - هنالك توقعات بأن توصي اللجنة المكونة من السياسيين القدامى - والموطد بها بحث
الخلاف بين « التقراشي » و « مكرم عبيد » - بالتشديد على بهذه مفاوضات عاجلة .
وف هذه الحالة توجد البديلان التالية :

- ١ - أن يوافق « التقراشي » على ذلك - حتى لو بدا وكأنه رضوخ لإرادة مكرم عبيد -
ما يعني النيل من هيبة رئيس الوزراء .
- ٢ - أن يتم التوصل إلى حل وسط . فمثلًا يوافق « التقراشي » على السير في بعض الخطوات
المحددة في الاتصال مع الحكومة البريطانية بشأن المفاوضات .
- ٣ - أن يستقيل « التقراشي » .
- ٤ - يبدو موقف القصر غامضًا بالنسبة لهذه الأمور جميعاً ، والمعروف للجميع أن كلاً من
« حافظ رمضان » و « مكرم عبيد » واقع تحت تأثير القصر .
ومعروف أن « رمضان » و « عبيد » ، يتصرفان بالاتفاق ، إن لم يكن بالتواطؤ .

وأثارت استقالة « حافظ رمضان » ، التي تبعتها مناورات « مكرم عبيد » ، الشك في أن هذه
الأمور قد تحوز رضا القصر .

ومن ناحية أخرى فإن هذا الوضع يثير الشكوك ، في أن « أحمد حسين باشا » ، وراء كل
هذه المكائد الخبيثة . باعتبار أن هذا الوضع كفيل بتأمين توقيع « حسين » رئاسة الوزارة كمخرج
من المأزق الذي أحده الاختلاف بين عناصر الائتلاف الوزاري .
ولكن عميلاً لنا - على صلة طيبة بالسرای - يؤكد أن القصر يريد بقاء « التقراشي » في
الحكم .

٥ - وأيًّا كانت حقيقة هذه المكائد ذات الطبيعة الشرفية . وأيًّا ما تكون عواقبها .
فإن من تأثيرها المحتمل أن إحدى الحكومات المصرية ، قد تضطر يوماً أن تقدم لنا طلبًا يحوي
شكلاً من أشكال بهذه المفاوضات .

وعليها من الآن أن تنظر فيها سيكون عليه ردنا .
وبحال الخلاف بين « النقاراشي ، ومكرم » إلى الهيئة السياسية التي طلبت فتح باب
المفاوضات .

° ° °

اجتمع مجلس الوزراء المصري برئاسة « محمود فهمي النقاراشي باشا » رئيس الوزراء يوم
٨ ديسمبر عام ١٩٤٥ لبحث موضوع تعديل معايدة ١٩٣٦ ، وكيف يمكن إقناع بريطانيا -
أو إرغامها - على ذلك .

وكانت قد مضت على معايدة ١٩٣٦ تسعة سنوات .

وتتصس المعايدة على جواز تعديليها عام ١٩٤٦ .

ولكن ظروفاً جديدة نشأت وهي قيام منظمة الأمم المتحدة .

وكان الوزراء تحت ضغط شعبي عارم يطالب بتعديل المعايدة .

المعارضة - التي نضم الوفد والحزب الوطني - تحذر الشعب من أن بريطانيا لن توافق على
التفاوض مع حكومات الأقليات .

انهم الوفد وزارة « النقاراشي » بأنها مثل كل حكومات الأقليات تفرط دواماً في حقوق
البلاد .

وسيخربت صحف المعارضة من « النقاراشي » لأنه يردد دواماً أنه سيتحقق الأمان الوطني دون
أن يتحقق شيئاً .

وارتفعت شعارات تقول بأن على مصر أن تعرض قضيتها على مجلس الأمن ، مثل سوريا
 ولبنان اللتين اختصمتا فرنسا أمام المجلس .

ويقى الناس يتطلعون إلى ميثاق (سان فرانسيسكو) .. والأمم المتحدة وتصريحات الأميركيين
عن احترام استقلال الدول وسلامة أراضيها .

° ° °

اجتمع مجلس الوزراء المصري في ظل هذا كله . وأبرق « اللورد كيلن » إلى حكومته عن نتائج
الاجتماع :

قال اللورد في برقته رقم ٢٥٧١ :

١ - « ذكر عميل - مطلع عادة - أنه لم يتم التوصل إلى قرار في اجتماع مجلس الوزراء الذي
عقد في ٨ ديسمبر . وأطلع « محمود فهمي النقاراشي » رئيس مجلس الوزراء المجلس على برقية من

« عبد الحميد بدوى باشا » وزير الخارجية . ذكر فيها أن الأنباء حول طلب مصر إجراء مفاوضات لتعديل المعاهدة كان لها أثر سىء . في لندن .

وطلب « بدوى باشا » في هذه البرقية ، من رئيس الوزراء ، تأجيل اتخاذ القرار لحين تلقى برقية أخرى منه يوم ١٠ ديسمبر .

٢ - غضب « مكرم عبيد » بسبب التأجيل .

وجادل « مكرم » بأن ذلك يخلق أثراً سيئاً جللاً في البلاد ، إذا عرف أن الطلب أجل لأن تقديمها يعني بغيض للبريطانيين .

وقال « مكرم » إن هذا يعني أن مصر مستمتعة عن تقديم أي طلب ، حتى يعلن البريطانيون أنها تستطيع التقدم بالطلب .

وطبقاً لتقرير العميل ، اعتكف « مكرم » في منزله وهو متمنع عن الكلام . ولم يحضر اجتماعاً عقد أخيراً لمجلس الوزراء .

٣ - وذكر نفس العميل أن « النراشى » أبلغ الوزراء أنه سيبحث الأمر مع وزير الخارجية البريطاني « أرنست بيفن » عندما يمر الأخير بالقاهرة يوم ١٢ ديسمبر في طريقه إلى موسكو

• • •

استقال « حافظ رمضان باشا » رئيس الحزب الوطنى ووزير العدل بعد ٢٤ ساعة من اجتماع مجلس الوزراء .

ويكون سبب الاستقالة أن مجلس الوزراء طلب المفاوض مع بريطانيا ، ومبادئ الحزب الوطنى تقول : لا مفاوضة إلا بعد الجلاء .

وتقام حفلات التكريم ، لحافظ رمضان ، ويتضمنها « مكرم عبيد باشا » وزير المالية الذى أفرج مذكرة مصر لبريطانيا بطلب المفاوضة .

ويرى السفير البريطاني أن « مكرم عبيد » يعارض الإنجليز ، لأنهم وقفوا ضد محاكمة النحاس وزملائه .

ويرى السفير أيضاً أن « مكرم » يركب موجة العداء للإنجليز ، وأنه ينافس « النحاس » في ذلك ، ويحاول التفرق عليه في هذا المجال .

ويحسن « فاروق » بأن السفير البريطاني وراء المكائد - ضد - وضد « النراشى » أيضاً . التقى الملك بالوزير الأمريكي المفوض « بنكيني ثالث » ، فقال له :

- إنني أبعد ما أكون عن السعادة إزاء الاتجاه الحالى للأحداث التي قد تصل إلى ذروتها قريباً سقوط وزارة «النقاراشي» .

وبسجل الوزير الأمريكي في برقته رقم ٢٢٩٣ أن المراة شديدة لدى « فاروق » بالنسبة للسفير البريطاني .

وقال تعالى :

«إن السفير البريطاني لا يأل جهداً منذ عودته من لندن في أن يغرس انطباعاً بأن علاقته بالملك تعتبر - الآن - في أفضل أوقاتها .. في حين قال لي الملك :
ـ «اللورد كيلرن» عدوى ، وهو مستعد لتخريب أي محاولة مصرية لتعديل المعاهدة .
وتحقيق التطلعات الوطنية لبلادى ».

四〇四

ويزور « عمرو باشا » بعد عودته إلى لندن « أرنست بيفن » وزير خارجية بريطانيا ليعرف منه اتجاه الريح .

ويرسل « ييفن » إلى « كيلرن » كل مقالة « عمرو »، وما قاله الوزير، للسفير.

۸۱ رقیہ برقیہ

وزارة الخارجية

فی ۱۰ دسمبر ۱۹۴۵

من ۰ هستم پیغمبر

إلى اللورد كيلر (في القاهرة)

زارى السفير المصرى في وزارة الخارجية في العاشر من ديسمبر - بعد عودته من مصر - وأبلغنى ثنيات ملك مصر ورئيس الوزراء الطيبة . وأخبرنى بأن الأزمة السياسية في مصر انتهت الآن ...

وتساءل سعادته عما إذا كان من الممكن لحكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا أن تقوم بالغة في اتجاه تعديل المعاهدة؟

أجبت بأنني لا أريد إجابة هذا السؤال إلا بعد زيارتي لموسكو . وفي الوقت نفسه أعربت عن أمل في أن يكون الضغط في هذا الموضوع أقل مما يمكن .

٣- ذكرت للسفير الصعوبات التي تعانها في موضوع اتفاقية الطيران المدني مع مصر .
وقلت إنه يجب التغلب على هذه الصعوبات .

واقتصرت أن يتم إرسال «أيفور توماس» الوكيل البرلاني لوزير الطيران المدني إلى القاهرة لإنهاء المفاوضات بنفس الطريقة التي رتب بها الاتفاقيات أخيراً مع الدول الأخرى .
رد السفير بأنه سيرفع هذا الاقتراح إلى الحكومة المصرية .
٤ - أشار السفير إلى بياني في ٢٣ نوفمبر في مجلس العموم بأن غرضى في ممارسة العلاقات مع الدول الأجنبية ليس التدخل في الموقف السياسي الداخلى .
وسأل : إذا كان لدى ما أضيقه إلى ذلك .

أخبرته بأنه لا يمكنني أن أضيف سوى تكرار ما قاله في تلك المناسبة من أنه ليس في نفق شورط في السياسات الخالية لدولة أخرى .
٥ - قال السفير إن الأهمية التي علقتها في الأسابيع الأخيرة على فكرة المشاركة الإنجليزية المصرية في الدفاع تلقى ترحيباً بالغاً .
وأنه وافق من مماليقى في منتصف الطريق بهذا الصدد .
وهناك دلائل - الآن - تشير إلى مشاعر جيدة جداً بين الشعب المصرى والقوات البريطانية في مصر .

وقد أسمم في خلقها الجلاء عن القاهرة .

- يدا السفير مهتماً جداً بتعزيز العلاقات الإنجليزية - المصرية ، ولكنه - قبل أن يرحل - أشار مرة أخرى إلى تعديل المعاهدة ، وأبى أهبة القيام بتحرك في هذا الاتجاه تقريباً .
وأعلن أن الدعامة الأمريكية قوية جداً .

• • •

ويعود «عمرو باشا» إلى لندن بعد مشاوراته في القاهرة .
ويسفر «يافن» إلى موسكو للحضور مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى . ويعرض «عمرو» وكيلون «على» التقراشى «تأجيل تقديم طلب مصر بفتح باب المفاوضات لتعديل المعاهدة حتى يعود «يافن» إلى لندن . ولكن «التقراشى» يرفض التأجيل بعد أن أخذت الصحف وبالذات جريدة الكتبة تنشر مقتطفات من مذكرة مصر .
ويقدم «عمرو» إلى وزارة الخارجية البريطانية بمذكرة طويلة يطلب فيها ، باسم مصر - يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ - فتح باب المفاوضات لتعديل المعاهدة .
قال «عبد الرحمن الراafقى» إن وزارة «التقراشى» هي أول وزارة سجلت في وثائقها

الرسمية المطلبين الرئيين للحركة الوطنية وهي « الجلاء »، ووحدة وادي النيل ، فلم تتبناها وزارة أشترى إلى هنا الإعلان ».

قالت المذكورة المصرية :

- المطلب استندت أهم أغراض معايدة ١٩٣٦ .. وأحكامها التي نفس استقلال مصر وكرامتها لم تعد تساير الوضع الحالى ، والحكومة البريطانية - إبان الشدائـد - جنت من اتفاقها مع مصر من الفوائد أكثر مما فرضته نصوص المعايدة .
 - إن وجود قوات أجنبية ، زمن السلم ، في بلادنا ، حتى لو احصرت هذه القوات في مناطق ثانية يجرح الكراهة الوطنية على الدوام .
 - وستتناول المفاوضات مسألة السودان ، مستوجبة في ذلك مصالح السودانيين وأمانهم .
 - وتعرب الحكومة المصرية عن ثقتها بأن الحكومة البريطانية ستعنى بتحديد موعد قریب ليشخصى وقد مصرى إلى لندن للمفاوضة معها في إعادة النظر في معايدة ١٩٣٦ .
- * * *

وتناقش المذكورة المصرية في وزارة الخارجية البريطانية ، وبعد المستشارون القانونيون للوزارة مذكورة في هذا الشأن بتاريخ ١٥ يناير ١٩٤٦ .

١ - إذا أخذنا في الاعتبار الاتجاهات القانونية لعدد من أعضاء الحكومة المصرية - وللسوقف الذي اتخذه أعضاء الوفد المصري في سان فرانسيسكو - فلا تستبعد احتمال أن يتقدموا بشكوى خالل الاجتماع الحالى للجمعية العامة للأمم المتحدة حول مسألة وجود القوات البريطانية في مصر .

٢ - وإذا انهارت المفاوضات حول إعادة النظر في المعايدة ، فقد يحاولون بصورة مماثلة ، في مرحلة تالية ، أن يعرضوا الأمر أمام مجلس الأمن ، إما بوصفه تزاعماً ، أو موقفاً ، قد يرقى إلى مرتبة التزاع ، لإجبارنا على التقدم معهم إلى مجلس الأمن لإصدار توصياته بوصفه « تزاعماً » لم يتمكنوا مما من تسویته عن طريق المفاوضات .

ولأنه محاولة من هذا القبيل ستكون من أكثر الأشكال إسراجاً لاستخدام مبدأ التصويت المتساوی في الجمعية العامة للضغط على دول عظمى .
والمخاطر الناتجة عن هذا التصرف في المنطقة تعتبر أمراً واضحاً . ويبدو أنه سيكون من الحكمة أن نعد أنفسنا مقدماً لواجهته .

- ٣ - ونعرض المسألة للمناقشة أمام الجمعية العامة فإن على مصر أن تقترح إدراج المسألة كبند بحث في جدول الأعمال .
- وطبقاً للإجراءات المؤقتة للجمعية العامة ، فإن البند تضاف إلى جدول الأعمال خلال الدورة بشرط حصولها علىأغلبية الأصوات الحاضرة .
- وحيثنة فإن البند لا يمكن مناقشته إلا بعد مرور أربعة أيام وتقديم تقرير عنه من قبل لجنة من الجمعية العامة .
- ٤ - ولا توجد شروط تحكم ما هو مقبول أو غير مقبول كبند في جدول أعمال الجمعية العامة ، ولكن مما لا شك فيه أن الجمعية العامة في مناقشتها النهائية ستختضع لتأثير التقرير المقدم من جنتها والذي يخلط طبيعة الموضوع .
- ويبدو لي أنه يمكننا أن نخالـ - سواء في الرد على خطاب مصر الأصل الذي يطالب بإدراج البند في جدول الأعمال . وبعد ذلك في لجنة الجمعية العامة - بأنه من غير المناسب للجمعية العامة البحث في طلب مصر إعادة النظر في ارتباط دول صحيح في الوقت الذي لم يتم فيه تنفيذ بنود هذه المعاهدة الخاصة بإعادة النظر فيها .
- ٥ - يمكننا أن نشير إلى الوضع التسم بالفوضى الذي يمكن أن يقوم في الشؤون الدولية . عندما يتجمب طرف في معاهدة ، البند ، والجدول الزمني ، المتضمنين في هذه المعاهدة لإعادة النظر فيها يأتوجه مباشرة إلى الأمم المتحدة .
- ٦ - ويمكننا أن نوضح أنه عندما تستند المفاوضات الثنائية حول بنود إعادة النظر في المعاهدة بلا اتفاق بين الطرفين ، فإن السلوك المناسب من جانب مصر إذا رغبت في إشراك الأمم المتحدة ، هو التوجه إلى مجلس الأمن لأن الموضوع المثار ؟ وهو التسهيلات المتنوعة لقوى العزف البريطانية في مصر - موضوع يتعلق بالأمن .
- ويمكننا أن نشير إلى أن المعاهدة نفسها تشرط اللجوء إلى المجلس وليس إلى الجمعية العامة لجنة الأمم .
- ٧ - يمكننا الحصول على تأييد كبير لوجهة نظرنا . وحتى الحكومة السوفيتية قد تتردد في تأييد المقاومة المصرية التي قد يكون لها رد فعل على معااهدات التحالف السوفيتي مع الدول الصغيرة .
- ٨ - وإذا أصرت الجمعية العامة على مناقشة الشكوى المصرية فإنأغلبية ثلثي الوفود موجودين كلتوصيات ستكون مطلوبة لصدور أية توصية محددة .
- ولا تملك الجمعية العامة أي سلطة للتوصية باتخاذ إجراء ولكنها قد تحيل المسألة إلى مجلس

الأمن بوصفها مسألة تتطلب - من وجهة نظر الجمعية - اتخاذ إجراء .

٩ - وإذا تقدمت الحكومة المصرية بشكواها مباشرة إلى مجلس الأمن . فإن عليها أن تقدم سبباً للنزاع أو . للموقف الذي قد يؤدي إلى احتكار دولي أو إلى إثارة النزاع « طبقاً لل المادة ٣٤ . وعند الوضع أنها لا تستطيع عرضها على مجلس الأمن وفقاً لل المادة ٣٧ إلا بعد أن يفشل الطرفان في تسوية المسألة بالوسائل الطبيعية .

١٠ - وقد يكون من الصعب للحكومة المصرية الحصول على أغلبية الأصوات السبعة الضرورية من الـ ١١ صوتاً لوضع المسألة في جدول أعمال مجلس الأمن . نظراً للحلول التي لم تتفق في المادة ١٦ من المعاهدة .

وعلى أية حال إذا وضعوها في جدول الأعمال فإن المملكة المتحدة لن يكون لها صوت (بوصفها طرفاً في النزاع) .

وإذا تكتفت مصر من تأمين سبعة أصوات من الأصوات العشر الباقية (التي ستتضمن أصوات الدول الأربع الكبرى الأخرى) ، فإنهم سيتمكنون من التامة النظرية من الحصول على توصية لصالح (التسوية السلمية) للنزاع في الاتجاه الذي يرغبون فيه .

١١ - إذا وصلت الأمور إلى النقطة التي يسعى إليها المصريون للقول بأن هناك « تهديدًا أو خرقاً للسلام » فيتعين بحث ذلك بموجب الباب السابع من الميثاق . وهنا ستستعين المملكة المتحدة . بوصفها عضواً دائمًا . بوقف التصويت عن طريق (الفيتو) الخروج للقوى العظمى - ١٢ - يندو لي أننا سنكون في وضع مأمون تماماً إذا حاولت مصر إثارة المعاهدة المصرية - الإنجليزية كقضية مباشرة .

(ولكن مصر قد تحاول إثارتها كمسألة عربية) ، بحيث تجيء في نفس الوقت مع شكاوى سوريا ولبنان ضد استمرار وجود القوات الأجنبية على أراضيها . وذلك من شأنه أن يؤدي إلى موقف مضطرب وممقد .

وقد توافق الجمعية العامة بأغلبية الثلثين على توصية بأن القوات الأجنبية يجب الابتعاد عنها في أراضي دول الشرق الأوسط المستقلة .

وأرى أن الأمر يستحق التفكير بمزيد من الدقة في الطريقة التي يتتعين أن تعالج بها هذا الموقف ، مع وضع التعقيدات في دول الشرق محل الاعتبار .

١٣ - ويتعين أن نضع في اعتبارنا أن كلًا من الحكومتين الإيرانية والتركية قد تثيران ، أمام الجمعية أو مجلس الأمن (نزاعاتها) مع الاتحاد السوفيتي .

وقد فرر وزير الخارجية أنتا يحب إلا تصرفها عن فعل ذلك . بل نقترح إسداه النص حفظها إذا
لقدتنا هذه الخطوة . لأن يقدمها إلى مجلس الأمن . وليس إلى الجماعة وأن يستندوا إلى مقررة في
المادة ٣٤ . وهي الفقرة التي تشير إلى حدوث « موقف قد يؤدي إلى احتكاك دولي أو يثير
التراء » .

وبرغم أن وجود المعاهدة الإنجليزية - المصرية . والمادة ١٦ منها يجعل القضية المصرية
 مختلفة . فإن هناك خطأ في أننا قد نجلب على أنفسنا النقد . إذا يدأ في أثناء مساندتنا لتركيا وإيران
 في مجلس الأمن أنتا تذكر على الحكومة المصرية حقاً مائلاً في طرح شكواها أمام الأمم المتحدة .

* * *

ولم تعرف مصر بأمر الرأى القانونى .

وكانت الظروف الداخلية تمنع اتخاذ موقف عدائي ضد بريطانيا .

ويقى « التراشى » يتظر الرد .

وأنفجر الغضب الشعوى في مصر .

وكان الوفد يتدلى حلقة الغضب فقد خذله الإنجليز .

* * *

ويسدل الستار على عام ١٩٤٥ ، عام النصر ، كما عرفه العالم كله ، دون أن تحس مصر
بخلاؤه النصر ، بل بحرارة المذاق .

واساعد على شعور مصر بالزيارة مشاكل العالم العربي : بريطانيا تزيد العودة لاستعمار ليبيا .

وفرنسا لا تزيد الانسحاب من دول شمال أفريقيا : المغرب وتونس والجزائر ، وسوريا ولبنان
تجهان إلى مجلس الأمن لإصدار قرار بالجلاء .

وتتجه أنظار العرب إلى مصر التي ازدادت بضمها إحساساً وتفاعلًا بالعروبة .

مصر.. العربية

يوم اغتيال «أحمد ماهر» ، كان رؤساء وزارات ، ووزراء خارجية ، وممثلو ٧ دول عربية في القاهرة يتفاوضون لعقد ميثاق جامعة الدول العربية .

وكان « محمود فهمي التقراشي » ، يشارك في هذه الاجتماعات ، بصفته وزيرًا خارجية مصر . وقد استمرت اجتماعات هذه اللجنة ١٦ جلسة للاتفاق على الميثاق .

في أول اجتماع للجنة السياسية الفرعية برئاسة « التقراشي » ، نارت مناقشة طويلة حول اشتراك « موسى العلمي » مثل فلسطين .

قال « هنري فرعون » وزير خارجية لبنان إن اشتراك « العلمي » يضعف الأساس القانوني للحوار الذي يجب أن يشرك فيه ممثلون للدولة المستقلة . إن « العلمي » ، لا يمثل دولة مستقلة ، ولذلك لا يستطيع إلزام فلسطين بأى عمل .

ولكن اللجنة رأت طرح الأساس القانوني جانبياً ومعاملة فلسطين ، كمسألة خاصة ، نظراً لتعاطف الدول العربية جمبياً مع شعب فلسطين ، وما يعانيه ، ولأن سابقة وضعت باشتراك « موسى العلمي » في المباحثات التهوية بالإسكندرية .

ويرغم ذلك فإن القرار مضى أبعد مما اتفق عليه في (بروتوكول الجامعة) الذي وقع بالإسكندرية نص على اشتراك فلسطين في الجامعة على قدم المساواة مع الأعضاء والمؤسس . آثار ذلك تقدماً عنيفاً من بريطانيا . ولم تر حكمة في اشتراك الدول غير المستقلة في مجلس الجامعة ؛ وترى أن أفضل حل هو السماح « للعلمى » بالاشتراك كمراقب .

وأرسلت وزارة الخارجية البريطانية تعليمات بذلك إلى «اللورد كيلر» لإبلاغ «النراشى» وباقى الممثلين العرب قبل اجتماع اللجنة التحضيرية يوم 17 مارس . ذهب «كيلر» إلى «النراشى» يخدره من «النشاط الخاطئ» بل ومن تعصب «عبد الرحمن عزام» .

فَالْكِتَابُ

- إن إسلاميّة الحديثة لا يعني أن تجرى قبل أن تعلم المشي .

ردِ ائمہ اثراشی

- من الخطا إثارة وضع «العلمي». وتأثر الأمر لعقلية «الدكتور عبد الحميد بدوى» في الوصول إلى صيغة مقيدة في هذا الشأن.

وتحتاج لاتصالات «كيلون» المتعددة عدل اللجنة التحضيرية للحق الخاص بفلسطين .
وأسقطت الحزب الخاص عاملة وقد فلسطين على قدم المساواة مع الأعضاء ، والمسئلين .

وعلى هذا الأساس لم يوقع «موسى العلمي» على ميثاق الجامعة مع باقي الوفود.

و يدعوا للأسف .

وقال «كامبل»: لا يمكن اعتبار فلسطين دولة عربية أو دولة مستقلة.

四
七
八

توبه المستشار الشرقي « والر سمارت » إلى « التقراري » يبلغه اعتراض الخارجية البريطانية على اشتراك الدول العربية غير المستقلة في اجتماعات مجلس الجامعة.

ويكون رأي بريطانيا أن هذا القرار سيغضب فرنسا التي تحمل دول شمال أفريقيا - تونس والجزائر والمغرب - كما أن بريطانيا تحمل برقة وطابا في لسا.

لم يستجب «النفراشي» لما قاله «سمازرت» وبالذات بالنسبة لليبيا . وقال إن مصر مصالح مع

ويغسر « سمارت » في برقته إلى لندن موقف « النراشي » بأن أمير ليبيا « إدريس السنوسي »،

ويعلم «القراشي» اللعنة السياسية للجامعة العربية بوجهة النظر البريطانية ولكن يغير اهتمامه.

وبنقي «كيلرن»، بعد الرحمن عزام يشكوا إليه أهلاً.

رد «عزم» قائل :

- إن « السير أنتوني إيدن » ، لم يؤيد وحدة الدول العربية المستقلة ووحدتها - بل أيد وحدة العرب بصفة عامة . ولم يفرق في ذلك بين الدول العربية المستقلة . وغير المستقلة .
ويلتقي « كيلون » بوزير الخارجية « عبد الحميد بدوى » . وللملك فاروق ، ويقول « عبد الفتاح عمرو » للسفير البريطاني :

- إن « الملك فاروق » لهم سر اعتراض بريطانيا على اشتراك الدول العربية غير المستقلة في اجتماعات الجامعة .

ويلتقي « كيلون » بهدى فرعون ، وزير خارجية لبنان يشكو إليه فريد « فرعون » :
- هذا كله خطأ « المحيث » « عزام » . وقد أبلغته أنه لا داعي لإثارة الفرنسيين باشتراك الدول العربية في شمال أفريقيا . وأبلغته أيضاً أن لست مستعداً للتتوقيع على وثيقة من المشر .
ولكن اللجنة التحضيرية توافق على تعاون الجامعة مع الدول العربية غير المستقلة . بل إن « مكرم عبيد » وزير مالية مصر ، وعضو وفدتها في الاجتماعات . دعا إلى قيام مؤتمر شعبي .
أو اجتماع شعبي . يناسب الجامعة تشارك فيه الدول العربية غير المستقلة .

وقال « مكرم عبيد » إن الدول العربية المستقلة ... ليست مستقلة تماماً .
ويرأس « التقراشي » يوم ٢٢ مارس ^{١٩٤٥} بعد شهر من توليه الوزارة - الاحتفال الذي أقيم في قصر الزعفران بالقاهرة بمناسبة توقيع ميثاق الجامعة العربية . وهو اليوم الذي اعتبر عيد ميلاد للجامعة يحتفل به العرب في كل عام .

وتصدق دول على الميثاق . وبذلك يعلن قيام الجامعة يوم ١٠ مايو ١٩٤٥ .
ويصر « التقراشي » على تعين « عبد الرحمن عزام » أميناً للجامعة .
ويكتب « كيلون » إلى لندن معلقاً على قيام الجامعة أنه دهش لأن الفكرة التي نشأت كحلم انتهت إلى كيان جاد وصلب » .

* * *

ولقد ظل الإنجليز سنوات طويلة يعلون أن الجامعة العربية مجرد حلم عربي .
ومن هنا كان تشجيعهم لها باعتبار أن الحلم لن يتحقق أبداً .
وعندما قامت الجامعة حرص الإنجليز على أن يملأوا الدنيا ضجيجاً بأن هذه الجامعة من وحيهم
ونفسكيرهم وتدبرهم مع أن الوتاائق البريطانية تكذب ذلك .

* * *

في عنيفوان ثورة الفلسطينيين ضد الإنجليز واليهود عام ١٩٣٦ . وتضامن الرأى العام العربي مع

هذه الثورة بعثت «أوجدين» - القنصل البريطاني في دمشق - إلى وزارة الخارجية في لندن يقول :

«الوحدة العربية في حقيقتها فكرة الخالدين وغذاء الفلاسفة . والسياسي العربي المستير لا يطبع في أكثر من تناقض أو تناقض أو اتحاد للدول الإسلامية المختلفة . أما الوحدة العربية كقوة دائمة ، فإنها تتتحقق بسبب الضعف العربي المتواتر ، والنظام القبلي الإقطاعي ، والغيري ، وعدم الثقة بين العرب أنفسهم » .

وتوافق وزارة الحرب البريطانية على وجهة نظر الخارجية البريطانية التي تقول : « بأن الوحدة العربية نظرية أكثر مما هي عملية » .

وبعد قيام الحرب العالمية الثانية مباشرة . قدم « باجالي » الخبر إلى وزارة الخارجية البريطانية تقريراً - يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٣٩ - عرض على مجلس الوزراء قال فيه :

« هناك إحساس ينمو ويتراءد بالتضامن بين الشعوب العربية . ولكن تبقى عقبات ضخمة في طريق الوحدة العربية .

أول هذه العقبات ، التناقض بين الحكام العرب .

وثانياً ، المعارضة الفرنسية ضد هذه الوحدة ؛ فالفرنسيون يشكرون في أن الوحدة مؤامرة بريطانية لسلب مغام فرنسا التي حصلت عليها في الحرب العالمية الأولى .

وثالثاً ، تركيا التي تريد الاستيلاء على الأراضي العربية ، كما حدث أخيراً عندما انتزعت لواء الإسكندرية من سوريا .

وبقيت بريطانيا صاحبة النفوذ الأول في الشرق الأوسط ، ولكن بريطانيا لا تستطيع إرضاء كل الدول العربية بطريقة متساوية .

ومن غير المحتمل أن تسعى الحكومة البريطانية - من تلقاء نفسها - إلى تدعيم فكرة التضامن العربي .

إن الوحدة العربية جاءت لتحقيق . وليس من الحكمة أن تبذل محاولة لمقاومتها .

ولا ينبغي علينا أن نقوم بمبادرة لصالح الوحدة العربية ولا يوجد - أيضاً - مبرر لإظهار معارضة لها بل توجيه هذه الوحدة لمصلحة بريطانيا » .

ومعنى مذكورة « باجالي » أن على بريطانيا استغلال الوحدة العربية لمصلحتها !

• • •

وابتداءً من عام ١٩٤١ أصبحت فكرة الوحدة العربية متصلة بقضية فلسطين وتطوراتها وزيادة هجرة يهود أوروبا إلى فلسطين .
كتب « تشرشل » إلى « إيدن » يوم ١٩ مايو ١٩٤١ - في رسالة شخصية - يقترح إصدار بيان عن تأييد بريطانيا لقيام الوحدة العربية .
أراد « تشرشل » بذلك ، اجتناب الملك « عبد العزيز » للوصول إلى حل للمشكلة الفلسطينية .

ومن هنا قدم « أنطون إيدن » . وزير الخارجية مذكرة إلى مجلس الوزراء البريطاني ٢٧ مايو ١٩٤١ قال فيها :

« الاقتراح كثيرون حلاً عملياً لمشكلة فلسطين وهو قيام اتحاد لدول الشرق الأوسط تكون الدولة اليهودية إحدى وحداته .

ونحن لم نعارض أبداً قيام اتحاد هذا النوع . و موقفنا أن العرب يقررون ما يريدون .
وأخشى برغم ذلك ، أن يكون الوقت غير مناسب ، لقيام اتحاد عربي .
ويرى العرب ، بصفة عامة ، أن قيام نوع من الاتحاد أمر مرغوب فيه . و يجب أن نختبر عن معارضته هذه الآمال العاملة غير المحددة ، بل نتهر الفرصة لنغير علناً تأييدها ».
وافق مجلس الوزراء على هذه السياسة قبل يومين من إلقاء « إيدن » خطابه الشهير في (مانشستر هاوس) يوم ٢٩ مارس ١٩٤١ .

قال :
« يرجو كثير من مفكري العرب ، للشعوب العربية ، درجة أكبر من الوحدة أكبر مما تتمتع به الآن .

وإن العرب لينظرون إلى نيل تأييدها في مساعيهم نحو هذا الهدف .
ولا ينبغي أن نغفل الرد على هذا الطلب من جانب أصدقائنا .
ويبدو لي أنه ، من الطبيعي ، ومن الحق ، وجوب تقوية الروابط الثقافية والاقتصادية بين البلدان العربية . وكذلك الروابط السياسية أيضاً .
وستبذل حكومة جلالة الملك - من ناحيتها - تأييدها التام لأية خطة تلقى موافقة عامة » .

• • •

وقد فسر كثير من المراقبين السياسيين تصريح إيدن على أنه محاولة لامتصاص كراهية العرب

لإنجليز ، فالتصريح أذيع في نفس اليوم الذي انتهت فيه بريطانيا من قع ثورة « رشيد عالي الكيلاني » في العراق .

وسر على أنه مواجهة للدعابة الألمانية التي تناصر آمال العرب في الاستقلال والوحدة .
وسر على أنه محاولة لتصفية الفوز الفرنسي في سوريا ولبنان . جاء قبل عمليات الحلفاء في البلدين بهدف خيانة تعاون السوريين مع القوات البريطانية .

وسر كذلك على أنه محاولة لجمع العرب وراء بريطانيا في فترة هزيعها الساحقة في الحرب .
وقد وجهت كل وسائل الإعلام البريطانية المحلية من صحف وإذاعات لنشر البيان .
ولم يكن في البيان شيء جديد ، وقد وجه تقد للتصريح في سوريا وفلسطين والعراق لعدم الإشارة إلى فلسطين .

وأبرق « كيرك » الوزير الأمريكي المفوض إلى حكومته قائلا : إن التصريح كان مبيعاً . وإن المتصرينتوقعوا أن يتبعه تصريح محدد ينص على تأكيدات عن فلسطين .
ولم يستجب للتصريح إلا « الأمير عبد الله » - أمير شرق الأردن الذي أرسل إلى بريطانيا - في ٢ يوليه ١٩٤١ - يطلب قيام دولة سوريا الكبرى التي تضم شرق الأردن وسوريا ولبنان وفلسطين تحت رئاسة الأمير نفسه .

ظن الأمير أن التصريح هو الضوء الأخضر ليتحقق مسعاه ... وأماله .
ويقدم « جيب » - خبير شؤون الشرق الأوسط الذي يعمل مستشاراً للمعهد الملكي البريطاني للعلاقات الدولية - مذكرة إلى وزارة الخارجية يذكر فيها العقبات التي تعرّض طريق الوحدة العربية ، وأهمها « الاتداب الفرنسي على سوريا ، والانتداب البريطاني على فلسطين ، والحكم الفرنسي الأسماق الإيطالي في شمال غرب أفريقيا . ولن يتحقق تقدم في العلاقات بين العرب حتى تستقر العلاقات بين العرب والغرب وتزول كل العقبات التي تعرّض استقلال سوريا » .
ووجد .. « جيب » « أنه يوجد عدم تكافؤ بين تأييد بريطانيا ، لإقامة وطن قومي لليهود طبقاً (لوعده بلفور) عام ١٩١٧ ، وقيام اتحاد عربي » .

وتباً بأن اليهود الذين يؤيدون تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية وإسرائيلية سيؤيدون « قيام اتحاد عربي في حين يرفض هذا الاتحاد اليهود الذين يعارضون التقسيم » .

وأمن « تشرشل » في سبتمبر ١٩٤١ ، ثم « روزفلت » فيما بعد ، بأن مخاوف العرب من قيام دولة يهودية مستقلة جداً إذا كانت هذه الدولة في إطار اتحاد عربي أكبر .

شكلت لجنة وزارية برئاسة «إيدن» في ٢٦ سبتمبر عام ٤١ اتفقت على خطة اتحاد لأنّه
جادلية وتثلّ مصلحة كبرى في تسوية قضية فلسطين.

ولكن اللجنة قدمت تقريراً إلى مجلس الوزراء في ٩ يناير عام ١٩٤٢ .
«حضر التقرير - الحكومة البريطانية - من السعي لإقامة اتحاد سياسي عربي ، فإن العرب
يرغبون في إقامة كتلة من الدول العربية تكون من القوة بحيث تضمن للعرب حقوقهم في فلسطين
وسوريا وتوابعه - كجامعة متحدة - القوى الكبرى وبالذات بريطانيا وفرنسا» .

ومن جديد نصحت اللجنة الحكومة البريطانية بتبني سياسة سلية أى تبني الصيغة المقيدة ..
«إظهار التعاطف مع الأمانة والطلعات العربية وتوجيهها - قدر الإمكان - في الخطوط التي تتفق
ومصالح بريطانيا» .

وبعثت اللجنة إلى سفراء بريطانيا في المنطقة «تشجيع الروابط الاقتصادية والثقافية بين الدول
العربية» .

ومن هذا كله يتضح أن موقف بريطانيا من الجامعة العربية ومن الوحدة العربية في ٩ يناير
١٩٤٢ . هو أن يتقرب العرب اقتصادياً وثقافياً ، وأن تعطيهم بريطانيا تشجيعاً كاذباً في الوحدة
سياسية . ولا تعارض اتجاههم نحو الوحدة . بل توجهها لمصلحة بريطانيا .

وهذه السياسة تفسر بيان «إيدن» في مايو عام ١٩٤١ ..
إن «إيدن» لم يعط العرب ضوءاً أخضر لتحقيق الوحدة ، أو قيام الجامعة العربية . بل كان
يعطيهم من طرف اللسان .. حلاوة .. كما يقول الشاعر العربي القديم .

• • •

وكان العرب يجهلون الحيلة البريطانية ...
مضى العرب في خطتهم للتقارب والاتحاد ، وكل زعم عربى يمنى نفسه بأن بريطانيا ستحقق
«حلمه» .

دعا «الأمير عبدالله» ، أوليفر ليتلتون «الوزير البريطاني المقيم في الشرق الأوسط» لزيارة عمان
فزارها في ٣ أغسطس ١٩٤١ وكانت نتيجة الزيارة بياناً يقول :
«لا شيء يحول دون تنفيذ الوعود الصادر من بريطانيا وإيصال العرب إلى أماناتهم القومية
إلا أن الأمور مرهونة بأوقاتها ، والخطوة الأولى في هذا السبيل يجب أن تقدم بها الدول العربية
نفسها ، وستساعد بريطانيا ، العرب ، فعلا ، وبكل وسيلة ممكنة ...» .
ولم يخرج البيان عن خطوط السياسة البريطانية السرية !

وفي مذكرةه اعترف « الملك عبد الله » ، بأن سوريا ولبنان كانتا تحت الانتداب الفرنسي وشرق الأردن تحت الانتداب البريطاني . ومصر والعراق تربطان مع بريطانيا بمعاهدين . وفي ضوء هذا كله كان مستحيلاً أن تتحقق الوحدة العربية !

٠ ٠ ٠

ويزور « نوري السعيد » القاهرة ويلتقي « برترنارد كيني » وزير الدولة البريطاني المقيم في الشرق الأوسط عام ١٩٤٢ .

ويدور حديث طويل عن الوحدة العربية فيطلب « كيني » من رئيس وزارة العراق أن يقدم إليه مذكرة بارائه يقدّمها وتنشر تحت اسم الكتاب الأزرق ..

وأهم ما يقترحه « نوري السعيد » توحيد سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن في دولة واحدة - سوريا الكبرى - تتضمّن إليها العراق ، ويباح للدول العربية الانضمام إليها متى شاءت .

أما بالنسبة للملايين فيمنحون إدارة شبه ذاتية في المنطقة الفلسطينية التي يكونون فيها أكثرية .

ويوجه « النحاس » الدعوة إلى « جميل مردم بك » ، رئيس وزراء سوريا والشيخ بشارة الخوري رئيس الكتلة الوطنية في لبنان لزيارة القاهرة في يونيو عام ١٩٤٢ لاستطلاع رأيهما في الشؤون العربية .

ويكون موضوع البحث إقامة الجامعة العربية .

ويزور « الأمير عبد الإله » الرصيف على عرش العراق ، يرافقه « نوري السعيد » ، القاهرة في ديسمبر عام ١٩٤٢ ويلتقيان « بمصطفى النحاس » رئيس وزراء مصر . ويكون مطلب العراق تنفيذ (مشروع الخالل الخصيب) أي اتحاد سوريا الكبرى مع العراق .

٠ ٠ ٠

ويؤيد « اللورد موسين » نائب الوزير البريطاني المقيم في الشرق الأوسط - والذي أصبح وزيراً فيما بعد - اقتراحات « نوري السعيد » في الكتاب الأزرق . وتعرض هذه المقترنات على اللجنة الوزارية البريطانية الخاصة بفلسطين في نوفمبر ١٩٤٣ .

وتعارض وزارة الخارجية البريطانية هذه المقترنات - أي الحكم شبه الذاتي للملايين في بعض المناطق بفلسطين - لأنـه ، حتى المعتدلين الصهيونيين ، سيرفضونها . ولأنـ « تشرشل » سبق أن وعد « ديمبول » - قائد فرنسا الحرة في ذلك الوقت - باستمرار النفوذ الفرنسي في سوريا ولبنان . ولأنـ بريطانيا لا تريد أن تخذل « الأمير عبد الله » ، الذي أخلص لبريطانيا في أثناء الحرب . أكثر من أي زعيم عربي آخر .

ومن ناحية أخرى ، فإن بريطانيا رأت تجميد المشكلة الفلسطينية حتى تنتهي الحرب .

٠ ٠ ٠

ف ٢٤ فبراير ١٩٤٣ كان الموقف العسكري في صالح الحلفاء .

بريطانيا هزمت الألمان في العلمين .

والسوفيت قاوموا في ستالينغراد . والأمريكيون هبطوا في شمال أفريقيا .

ويعلن «أنتوني إيدن» وزير خارجية بريطانيا في مجلس العموم في ذلك اليوم تصريحه الثاني عن الوحدة العربية . قال :

«إن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب لتعزيز الوحدة الاقتصادية والثقافية والسياسية .

ولكن ، من الجلي ، أن الخطوة الأولى لتحقيق أي مشروع يجب أن تأتي من العرب أنفسهم . والذى أعرفه أنه لم يوجد حتى الآن مثل هذا المشروع الذى ينال استحساناً عاماً» .

٠ ٠ ٠

تنطلق الدعوة للجامعة العربية من مصر .

يتلقف «مصطفى النحاس» تصريح «إيدن» فأعلن «صبرى أبو علم» باسمه في مجلس الشيوخ يوم ٢٠ مارس ١٩٤٣ .

«منذ أعلن «إيدن» تصريحه فكترت فيه طويلاً . وانتهيت إلى أنه يحسن بالحكومات العربية أن تبادر بالتخاذل خطوات وسمية . فتبدأ باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة كل على حدة . وتبدل جهودها للتوفيق والتغريب بين آرائها . ثم تدعوهم إلى مصر في اجتماع ودي لهذا الغرض . وببدأ «النحاس» مفاوضات ثنائية مع الدول العربية وتعددت اتصالات وزيارات الرعامة بين العواصم العربية من ٣ يوليو عام ١٩٤٣ حتى فبراير ١٩٤٤ .

ويزور معظم الرعامة العرب القاهرة لإجراء مشاورات لوضع أسس قيام الجامعة . ولعرض وجهة نظر كل دولة عربية في هذا المجال قبل بدء الاجتماعات العامة .

ومن هذه الاتصالات تتضح الحقائق التالية :

«يرى «نوري السعيد» أن سوريا الكبيرة هي الخطوة الأولى وأراد لجذب «النحاس»

مشروعه . ولكن «النحاس» كان متحفظاً وترك الأمور للدول المعنية .

«بعث «جورдан» الوزير البريطاني المقيم في جدة يوم ٢ أكتوبر ١٩٤٣ يقول إنه عقد عدة جماعات مع «الملك عبد العزيز» . وقد أبلغه أن بريطانيا ليست ضد الوحدة . ولكنه ت يريد أن

نضي يبطئ وأن الإسراع بها خطير في أثناء الحرب .

« م. إيدن » بمصر في ٢٦ أكتوبر ١٩٤٣ فقال « تيريس شون » الوزير البريطاني المفوض إن بريطانيا لا تستطيع معارضة الفكرة على .

« م. إيدن » بمصر مرة أخرى في ٧ نوفمبر ١٩٤٣ فاقش موضوع الاجتماعات العربية . طلب « النحاس » الموافقة على أن يشترك الفلسطينيون في الاجتماعات فرفض « إيدن » الالتزام بأى شىء .

اقترح « النحاس » أن يحضر الاجتماعات نفس المتذوبين الفلسطينيين الذين اشتراكوا في مؤتمر لندن عام ١٩٣٩ باعتبار أن الذين قبلتهم لندن يمكن أن تستقبلهم القاهرة . ولكن « إيدن » أكفى بأن يقول إن هذه المسألة تدرسها الإدارات المختلفة في لندن

وقد عارضت وزارة الخارجية والمستعمرات في اشتراك الفلسطينيين . وكان زعاؤهم الثوريون معطلون في روسيبيا .

ورفضت بريطانيا أيضاً أن يشترك زعماء شال أفريقيا العرب حتى لا تغضب فرنسا . ورفضت بريطانيا اشتراك « السنوسى » لأن ليبيا مختلفة ومصيرها يقرره الحلفاء في مؤتمر السلام . ورفض البريطانيون الاعتراف « بالسنوسى » . وكان مقيناً بمصر . يطالب بالاستقلال بعد انتهاء الحرب .

« في ٢٥ فبراير ١٩٤٤ أبلغ « كورنوليس » السفير البريطاني في بغداد . « نوري السعيد » أن يضي يبطئ في مباحثات الوحدة . وأن العراق ملزم بالشراور مع بريطانيا ومن الأفضل تأجيل الفكرة لما بعد الحرب .

اعترف « نوري » أن المعاهدة البريطانية العراقية تلزم بذلك . وعقد مجلس الشيوخ المصري جلسة سرية في ٢٩ فبراير ١٩٤٤ بين فيها « النحاس » مصاعب اشتراك الدول غير المستقلة في اجتماعات الجامعة .

»

أبلغ « كيلر » حكومته أن « النحاس » حريص على إبلاغ الحكومة البريطانية بكل شىء عن مشاوراته وأنه يسلم السفاراة تفاصيل لقاءاته ومشاوراته .

وقال كيلر إنه لا يفهم الحكمة من معارضته المؤتمر المقترن .

ردت الخارجية في مارس ١٩٤٤ بأن بريطانيا لا تعارض حتى لا يقال إنها سبب فشل الوحدة العربية . ولكن بريطانيا لا تزيد أن يتحول الاجتماع إلى مظاهرة ضد سياستها في فلسطين . وأن

العرب سيجدون وسيلة سهلة لتبرير أخطائهم بـ«اللوم على الآخرين». ولا بد من جدول أعمال مقدماً عن المسائل التي سيفتق عليها المجتمعون، وأن السفير يجب أن يعمل على ألا ينحرف «النحاس» بالمؤتمر لزيادة التوتر في المنطقة بين العرب واليهود. حتى لا يتحقق إضراراً بجهود الحلفاء الحربيين وأن الجلسات العلنية تعد مقدماً وبعثابة».

ولكن يقدم الدبلوماسي «هانكى» إلى وزارة الخارجية مذكرة يقول فيها يوم أول يونيو ١٩٤٤:

«إن موقف «النحاس» أصبح محرجاً لنا. إنه يريد إقامة توازن بين عدم استقراره داخل مصر بالدعوة للوحدة العربية».

تحن الذين ينفيه في منصبه. وتأمل ألا يصرخ عالياً ضد سياستنا في فلسطين».

وبعد أسبوع أطلع «النحاس باشا» السفير البريطاني على مشروع الخطاب الذي سيوجهه للدول العربية بطلب عقد اجتماع تمهيدي في يوليو أو أغسطس. ولكن «والتر سمارت» قال «أمين عثمان» بعد أن أطلع على المسودة إنه يطلب من «النحاس» البطء وأن يتشاور معه قبل اتخاذ أي خطوة..

وقد اعترضت الخارجية البريطانية على خطاب «النحاس». وطلبت من «كيلر» إبلاغه أن الوقت غير مناسب للمؤتمر لأنه سيثير قضية فلسطين.

أبلغ «كيلر» هذه الرسالة «للنحاس» في ٢٣ سبتمبر. ولكن «النحاس» كان قد بعث بالرسالة إلى الدول العربية.

ويبلغ «النحاس» كيلر أن الماقشة ستكون في الحدود المناسبة.

وطلبت بريطانيا من «النحاس» التأجيل إذا أبدت بعض الدول العربية تقويرها من الحضور. أو أبدت عدم جدواي الاجتماع».

وطلبت من «النحاس» إذا لم يكن هناك اتفاق في الشؤون السياسية أن يركز على المسائل الاقتصادية والتعاون الثقافي. وإلا فلا فائدة من المؤتمر على الإطلاق».

وطلبت بريطانيا من «النحاس» ضمانات بالنسبة لسوريا ولبنان لعدم إغضاب الفرنسيين. في ٥ يونيو ١٩٤٤ بعث «كيلر» إلى وزارة الخارجية في لندن يقول:

١ - انتهزت فرصة حديث جرى أخيراً مع «أمين عثمان» لتحذير «مصطفى النحاس باشا» للتريث في شأن مؤتمر الوحدة العربية. فلم أركيف يمكن أن يتجنب المؤتمر موضوع فلسطين بما يكتنفه من مشاكل. وهو أمر لا بد أن يدركه «النحاس» فهو يسبب ضرراً بالغاً.

وق في نفس الوقت لم أكن - بصرامة - قلقة على أن يعقد المؤتمر من خلال جهد إيجابي أو سعي من جانبنا .

ومن الأفضل «النحاس» أن يدع الفكرة تأخذ مجريها في بطره وهذا أسهل حالاً . فقد انتهى تناقض «النحاس» على الرعامة مع «نوري السعيد» بمخرج «نوري السعيد» من الحكم .
٢ - قال «أمين عثمان باشا» : إنه لم يكن متخصصاً أبداً هذه المحادثات حول العروبة التي بعدها عمليات لاجدوى منها .

ووافق تماماً على أنه من الحق إتاحة أي فرصة لإثارة مشاكل فلسطين التي يمكن أن تسبب ضرراً غير متوقع .

ووعد بالحديث مع «النحاس باشا» و «فرملة الموضوع» .

• • •

وفي ٢١ يونيو ١٩٤٤ بعث «النحاس» إلى ٦ دول عربية هي : العراق . وسوريا . ولبنان . وشرق . والأردن . وال سعودية . واين ، بأنه تقرر اجتماع اللجنة التحضيرية في أوآخر يوليو وأوائل أغسطس .

وقال «كيلرن» «للأمير عبد الإله» الوصي على عرش العراق يوم ٢٦ يونيو ١٩٤٤ إن تصرف «النحاس» ضار بالإنجليز والدول العربية لأنه سيثير قضية فلسطين .

وتطلب وزارة الخارجية البريطانية إلى سفيرها في العراق «السير كورنويليس» أن يبلغ رئيس وزراء العراق «حمدى الباجه جى» رغبة بريطانيا عدم إثارة قضية فلسطين في اجتماعات القاهرة . ويتم اللقاء يوم ٥ يوليو ويكتب «كورنويليس» إلى لندن :

١ - قام رئيس وزراء العراق «حمدى الباجه جى» بزيارة لبحث مسألة الوحدة العربية .
قال إنه من المهم ألا تضيع الدول العربية وقئاً في الوصول إلى اتفاق يضم الخادم سياسة خارجية مشتركة إذا تعرضت دولة منها للتهديد بالخطر . ويؤدي . أيضاً . إلى تحسين علاقاتها الاقتصادية والثقافية وعلاقاتها الأخرى .

ورغم - قبل بحث المسألة أمام مجلس الوزراء العراقي - أن يعرف وجهة نظر حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا لأنه يرى ، بشدة ، ألا تفعل الحكومات العربية شيئاً معارضًا لسياستنا .

٢ - أوضحت سياسة حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا طبقاً للتعليمات الصادرة لي .

.. أكدت بصفة خاصة أن حكومة صاحب الجلالة ، لا ترغب في إثارة قضية فلسطين .

في الوقت الذي توجه فيه جميع جهودها ضد العدو المشترك .

٣ - قال دولته إنه يقدر وذلك تقديرًا كاملًا . ولا يدري سببًا لعدم اجتماع اللجنة مع إصدار قرار بتأجيل بحث المسألة الفلسطينية إلى ما بعد الحرب .
وقال إنه متفق على أن الوحدة العربية والدول العربية ذاتها ، ستزدهر في المستقبل إذا واصلوا تعزيز الروابط مع بريطانيا العظمى .
وقال إنه يتمنى تقديم اقتراح بأن يكون جزء من سياستهم المشتركة ، الدخول في تعاون مع حكومة صاحب الجلالة لفترة أولية لمدة ٣٠ عاماً .
أوضحـت سياسة الحكومة البريطانية . وهو يؤيد بشدة تأجيل القضية الفلسطينية إلى ما بعد الحرب .

وتجه تعليمات إلى «السير كورنويليس» السفير البريطاني - ليقابل «نوري السعيد» ويطلب منه تأجيل إثارة قضية فلسطين حتى تنتهي الحرب .
 أكد «نوري السعيد» للسفير - في اليوم التالي - ٦ يوليو - أن المؤتمر لن يتخذ قراراً في قضية فلسطين ، وأن المسألة الفلسطينية ستُراجَل إلى ما بعد انتهاء الحرب .
 ويقدم «هانكى» الدبلوماسي بوزارة الخارجية البريطانية مذكرة ثانية إلى الوزارة يوم ١٥
 يوليو ١٩٤٤ يقول فيها :
 أفتقدنا «النحاس» بأن يركز جهوده على أمور عبّاك الاتفاق عليها مثل الحالات الثقافية والاقتصادية .

وقد وعد «النحاس» بـ«الإفراج عن الأسرى» بعدم إثارة المسألة الفلسطينية، وبطريقة تؤدي إلى أي نزاع».

ويتجه «موسى شرتوكه»، الذي تولى وزارة الخارجية الإسرائيلية بعد ذلك باسم «موسى شاريت»، إلى المندوب السامي البريطاني في القدس في ٢٤ يوليو ١٩٤٤ ليجدد مخالوف الصهيونيين من الاجتماع القادم:

وكتب المندوب السامي البريطاني هذا التقرير :
«بلغت «مستر شرتوك» أنه - حتى انعقاد المؤتمر من أساسه - ليس أمراً مؤكداً في الفترة
القريبة التي يتصورها ، وأننا مدركون تماماً للأخطار التي أشار إليها ، وسنعمل ما في وسعنا
لتجنيبها . وما يسهل علينا هذا العمل أن يتمتع الآخرون على إثرارة مشكلة فلسطين من جانبهم .
إننا لا نستطيع أن نعمل أكثر من هذا .

لقد أعلنا تعاطفنا مع فكرة الوحدة العربية وليس بوسعنا التراجع عن ذلك حتى لو رغبنا فيه » .

وتحصص وزارة الخارجية البريطانية كل جهودها خلال صيف عام ١٩٤٤ لتضمن عدم مناقشة قضية فلسطين بطريقة فيها إجراج لبريطانيا .

» »

كتب « كيلون » إلى لندن يوم ١٠ يوليو ١٩٤٤ في البرقية ١٣٦٦ يقول : « كان رد فعل « أمين عثمان » أنه إذا تلقى « النحاس » ردًا من إحدى الدول العربية يفيد بأن موعد الاجتماع غير مناسب . أو أنه سابق لأوانه . فإن « النحاس » سيرافق ، وبالنسبة لفلسطين فإن التحاس يستطيع أن يدبر الأمر .

وإذا تذرع تمثيل الفلسطينيين في الاجتماعات بسبب الحرب ، فإن المشكلة ستوضع على الرف بمباشرة مشتركة » .

ويكتب « كيلون » مرة أخرى إلى لندن في سبتمبر ١٩٤٤ . أن « النحاس » « يأسف لما دبره بدورة اللجنة التحضيرية . وهو يرى أن الأمور تترافق بسرعة من بين يديه . ولكن « النحاس » الذي بدأ المسيرة يرى أنه من الصعب عليه التراجع . هناك آخرون مستعدون لالتقاط الخطوط وقيادة الوحدة العربية وعقد الاجتماعات في مكان آخر » .

ويقول « اللورد كيلون » : « إن نقل المؤتمر إلى عاصمة أخرى غير مرغوب فيه . إننا لا نستطيع أن نكبح جماح المداولات كما نفعل هنا » . والغريب في الأمر أن « كيلون » كان قد بعث في ١٨ مارس ٤٣ . بعرض على عقد الاجتماع في القاهرة حتى لا يتآيد حق مصر في طلب الرعامة العربية .

» »

وقبل أيام من اجتماع اللجنة التحضيرية يقدم « هانكى » مذكرة ثلاثة إلى وزير الخارجية في ١٦ سبتمبر ١٩٤٤ يقول فيها :

« المسرح الآن معد .. الزعماء العرب جميعاً أعمارهم بين الستين والسبعين » . ويعدد « هانكى » الحالات بين الزعماء العرب ثم يقول : « إن الفلسطينيين لم يتتفقوا على وقد يمثلهم لغياب زعامتهم . والمفتي - « الحاج أمين الحسيني » - في ألمانيا .

وسيكون هناك صراع بين المجتمعين .

ولا نخوض نحن - بريطانيا - على الاعتراض وتأجيل هذا الصراع فإنهم في هذه الحالة سيفقون
صلنا .. لأننا نعارض الوحدة العربية .
ولا نستطيع أن نعمل شيئاً الآن .

وقد حصلنا على تعهدات من المشاركين في الاجتماعات بأن أية إشارة لفلسطين ستعالج بخصوصها
حتى لا يتضاعف التوتر في أثناء الحرب » .

وبعثت بريطانيا بتعليمات إلى وزرائها المفوضين في جدة وعمان ، لتهيئة خطوات الحركة والإقلاع
الرعماء العرب بأن المسائل الشائكة مثل فلسطين وسوريا ، يجب إبعادها عن مسألة الوحدة
العربية .

ولكن بريطانيا ترى في نهاية الأمر أن « النحاس » هو الأفضل للقيام بهذا الدور العريق . لأنه
ضد الملك فلا يؤيد أسرة ملكية .

ومصر أفضل لأنها ليست مشتركة في صراع أسر أو قبائل ، وليست لها مطامع في الأرض
العربية في آسيا .

ومصر أفضل لابتعادها عن الشؤون العربية ولا هنائها بمسائلها الداخلية ويسوء سكانها
وعددهم وثرواتها .

وقبل ذلك قالت مذكرة لوزارة الخارجية في أبريل ١٩٤٣ :
« يجب أن نفعل مثل « سامبو الأسود » - أي الفرد - فجلس على شجرة ونزله النمور تغزو
عضها إرباً » .

* * *

ويكتب « اللورد مورن » في ٧ سبتمبر ١٩٤٤ إلى لندن قائلاً :
« لقد عارضنا الفكرة ، ولكن لا يمكن الضغط أكثر من ذلك . وإلا ثارت الشبهات »
وأخيراً يحدد يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٤٤ موعداً لاجتماع اللجنة التحضيرية .

* * *

استمرت الاجتماعات التحضيرية للجامعة العربية من ٢٥ سبتمبر ١٩٤٤ حتى ٧ أكتوبر
بالإسكندرية .

وانتهى الأمر باتفاق على توقيع (بروتوكول) قيام الجامعة العربية ، على أن تكون اتحاداً .
وألا تتخذ هذه الجامعة أي إجراء لحل الخلافات بين الأعضاء . وأن يكون التحكيم اختيارياً .

وأرجو البحث في موضوع قيام محكمة العدل العربية .
وانتقد على تكوين لجنة سياسية فرعية تعدل نظام الجامعة العربية .

• • •

ويوقع (بروتوكول) الجامعة العربية يوم ٧ أكتوبر ويقال «مصطفى النحاس» رئيس وزراء مصر في اليوم التالي ؟ .

وتتغير الحكومات في كل من سوريا والأردن . بعد أسبوع ، أي في ١٤ أكتوبر .
وتثور شكوك في أن ذلك تم نتيجة لتوقيع البروتوكول ، ولكن السبب الأساسي لتغيير
الحكومات الثلاث كان لأسباب داخلية في كل بلد . وتتأخر إعفاءه انتظاراً لتوقيع (البروتوكول) .

• • •

وبنها «أحمد ماهر» بعد «النحاس» .

ويلتقط «نورى السعيد» ببرئاسة شون «الوزير البريطاني المفوض في القاهرة ويعرب - نورى
السعيد - عن اختياله لأن «أحمد ماهر» استيقى «الدكتور محمد صلاح الدين» ، سكرتير عام
وزارة الخارجية الوفدى في منصبه «فالدكتور صلاح الدين» كان مفيداً في الاجتماعات التمهيدية
بالإسكندرية .

ويoyal «أحمد ماهر» الاهتمام بالجامعة العربية ، ويعقد اجتماعاً للجنة السياسية يوم ١٤ فبراير
١٩٤٥ .

وتستمر هذه الاجتماعات في عهد «القراشى» حتى يوقع الميثاق .

• • •

انتهت الحرب في أوروبا يوم ٧ مايو بهزيمة «هتلر» واستسلامه بلا قيد ولا شرط ، وانتصار
الحلفاء : بريطانيا ، والولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى ، وفرنسا .

وظلت الحرب مستمرة في الشرق الأقصى ضد اليابان .

وواجهت مصر والجامعة العربية أول أزمة عربية «سادة» .

قررت الحكومة السورية عدم تدريس أية لغة أجنبية في المدارس الابتدائية فاعتبرت فرنسا أنها
المقصودة بهذا القرار ، حتى يمنع تدريس اللغة الفرنسية في هذه المدارس كما كان متبعاً أيام
الاحتلال .

ورأى «ديجول» الرد بالرذام سوريا بتوقيع معاهدة مع فرنسا وحقها في الاحتفاظ بقواعد
عسكرية في سوريا وأنزل - بالفعل - قوات سنغالية في ميناء بيروت .

ووجدت سوريا أن هذه القوات متقدمة نحو دمشق . فقامت مظاهرات في سوريا ولبنان وأضطرابات ومصادمات ضد القوات الفرنسية .
تدخلت فرنسا بعنف لقمع المظاهرات ، واستخدمت الدبابات والسيارات المصفحة والمدفع ضد المتظاهرين .

وأُلقت القنابل على دمشق يوم ٢٩ مايو ١٩٤٥ . فسقطت فوق مبنى البرلمان .
وقتل من البوليس السوري ٨٠ ، ومن المدنيين ٤٠٠ ، وجرح ٥٠٠ . وقوت الموقف في سوريا والعالم العربي كله .

وكان « تيرينس شون » قد نقل من القاهرة وزيرًا مفوضاً لبريطانيا في دمشق . فأبلغ حكومته بال موقف وطلب تدخلها ، لأن الحرب لا تزال مشتعلة في اليابان ، وسوريا هي نقطة مرور للشiff الأقصى ، والجامعة العربية لا تزال وليدة .

أذاع « تشرشل » إنذاراً « لمديحول » بوقف العدوان والانسحاب من سوريا .
وطلب القائد البريطاني للقوات البريطانية العسكرية في سوريا من الفرنسيين عودة قواتهم إلى الثكنات على أن يحرسها البريطانيون .

وعقدت الجامعة العربية اجتماعاً أيدت فيه سوريا ولبنان .
وتوجه « بنكفي تاك » الوزير الأمريكي المفوض إلى رئيس وزراء مصر يسأله عن موقف مصر إزاء أحداث سوريا ولبنان . ثم بعث إلى وشنطن البرقية رقم ١٢٨٦ وفيها يقول :
« طلبت مقابلة « التقراشي باشا » رئيس الوزراء .

انتهزت الفرصة وبخت معه عدداً من القضايا السياسية الداخلية والخارجية .
ذكر رئيس الوزراء أنه بالنسبة لموقف مصر ورد فعلها إزاء الشرق فإن مصر قطعت على نفسها عهداً خلال الاجتماع الأخير لجامعة الدول العربية بأنها مستعدة ، بياخراص ، لتنفيذ الالتزامات التي تم الاتفاق عليها في الاجتماع .

وقال إن فرنسا تحلى بالإضطرابات لنفسها في منطقة الشرق الأدنى بأسرها . وقد تضررت الحكومة المصرية ، في النهاية ، لتخاذل إجراءات تستهدف المقاطعة الاقتصادية والثقافية لفرنسا ... حتى قطع العلاقات الدبلوماسية .

وقال إن هذه الخطوة الأخيرة لا يمكن اتخاذها إلا بعد إجراء مشاورات مع الحكومة البريطانية » .

طلت بريطانيا خائفة من قيام الجامعة ورفضت الاعتراف بها .
وقالت إن الجامعة ليست دولة ولا منظمة دولية معنفأ بها من الأمم المتحدة . كما أن بريطانيا
ليست من الدول الأعضاء في هذه الجامعة .

وتكتب الجامعة العربية إلى السفارة البريطانية في القاهرة ولكن السفارة لا ترد على الجامعة !
ويلتقي « ولتر سمارت » المستشار البريطاني الشرقي « بعيد الرحمن عزام » الأمين العام للجامعة .
قال « عزام » :

ـ تم الاتفاق بين الدول العربية على أنه يمكن للأمين عام الجامعة العربية معالجة هذه المسائل
بالنيابة عن الحكومات المختلفة في الجامعة .

إن الجامعة العربية تعامل في كافة المسائل مثل الصحة والاقتصاد إلخ .
ويجب أن يتم الاتصال مع الحكومات المختلفة عن طريق الأمين العام .
وإذا تم الاعتراف بالجامعة العربية ، فإن مثل هذه المراسلات تصبح بالتأكيد مسألة عادلة .
رد « سمارت » :

ـ نحن لا نستطيع الاتفاق معك في هذا الأمر .
قال « عزام » :

ـ لقد اتفقت الدول العربية على أن أمين الجامعة يستطيع التعامل معكم باسم الدول العربية
وهذا هو الخل العمل .
إننا نتعامل مع موضوعية أمريكا بهذه الطريقة . وقد أبلغتكم ميثاق الجامعة وتلقيت منكم
رداً .

قال « سمارت » :

ـ نحن لم نرسل ردًا .

ويكتب « سمارت » للسفير :

ـ الجامعة العربية مسألة مبهمة . ولا يمكن الاعتراف بها رسميًّا ، ولا يمكن تجاهلها . ولا نريد
أن تسبقنا أمريكا في هذا الأمر .

ويحسن أن نرد على رسائل الجامعة العربية ، وهذا لا يعني أبدًا الاعتراف الرسمي بالجامعة
كشخصية جماعية وقانونية .

ولا مانع من الاعتراف برسائل الأمين العام للجامعة وإبلاغه استلام رسالته ، وإننا
سنوصلها لوزير خارجية بريطانيا .

ولكن السفير لا يوافق .

التحق « بالقراشي » وقال له يوم ٥ يناير ١٩٤٦ :

ـ إن الوقت لا يزال مبكراً جدًا بالنسبة للاتصال الرسمي المباشر مع الجامعة العربية .
إن هذه الجامعة لم تكن ولا يمكن أن تكون أبداً ، كياناً له سيادة يمكن الاعتماد عليها .
ولا أعرف سابقة لذلك .

ولكن - بطبيعة الحال - سيكون هناك استمرار للاتصال ، غير الرسمي . معها . وأتمنى ألا يكون هناك سوء فهم في ذلك .

إن الجامعة العربية منظمة تثير الإعجاب . وقد أخذت شكلها الفعلى بصورة أكثر فعالية وبسرعة . ولكن هناك مخاطر معينة .
وبين المسألة معلقة .

ولم تعرف بريطانيا بالجامعة العربية إلا في ١٦ أكتوبر عام ١٩٤٦ بعد ٨ شهور من استقالة « القراشي » .

ولكن الجامعة التي بدأت نشاطها في عهد « القراشي » تظل - دواماً - نقطة أخرى في حلقات الخلاف والتوتر بين « القراشي » .. « وكيلون » .

• • •

ويكتب الصحفى اليهودى « جون كيمش » مراسلاً وكالة روبرت فى لندن « إن شعوب الشرق الأوسط ترقص على فوهه بركان . وإن المشكلة الفلسطينية تعرق العالم العربي » .
وتذكر أنظار مصر على قضية فلسطين .. وتصبح هذه القضية محور الاهتمام المصرى .
وبعد أن كان الزعماء السياسيون . والرأى العام المصرى . يبحثون كل قضايا مصر والعالم العربى : أصبحت مسألة فلسطين هي قضية الساعة في مصر .

قرار .. يوم وقفه عرفات !

الصلت السفارة البريطانية تليفونيا برئاسة مجلس الوزراء وقال المتحدث :

- السفير البريطاني « اللورد كيلون » سيمود مساء اليوم من لندن . وهو يزيد مقابله رئيس الوزراء في الخادية عشرة من صباح الغد .

قال مدير مكتب رئيس الوزراء :

- غدا الثلاثاء ١٣ نوفمبر عطلة لأنه يوافق وقفه عرفات .

قال المتحدث :

- تلقينا برقية بذلك من لندن ، ولا نستطيع تعديلها لأن السفير حالياً في الطائرة بين لندن والقاهرة .

ولم يسع « التقراشي » إلا القبول .

• • •

و جاء « اللورد كيلون » يحمل إلى « التقراشي » نص بيان « أرنست بيفن » وزير خارجية بريطانيا ، بشأن فلسطين قبل ساعات قليلة من إلقائه في مجلس العموم البريطاني ، حتى لا تفاجأ مصر بالبيان .

وأبلغ البيان في نفس الوقت إلى كل الحكومات العربية ليثير خصجة بين العرب وداخل فلسطين أيضاً إذ رفض كل من العرب واليهود ، قبول المقترفات البريطانية .

قال « بيفن » :

° ستمع بريطانيا بهجرة ١٥٠٠ يهودي شهرياً إلى فلسطين .
 ° تشكيل لجنة تحقيق بريطانية أمريكية لفحص الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية
 بفلسطين فيما يتصل بمسألة الهجرة اليهودية والاستيطان فيها .
 فحص مركز اليهود الذين كانوا ضحية الاضطهاد في أوروبا وتقرير أولئك الذين يرغبون
 أو منضطرون احراهم للهجرة إلى فلسطين أو غيرها من بلاد أوروبا .
 وبيان ييفن طويل يفرق بين الصهيونية واليهودية ويتكلم عن مساعدة يهود أوروبا الذين عذبوها
 في عهد النازية الألمانية والفاشية الإيطالية لمساعدتهم على العيش في سلام .
 ويعلن « ييفن » أن بريطانيا لم تعد قط بإقامة دولة يهودية في فلسطين .

° ° °

كان مجلس جامعة الدول العربية مجتمعاً في القاهرة منذ ٣١ أكتوبر ، فأضيف إلى جدول أعماله
 بيان وزير الخارجية البريطاني ، ولذلك قام « اللورد كيلرن » ، والوزير سمارت ، المستشار الشرقي
 للسفارة البريطانية باتصالات شخصية بين وزراء خارجية الدول العربية وممثلها المجتمعين في القاهرة
 حتى لا يرفضوا هذا البيان .

وبعث سمارت بمذكرة إلى لندن عن نتائج مباحثاته قال فيها :
 « المسألة التي ظهرت من المحادثات مع أعضاء جامعة الدول العربية هي اعتقادهم بأن
 الاقتراح المخاص بتقليل الانتداب إلى منظمة الوصاية أدى إلى تأجيل تحقيق استقلال فلسطين إلى
 أجل غير مسمى وهو الأمر الذي كان على مرئي البصر طبقاً للكتاب الأبيض .
 وظهرت مشاعر أخرى خلال محادثاتي وهي أن اليقين الفعلى للجنة الأمريكية البريطانية
 للتحقيق في المسألة الفلسطينية يرتفق في الواقع - وضمن مسائل أخرى - إلى إلغاء الكتاب
 الأبيض .

وعلى أية حال فقد أبلغني عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية أن ما يقلقهم حقاً هو كيفية
 قيامهم بشرح الموقف ، على وجه الدقة ، للفلسطينيين .
 لقد عانى الفلسطينيون العرب كثيراً من خيبة الأمل .
 ويجب أن تصبح الأمور واضحة جداً بالنسبة لهم ، بسبب التغير في السياسة البريطانية .
 وليس من السهل في الوقت الحاضر أن توضح لهم أن الكتاب الأبيض لا يزال سارى المفعول .
 وهناك سبلان يمكن اتباعها :

إبلاغ الفلسطينيين العرب بقبول اقتراح المجرة المؤقت على أساس أن الكتاب الأبيض لا يزال يشكل سياسة حكومة صاحب الجلالة .
والسبيل الآخر أن يطلب تأكيداً من حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا بأن الكتاب الأبيض لا يزال سارى المفعول .
أعتقد أنه من الأفضل ألا يطلب من حكومة صاحب الجلالة إصدار مثل هذه البيانات في الوقت الحاضر .

قال « عزام » بأن « التفراشى » أبلغه أنه فهم أن « اللورد كيلرن » أبلغ « الملك فاروق » بأنه لا اعتراض لدى حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا على إعلان أن الكتاب الأبيض لا يزال سارى المفعول .

وسألنى « عزام » عما إذا كان « التفراشى » قد فهم الأمر بصورة صحيحة . إن الأمر سيكون أكثر سهولة لتوضيح المجرة المؤقتة للعرب . إذا أصدرت حكومة صاحب الجلالة بياناً بأن الكتاب الأبيض سارى المفعول .

قلت « عزام » إنني لا أعرف شيئاً عن هذه النقطة التفصيلية في حديث السفير مع « الملك فاروق » .

قال « عبد الرحمن عزام » في اجتماع المجلس يريد ضرورة المرونة في الرد :
ـ إن الحكومة البريطانية اضطررت تحت ضغط يهود أمريكا إلى قبول المجرة الجديدة . ونحن نريد إزامها بالتعهدات التي جاءت في الكتاب الأبيض . ونريد إعطاء يهود فرصة الاحتجاج أمام الأميركيان وأمام حزب العمال . بأن الأمر موضع تفاوض مع العرب .
وفيما يتعلق بلجنة التحقيق :لاحظ أن المجلس يريد أن يقف منها موقف المذر والتربيث دون أن يتقييد بمقاطعتها ولا بالتعاون معها .

أما الوصاية فزيد أن نضع نصاً لا يرفضها ولا يقبلها ، نزيد نصاً بشكل غامض .
إننا متلقون على رفض المجرة .
ولا نرغب في الوصاية أو الانتداب .
نريد صراحة استقلال الفلسطينيين .

ويضع « الدكتور محمد حسين هيكل باشا » ، رئيس مجلس الشيوخ المصري ، « وحبيب أبو شهلا » نائب رئيس الوزراء السابق في لبنان مذكرة برد مجلس الجامعة وافق عليها الأعضاء بعد اجتماعات .

قال الرد الذي سلم لبريطانيا يوم ٥ ديسمبر ١٩٤٥ .

إن بيان ييفن جاء نتيجة للضغط السياسي الصهيوني . وأن الغرض الصهيوني هو إقامة دولة يهودية في فلسطين ولا تستطيع الدول العربية التسلیم بيهجرة أنسابها الضغط .. كما أن دول الجامعة - التي تربطها مع بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية أحسن روابط الصداقة - لا ترى مبرراً لأن تتناول لجنة التحقيق مسألة الهجرة إلى فلسطين .

وبعث المجلس يوم ٥ ديسمبر برد إلى « ييفن » تضمن هذه المعانى .

• • •

كان رأي الجامعة العربية يعتمد على أن بريطانيا أصدرت في ١٧ مايو عام ١٩٣٩ كتاباً أبيض ، تضمن التزامها بسياسة معينة في فلسطين ، هدفها الحصول على تأييد العرب لبريطانيا إذا قامت الحرب .

ويتضمن الكتاب الأبيض على :

- تنوی بريطانيا إنشاء دولة فلسطينية مستقلة خلال ١٠ سنوات .
- السماح بيهجرة ٧٥ ألف يهودي إلى فلسطين خلال ٥ سنوات وبعد ذلك لا يسمح بيهجرة يهودية إلا إذا كان عرب فلسطين على استعداد لقبولها .
- منع اليهود من امتلاك الأراضي في مناطق كثيرة وبذلك لم يكن لليهود سوى ٥٪ من أرض فلسطين .

ومنع المندوب السامي البريطاني في فلسطين سلطة منع بيع الأراضي وتنظيم انتقالها .

◦ ليس من سياسة الحكومة البريطانية ، أن تصبح فلسطين دولة يهودية . ولذلك فإن الجامعة وجدت أنه ينبغي على بريطانيا التمهيد لنقل السلطة في فلسطين إلى دولة عربية مستقلة . وترى الجامعة أنه بانتهاء عام ١٩٤٤ تتوقف الهجرة لأن للعرب حق الفيتو . ولكن الهجرة الشرعية وغير الشرعية أدت إلى رفع عدد السكان اليهود في فلسطين من ٥٥ ألفاً عام ١٩١٩ إلى ٤٠٠ ألف عام ١٩٤٥ ، أما عدد السكان العرب فهو ١,٢٠٠,٠٠٠ نسمة . وكان عدد العرب ١٠ أضعاف اليهود فأصبح اليهود يمثلون نصف السكان العرب .

وقال العرب إن الكتاب البريطاني الأبيض قد أهدر بهذه الطريقة . ولن تكون هناك نهاية الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

وقال بيان مجلس الجامعة العربية إنه يرجو تأييد الديمقراطية بمسكين الأكثريه من تقرير مصدر فلسطين وتحقيق استقلالها .

الغريب في الأمر أن العرب عام ١٩٣٩ ، رفضوا الكتاب الأبيض برغم ما فيه من اعتراف بريطانيا مبدئياً بحق فلسطين في الاستقلال .

لقد رفض اليهود الكتاب الأبيض لأنه يتضمن عدول بريطانيا عن تقسيم فلسطين إلى دولتين ، كما أنه حدد المиграة بصفة نهائية وقيد بيع الأرضي لليهود .
وأيد هذا الكتاب حزب فلسطيني واحد ، هو حزب الدفاع برئاسة « راغب الشاشبي » .
طبقاً لسياسة (خذ وطالب) .

وكل مؤرخي الحركة الصهيونية قالوا إنه لو قبل العرب الكتاب الأبيض لما قامت دولة فلسطين لأن بريطانيا كانت ستضطر إلى تنفيذ الكتاب الأبيض .

“ ”

كان من رأى العرب بعد الحرب العالمية الثانية أنه بوفاة « هتلر » فإن اليهود لن يفكروا في ترك أوروبا ، بل سيهاجرون من فلسطين عائدين إلى أوروبا .

ولكن العراق سبق مجلس الجامعة فبعث برسالة عاجلة إلى بيفن وقدم مشروع قانون إلى البرلمان العراقي مطالباً بوطن قومي للعرب في كاليفورنيا باعتبار أن أمريكا أكثر تأييداً من بريطانيا لليهود !
ويعتذر رئيس وزراء الأردن « إبراهيم هاشم باشا » للمستشار الشرقي البريطاني قائلاً :
ـ إن رد الجامعة العربية لا يعني إغلاق باب المиграة فإن الجامعة لن توافق على مزيد من المиграة .

إن كل مندوب عربي عاقل ، ولكن إذا اجتمع اثنان أو أكثر ، فإن أحدهما لن يجرؤ على الموافقة على المиграة . و موقف « الأمير عبد الله » - أمير شرق الأردن - صعب لاتهامه بالترحيب بالشركات اليهودية في بلاده .

ويكتب « كيلر » إلى وزير خارجيته مؤكداً وجهة نظر رئيس وزراء شرق الأردن قائلاً :
ـ إن أمين الجامعة العربية لا يعتبر رد الجامعة رفضاً لمقترحات بيفن .

“ ”

وإذا كان رد العرب قد تميز بالمرونة .
فإن اليهود ردوا بالعنف والقتال في فلسطين ، لأنهم رأوا أن بريطانيا تستغل الصراع العربي اليهودي للبقاء في فلسطين .
وفي نفس الوقت استمر اليهود في ضغوطهم على بريطانيا من ناحية ، وعلى أمريكا من ناحية أخرى .

توفى الرئيس الأمريكي «روزفلت» - فجأة - مساء يوم 12 أبريل 1945 ، وتولى «هاري ترومان» منصب الرئاسة بعد 83 يوماً فقط من اختياره نائباً «لروزفلت» . وكان «ترومان» في الخادبة والستين من عمره لا يعرف أحداً من زعماء العالم ، ولم يغادر أمريكا إلا مرة واحدة فقط عام 1918 متوجهًا إلى أوروبا في سفينة ناقلة للجنود . في مذكرات «السير الكسندر كادوجان» الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية قال إن «ترومان» طلب من «تشرشل» الحضور إلى وشنطن وذلك في اليوم التالي لتوليه الرئاسة . وقال إنه يسره أن يرى «تشرشل» .

وقد «تشرشل» السفر ، ولكنه عدل في آخر لحظة بناءً على ضغط بعض الخبراء به . وقد لام «تشرشل» نفسه بعد ذلك كثيراً لأنه لم يسافر فإن «ترومان» لم يكن يعرف إلا القليل عن الشؤون الدولية .

وكان «تشرشل» رئيساً لوزراء بريطانيا يفكك في تقسيم فلسطين . ويعتمد على روزفلت في تأييده للتقسيم .

ويعتقد اجتماع بالقاهرة لسفراء وممثل بريطانيا في الشرق الأوسط وقادة القوات البريطانية الثلاث ليبحث مستقبل فلسطين ؛ وتقرر بالاجماع تأييد وجهة نظر السير أدوارد جريج الوزير المقيم في الشرق الأوسط في معارضته للتقسيم .

وقال المجمعون إن العرب واليهود سيقاومون التقسيم ، وستفقد بريطانيا صداقة العالم الإسلامي وتتمزق سمعة بريطانيا في الشرق الأوسط .

ويتعدد تشرشل قوله بعد 3 أيام فقط من وفاة «روزفلت» .
عدل «تشرشل» نهائياً عن فكرة تقسيم فلسطين .

وكان العرب يظلون أن «روزفلت» معهم . أما الحقيقة فهي أن «روزفلت» وعد «الملك عبد العزيز آل سعود» عند اجتماعه به في البحيرات المرة قرب السويس في فبراير 1945 بأن يستشيره قبل اتخاذ أي قرار بشأن فلسطين .

وأكمل «روزفلت» للملك في 5 أبريل 1945 أنه لا يجوز اتخاذ أي قرار في الوضع الأساسي لفلسطين دون استشارة العرب واليهود . وبصفته رئيساً لحكومة الولايات المتحدة لن أخذ أي عمل يعتبر عدائياً للعرب .

وكتب «تشرشل» إلى «الملك عبد العزيز» يقول إنه لن يضع حلاً قضية فلسطين يسيء إلى قواعد العدالة التي هي أساس الصداقة .

وكان وعد كل من « تشرشل » ، وروزفلت ، مبيعاً عامضاً .
فإن « روزفلت » صرخ في ٩ مارس بأن الحكومة الأمريكية ، لم تؤيد الكتاب الأبيض .
وجاء « ترومان » رئيساً ليجد أن حزبه الديمقراطي - وكذلك الحزب الجمهوري - قررا في
مؤتمريهما أواخر عام ٤٤ فتح أبواب الهجرة بلا حدود لليهود في فلسطين والسماح لهم باحتلال
الأراضي .

« ولترومان » رأى في هذه المشكلة فقد أيد كنائب للرئيس فكرة إقامة وطن قومي لليهود في
فلسطين .

• • •

ولم يكن الماضي وحده ملزاً « لترومان » ..
بعد ٨ أيام من توليه الرئاسة زاره « المخاخم ستيفن وايز » ، أحد رؤساء مجلس الطوارئ
الصهيوني في نيويورك ، يطلب منه تأييد فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين .
رد « ترومان » قائلاً :

- إنني أتعاطف مع اليهود المهاجرين من أوروبا ، ولكنني سأؤيد سياسة « روزفلت » .
وكان هذا الجواب محاولة من « ترومان » للتخلص من الضغوط .. أما السبب في ذلك ،
فيرجع إلى أن وزير الخارجية « ستينتيوس » قدّم له مذكرة - قبل لقائه بالمخاخم - قال فيها :
« سيساهم زعماء الصهيونية انتزاع التزام منه ، ولا بد من معالجة الموضوع بحرص إن
« روزفلت » امتنع عن اتخاذ موقف لأسباب كثيرة » .

وأكمل وزير الخارجية الأمريكية بالنسبة « لترومان » بعد أسبوعين . ضرورة الحرص قائلاً في
أول مايو ١٩٤٥ :

« إن « روزفلت » ، برغم أنه أبدى تعاطفاً مع بعض أهداف الصهاينة فإنه أعطى العرب
تأكيدات والتزامات من جانبنا » .

رد « ترومان » على هذه المذكرة قائلاً :
« أؤكد أنه لا تغيير في الموقف دون استشارة الطرفين » .
وكتب « محمود فهمي القراءى » إلى « ترومان » مبدياً أنه - أي الرئيس وزراء مصر -
لا فعله « هتلر » باليهود . وقال إن العرب سيقاومون ، بأى ثمن ، إقامة دولة يهودية في فلسطين
آجاب « ترومان » مكرراً موقفه « لا تغيير إلا باستشارة الطرفين » .

وهكذا يق « ترومان » ملتزمًا بسياسة « روزفلت » ... لا يتحرك ، محتفظاً بمحمود الموقف لأن
بريطانيا كانت الدولة المتقدمة على فلسطين .
ولكن الضغوط اليهودية تزداد على « ترومان » و « تشرشل » ، وعلى « مؤتمر سان
فرانسisco » . فقد طالب اليهود بتمثيلهم في هذا المؤتمر وإلغاء قيود الهجرة . وكذلك قيود بيع
أراضي فلسطين إليهم .
وأعلن اليهود أن هنار قتل منهم ٦ ملايين ...
وبعداً يهود بولندا يفرون من لانيا الغريبة .
رأى كـ « الجزاـل فـدرـيك مـورـجان » رئيس منظمة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين أن هناك
عصابة يهودية سرية . ترغم هؤلاء اليهود على الهرب من بولندا بصورة جماعية . وأن مظهر هؤلاً -
اليهود ، وما معهم من مال ، لا يوحـي بأنـهم طـردـوا .
ولـكنـ هـذاـ التـقـرـيرـ لمـ يـعـرـفـ فـذـكـ الـحـينـ . وـكـلـ ماـ أـعـلـنـ هوـ أـنـ ٦٥ـ /ـ مـنـ الـهـارـيـنـ عـبـرـواـ عنـ
رغـبـهـمـ فـيـ الـذـهـابـ إـلـىـ فـلـسـطـينـ . وـلـكـنـ السـلـطـاتـ الـبـرـطـانـيـةـ رـفـضـتـ السـيـاحـ هـمـ بـخـادـرـةـ لـانـياـ .
وـزـادـ الضـغـطـ لـأـنـ بـولـنـداـ بـعـدـ الـحـربـ . لـمـ سـتـطـعـ توـفـيرـ نـفـسـ الـفـرـصـ السـابـقـةـ لـليـهـودـ .
وـخـاصـعـ الـمـشـكـلةـ خـرـوجـ الـيـهـودـ مـنـ الـحـسـاـ وـإـيـطـالـياـ . قـاصـدـيـنـ فـلـسـطـينـ ..
وـوـجـدـ فـيـ أـورـيـاـ ١٥ـ أـلـفـ يـهـودـيـ مـشـرـدـيـنـ . وـشـغـلـ الـجـنـودـ الـأـمـرـيـكـيـونـ بـخـلـ مـشـاـكـلـ هـؤـلـاءـ .
الـلـاجـئـيـنـ .

ولم تسمع كل من أمريكا وبريطانيا بزيادة عدد المهاجرين إليها .
وأعلن اليهود أن « هتلر » يجتمع في أن يخلق في وسط أو شرق أوروبا أمة يهودية بلا وطن ..
وهذه الأمة يجب أن تهاجر إلى فلسطين .
روضعت (عصابة أرجون) الصهيونية لافتات ضخمة في كل مكان في فلسطين باللغات
الثلاث الإنجليزية والعبرية والعربية ، تطلب من الجميع إخلاء المبانى الحكومية البريطانية وعدم
الاقتراب منها لأنها ستندى .
وحملت هذه اللافتات عناوينًا ضخمةً هو « لقد حذرناكم » !

لاحق يهود أمريكا « ترمان » بالذكريات يقولون فيها إنهم ساعدوا الحلفاء في أثناء الحرب ويطلبون منه استخدام نفوذه لدى بريطانيا لفتح أبواب هجرة اليهود إلى فلسطين . وكان عدد الجنديين اليهود في القوات البريطانية قد وصل إلى ٢٧,٠٢٨ .

ولم يشارك عرب فلسطين في القتال . ولذلك فإن الخيرة التي اكتسبها اليهود في المعركة ساعدتهم في عملياتهم العسكرية بعد ذلك . وأشار اليهود إلى ما فعله مفتي فلسطين « الحاج أمين الحسيني » الذي قبض عليه الفرسان في مايو وحددوا إقامته في بيته قرب باريس .

وقال اليهود إن « أمين الحسيني » أذاع برامجه عربية من راديو برلين عام ١٩٤١ . وبعد هجوم اليابانيين على الأسطول الأمريكي في « بيرل هاربور » . بعث إلى الإمبراطور « هيرو هيتو » يقول إن العرب يصلون لنصر اليابان . وفي عام ١٩٤٢ . هنا « موسوليني » على تقدم قواته نحو الإسكندرية . ودعا المصريين لمساعدته .

وفي عام ١٩٤٤ . سافر إلى « يوغوسلافيا » لافتتاح المسلمين بمغاربة « تبتو » كما صور في « البوسنة » وهو يفتش على الجنود المسلمين الذين يرتدون ملابس الألمان . وقال اليهود إن المفتي . هو أصدق صديق لإيجان . وأنه زار سراً غرف إعدام اليهود بالغاز في « أوشوبيتز » أكبر معسكر اعتقال أقامه النازيون . وأنهالت البرقيات والالتفاسات على والدة « ترومان » وشقيقته ، يلتسمان السماح بهجرة سيدات يهوديات مشردات إلى فلسطين . وكان « ترومان » يرد بالرفض ويرجو أنه ، وشقيقته ، عدم التدخل في الشؤون السياسية .

ولكن كان مساعد « ترومان » لشئون الأقليات « ديفيد نايلز » - وهو ابن ليهودي روسي مهاجر - من المتصلين بالوكالة اليهودية ، ويتبع كل الأنبياء ويبحث « ترومان » على التدخل . روى « روبرت دونوفان » في كتابه « الصراع والأزمة » قصة سنوات رئاسته « ترومان » . قال : « كان « نايلز » عاطفياً في آية قضية خاصة باليهود يبكي إذا ذكر اسم فلسطين » . ويبداً « ترومان » يتغير تدريجياً لصالح اليهود .

قال إن وزارة الخارجية الأمريكية تهم برد فعل العرب ، ولا تهم بمعذاب اليهود . وأعلن استعداد أمريكا لتمويل عملية نقل اليهود إلى فلسطين .

• • •

ويجتمع مجلس الوزراء البريطاني برئاسة « تشرشل » ليبحث مذكرة تاریخها ١١ يونيو ١٩٤٥ عن فلسطين .

وهذه المذكرة تبين أن بريطانيا متعددة في الموقف الذي تتخذه .

عرضت هذه المذكرة ٥ حلول للمشكلة الفلسطينية.

أما السياسة بعيدة المدى فهي :

٠ نقسم فلسطين إلى دولتين : عربية ويهودية ، كما اقترحـت لجنة وزارية .

أو

٠ بقاء الإنجلizer في فلسطين حتى تتحول إلى دولة فيها قوميتان . وإقامة مجلس تشريعي يتساوى فيه عدد اليهود والعرب ، مع زيادة الفرص للعرب واليهود في إدارة الدولة وإقامة هيئة دولية يشترك فيها العرب واليهود تحدد عدد المهاجرين .

واقتصر هذه الفكرة «السير إدوار جريج» الوزير البريطاني المعين في الشرق الأوسط . وقدرت المدة اللازمة لتحقيق هذا التحويل بـ ٩ سنوات .

أما السياسة قصيرة المدى فهي :

٠ تحقيق الاستقرار في أوروبا . ومنع هجرة اليهود الروس إلى أوروبا . وبذلك لا تكون هناك مشكلة هجرة ومراجعة المستقبل دولياً .

أو

٠ الالتزام بهجرة اليهود إلى فلسطين . واستشارة العرب في ذلك . وقد يرفض العرب الفكرة لأنهم سيرون أن هذا العمل هو أول امتحان تواجهه (الجامعة العربية الوليدة) .

أو

٠ السماح بالهجرة دون استشارة العرب . ولن تكون النتائج خطيرة إذا أعلنت بريطانيا أنها مستمرة في الهجرة .

وفي هذه الحالة يتوجه العرب إلى روسيا »

وتطالب المذكرة مجلس الوزراء البريطاني بالتخاذل قرار حاسم في أي من هذه الحلول الخمسة خلال ٢ أسابيع على الأكثـر .

ويرفض «ترومان» كل ضغوط اليهود . ولا يوافق على الالتزام بإقامة دولة يهودية في فلسطين .

إن «ترومان» - في ذلك الوقت - كان مستعداً لتأييد هجرة اليهود ، نحسب ، إلى فلسطين ، ولكنه ليس مستعداً لمساندة هذه الهجرة بالقوة .

ولم يكن العرب يعرفون هذا كله ..

ولم يكن لديهم رجال حول «ترومان» ، أو حول «شرشل» ؛ بل كان العرب يسعون لنيل استقلالهم ، ويصدقون الوعود البريطانية الأمريكية التي تبذل لهم .
ولم تكن هناك خطوات إيجابية نهائية قد اتخذتها أمريكا وبريطانيا لصالح اليهود ، ومن هنا كان التردد العربي والسلبية العربية .

ولكن «شرشل» يبق حائراً فيتخاذ قرار .

لقد ظل ٣ أجيال مؤيداً للصهيونية . وهو الآن يخشى على مستقبل بلاده . إذا اتخذ قرار خطأنا .

وتكون آخر مذكرة «لشرشل» يوم ٦ يوليو ، قبل الانتخابات معيرة عن القلق والمحنة .
قال :

«إن بريطانيا تقوم بعمل مؤلم وواجب لانتال عليه شكرًا» .

وقال :

«لماذا نظل بريطانيا مسؤولة عن هذه المنطقة الصعبة في حين تقف أمريكا متفرجة؟» .
ويقترح «شرشل» نقل الاتداب من بريطانيا إلى أمريكا .

وتسمع (عصابات أرجون) الصهيونية بما جرى داخل مجلس الوزراء البريطاني فتستفت - بعد أسبوع من مذكرة شرشل .. لوريا بريطانيا يحمل المفرقعات في فلسطين وقتل قاتله .. وبعد ١٢ يوماً ، ينسفون جسراً للسكة الحديد .

ولكن «شرشل» لا يستكمل مهمته ، إذ يهزم في الانتخابات ويحيى ، حزب العمال البريطاني إلى الحكم ، ويبدأ البحث عن دور لأمريكا في القضية الفلسطينية .

• • •

كان حزب العمال البريطاني مواليًّا دوامًا للبيهود .

وعندما تولى الحزب الحكم في ٢٦ يوليو ، غمر اليهود الوزراء بالطلبات والمذكرات لتأييد الهجرة وإقامة وطن قومي للبيهود في فلسطين . وكان الحزب قد قرر في أبريل - ١٩٤٥ - زيادة الهجرة على نطاق واسع إلى فلسطين ليصبح اليهود أغلبية ، ونقل فلسطين إلى الدول العربية المعاورة وتوسيع حدود فلسطين بالاتفاق مع مصر وسوريا وشرق الأردن .

واستمر ذلك السهل من المذكرات على «ترومان» .. أيضًا .

ويلتقي «ترومان» ، بيغن ، في برلين في يوليو ، فيطلب منه تهجير اليهود إلى فلسطين .. بلا حدود أو قيود .. ، وأكده «ترومان» «لأنني» اهتمام أمريكا بمشكلة فلسطين ، واحتجاجه على

الغبود التي فرست بمحضها الكتاب الأبيض .

وعدد ، أتلي ، ترومان ، يوم ٣١ يوليو بأنه سيحث اقتراحته .. على وجه السرعة .
ولتكن « ترومان » يعلن في مؤتمر صحفي يوم ٦ أغسطس ، أنه لن يرسل نصف مليون جندي
أمريكي إلى فلسطين لصيانته السلام . وقال « ترومان » إن إقامة دولة يهودية . يتم بالتفاهم بين
بريطانيا والعرب .

رد « سعد الله الجابري » رئيس وزراء سوريا على « ترومان » قال : إن ٦٠ مليوناً من العرب
يتكونون متصارعين لمنع بتر فلسطين من العرب وتسليمها للبيهود !!
ويتحقق « غوري السعيد » بيفن » ويشرح له وجهة نظر العرب .

ويكون رأى « بيفن » أن الصهيونية نشأت من الإنجليز والأمريكيين المعادين للصهيونية .
الذين يريدون ابعاد اليهود من بلادهم إلى الشرق الأوسط .

وقال « بيفن » :

- إننا لم نحارب إلا لنجعل من أوروبا قارة آمنة للبيهود . لقد انتهت الحرب والصهيونية لم تعد
ضرورية .

قدم « إيرل هاريسون » المسؤول السابق للهجرة . وعميد مدرسة القانون في (جامعة
بنسلفانيا) تقريراً إلى « ترومان » أيد فيه طلب الوكالة اليهودية السماح بهجرة ١٠٠ ألف يهودي إلى
فلسطين .

وقال إن عدداً ضخماً من يهود أوروبا بلا دولة . ولا يريدون العودة إلى المدن المخطمة في بولندا
وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا .

وكتب ترومان إلى أتلي في ٣١ أغسطس يطلب السماح بهجرة ١٠٠ ألف يهودي إلى فلسطين
لأن ذلك يساعد على حل مشكلة اللاجئين في أوروبا .

وقال « ترومان » إن الشعب الأمريكي يرى أن عدداً معقولاً يمكن توطينه في فلسطين بأكبر
سرعة ممكنة .

رفض رئيس وزراء بريطانيا ذلك ، وكتب إلى « ترومان » يقول :

« إن المعتقلات النازية ضمت أجناساً من أوروبا . ولا فرق بين العذاب الذي لقيه أي من هذه
العناصر .

إن النازيون لم يعاملوا اليهود أسوأ من غيرهم من السجناء ، فلماذا نضع اليهود في مكان متميز

بخدمة الطابور . إن بريطانيا يجب أن تضع محل الاعتبار مشاعر ٩٠ مليوناً من المسلمين .

وأيد الجنرال « ويغل » نائب ملك بريطانيا في الهند المسلمين والعرب .

وقدم روزفلت .. كاً قدّم السياسيون البريطانيون وعوْدًا للعرب . ولا يجب الخنث بهذه
الوعود فيليب الشرق الأوسط » .

وقال أنتل :

« إن أي تغيير في سياسة بريطانيا في فلسطين سيؤدي إلى اضطرابات عنيفة في الشرق
الأوسط ، وقلق في الهند » .

وقال « بيفن » :

- إن المستولية الصهيو-يهودية في المعركتين على الخجولة إلى فلسطين وحدها
ولا يشجعوهم على السفر إلى أمريكا . أو غيرها من الدول .

وأضاف « بيفن » :

- لو أتيحت هؤلاء اليهود ، حرية الاختيار فإنهم يفضلون العودة إلى أوطانهم الأولى والحياة
في الديمقراطيات الغربية .. ، وقليلون فقط هم الذين يسعون إلى المستقبل المجهول في فلسطين .

وقال :

- إن الصهاينة باعوا لليهود الناجين من أوروبا فكرة أن فلسطين هي الأمل الوحيد لليهود .
ويذيع « ترومان » خطابه إلى « أنتل » .

ويضطر رئيس وزراء بريطانيا إلى إعلان أنه رفض اقتراحات الرئيس « الأمريكي » .

• • •

ووجد اليهود أن سياسة حزب العمال لا تختلف عن سياسة المحافظين ، وأنهم يريدون زراعة
الصداقة العربية بالعداء لآمال اليهود .

وأدرك قادة اليهود ، في سبتمبر ، أن آمالهم في حكومة العمال قد خابت .
وحددت « جولدا مائير » - التي أصبحت بعد ذلك رئيسة وزراء إسرائيل - موقف زعماء
الحكومة الصهيونية فقالت :

- لقد سمعنا من الإنجلizer خوفهم من أن العرب سيثرون متاعب كثيرة . فقررت أن تخلق
المتاعب للإنجلizer .

وأعلن زعماء اليهود :

- أن بعض طلقات فوق رؤوس العرب ، أو جموعهم تكفي لوقف معارضتهم .

ولذلك تضاعفت عمليات المجموع التي قام بها اليهود في فلسطين.

كان اللورد « هيربرت موريسون » وزير المالية في حكومة العمال ، رئيساً للجنة الوزارية لفلسطين في عهد « تشرشل » .

و« موريسون » موالي للصهيونية ، ولكنه - بعد دراسة متأنية - رأى أن الحل الأفضل هو اتخاذ سياسة قصيرة المدى.

ورأى أن الهجرة الجماعية التي يطالبها الصهاينة ويتزيد بها « ترومان » مستحبة التنفيذ على المدى القصير .

ولذلك جمع « موريسون » اللجنة يوم ٨ سبتمبر ١٩٤٥ فاختارت قراراً بسياسة قصيرة المدى ، وهي أن الهجرة الجماعية للبيهود إلى فلسطين مستحبة . ويكتفى بالساحق بهجرة ١٥٠٠ يهودي شهرياً بصفة مؤقتة .

وبعد ٣ أيام اجتمع مجلس الوزراء برئاسة « كلينمنت آنلي » ، لبحث توصيات اللجنة .
قال محضر المجلس يوم ١١ سبتمبر :

« إن حصة الـ ٧٥ ألف مهاجر يهودي المسروح بها طبقاً للكتاب الأبيض في مايو ١٩٣٩ ، لم يرق على نفاذها سوى نحو ٣ آلاف .

وأصبح أمراً عاجلاً الآن أن نتوصل إلى سياسة قصيرة المدى . وإن نفلت من النقد منها كانت السياسة التي تبعها .

وأظهر الوضع الداخلي في فلسطين دلائل تدهور .

إن اليهود والعرب على السواء ، يتسلحون ويتاهبون ضد بعضهم البعض .

وبدا ضروريًا . طبقاً للوعد الذي قطعناه في الكتاب الأبيض ، الحصول على قبول العرب فلسطين لاستمرار أية هجرة يهودية بعد نفاذ الحصة .

ولكن حتى لو استطعنا حمل العرب على الموافقة على استمرار الهجرة على نطاق ضيق ، وهو الأمر الذي يبدو مختبراً بعض الشيء من خلال المساعي الحميدة للدول العربية ، فإن الشعور اليهودي هنا وفي الولايات المتحدة سيرى أنه لم يتم عمل ما يمكن .

وعندما قدمنا إلى الوكالة اليهودية ٣٠٠٠ شهادة هجرة المتبقية من حصة الكتاب الأبيض لتنقيتها بمعدل ١٥٠٠ شهرياً ، رفضت ذلك تماماً وطالبت برقم ١٠٠ ألف .

وفي هذه الظروف توصلتلجنة فلسطين بالإجماع إلى :

- ١ - بذل كل جهد ممكن لدفع العرب إلى الموافقة على استمرار المجزرة خلال هذه الفترة بالعدل المسموح به حالياً .
- ٢ - يجب إبلاغ حكومة الولايات المتحدة بأن حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا .
يبحث بشكل عاجل تشكيل سياسة طويلة المدى بشأن فلسطين ، وأنها ترى أن تعرض هذه السياسة على المنظمة العالمية - الأمم المتحدة - في حينه .
- ٣ - ويطلب من رؤساء الأركان اتخاذ الخطوات الفورية ، لتدعم حامية الشرق الأوسط
مواجهة الالتزام العسكري .

ونوتشن الموقف منذ ذلك الحين في مؤتمر وزير الخارجية ، حول الشرق الأوسط الذي أوصى
بضرورة تأجيل أي إعلان ، حتى ينتهي موسم الحج إلى مكة ، بسبب خطورة التهاب المشاعر
العربية في ذلك الوقت ، وضرورة إجراء استعدادات عسكرية معينة .

- (ا) من الأمور بالغة الصعوبة تبرير وقف المجزرة حتى ينتهي موسم الحج .
إنه يسهل الأمور مع العرب لفترة الحج الفعلية ، ولكنه تنازل باهظ جداً .
وبينا يجب أن تناول المطالب العربية العدالة الكاملة ، فقد يؤدي ذلك إلى المبالغة في أهميتهم .
- (ب) إننا في موقف سيء الحظ .
ومهما كان الإجراء الذي تتخذه ، فمن المحتمل أن نجد أنفسنا معرضين للنقد الحاد من هذا
الجانب أو ذاك .

ومن المهم بقدر ما يمكن ، أن نخبر الولايات المتحدة معنا .
إن حكومة الولايات المتحدة ليست مستعدة ، حتى الآن ، لقبول أية مسؤولية للمساعدة في
معاملة الموقف .

- (ج) أليس واضحًا أن المشكلة الفلسطينية ستمضي في النهاية إلى المنظمة الدولية ؟
أليس التصرف الحكيم بالنسبة لنا أن نوضح أننا نرى عرض الموضوع على المنظمة الدولية ؟ إن
إعلاننا من هذا النوع سيكشف من توتر الموقف بيننا وبين العرب .
ويجب أن نوضح لهم أن الأمر إذا عرض على المنظمة الدولية ، فستتاح لهم الفرصة الكاملة
لطرح قضيتهم أمام الرأي العالمي .
وإعلان ذلك يساعدنا مع اليهود ، لأن الرأي اليهودي سيدرك أن الأمور تأخذ شكلاً جديداً .
- (د) أليس من المستحسن أن يصدر بياننا بأقل قدر من التأثير !
إن ذلك سيوضح أن المبادرة مازالت في أيدينا .

(هـ) أليس من الأفضل أن تتصال بالوكالة اليهودية . ونخبرهم بأننا نتوى طرح الأمر برسمه على المنظمة الدولية ، ونحصل على تفهم الوكالة ومساندتها للموقف المؤقت للهجرة ؟ قال وزير المستعمرات إنه على اتصال دائم بالوكالة اليهودية . وإن هذه الهيئة - التي تتعرض لضغوط ملحوظة من العناصر المتطرفة - ثبنت خطأً متشددًا وأصبحت مهتمة بوضيح أن الكتاب الأبيض أصبح سبيلاً .

وقال وزير الخارجية إن خبر امتناع الوكالة اليهودية ، عن قبول تراخيص المиграة البالغ عددها ٣ آلاف ، والمقدمة لها ، وطلب حصة تبلغ ١٠٠ ألف ، والذي أبلغه الآن إلى الأميركيين ، قد ترك أثراً ملحوظاً عليهم .

(وـ) وأكد وزير الخزانة ضرورة التعمجil بالتطور الاقتصادي بوصفه إسهاماً في حل مشكلة فلسطين .

وأعرب عن أمله في أن نذكر أننا لا نتوى مجرد معالجة المиграة اليهودية فقط ، بل الإعداد للدعم الكامل . بما في ذلك المساعدة المالية المعقولة للتطور الاقتصادي لهذه المنطقة المختلفة .

(زـ) وثم لفت الانتباه إلى المشكلات العسكرية المتعلقة بتناول المشكلة الفلسطينية .

وساد إحساس بالقلق الخطر ، الذي كشفه خطاب وزير المستعمرات ، من أنه يجب دعوة رؤساء الأركان لمراجعة جوانب وترتيبات نقل القوات .

(حـ) وثم لفت الانتباه إلى ضرورة تدعيم قوة بوليس فلسطين . وأبلغ المجلس بأن وزارة المستعمرات ، ووزارة الحربية . تجريان اتصالات لاستخدام القوات المسرحة .

وبعد مزيد من المناقشات ، قال رئيس الوزراء . إن هناك حججاً قوية تجذب إصدار بيان حول سياسة حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا . وتحول نوابها . لعرض هذا الأمر على المنظمة الدولية . وأقترح استئناف المناقشة وقال إن التوقيت مسألة حيوية .

وقد وافق مجلس الوزراء على :

(أ) اقتراح رئيس الوزراء . ودعا وزير الدولة للمستعمرات إلى وضع الترتيبات وقد تخطيط المقترنة .

(بـ) دعوة رؤساء الأركان إلى استعراض جوانب الأمن في المشكلة » .

“ ” ”

لم يعرف العرب ، بأبحاث وتحصيات لجنة « موريسون » . وبقرارات مجلس الوزراء

البريطاني ، إلا بعد شهرين . وفي وقفة عبد الأضحى يوم ١٣ نوفمبر لأن بريطانيا أرجأت القرار إلى وقفة عرفات ، وأعلنته في ذلك اليوم . والمجاج يرتدون ملابس الإحرام منعزلين فوق الجبل يتبعدون !

ولكن « حليم وايزمان » - الذي أصبح أول رئيس لإسرائيل - عرف بالقرار من الوزراء البريطانيين المؤيدين للصهيونية .

• • •

وتنشط العمليات العسكرية اليهودية في فلسطين .

توجه بعض أعضاء (عصابة أرجون) إلى صاحب مقهى يهودي في قل أبيب وطلبوه منه ٤٠٠ جنيه ، لأنه يستخدم عمالاً من العرب . رفض الرجل عجاهه ٤ من الشبان اليهود ليلاً ودمروا المقهى .

ونخطب السيناتور الأمريكي « روبرت نافت » في مجلس الشيخ قائلًا : أغلبية المجلس تؤيد فكرة هجرة الـ ١٠٠ ألف يهودي إلى فلسطين . وهكذا وقع الانقسام بين أمريكا وبريطانيا .

اقتراح « الملك فاروق » عقد اجتماع للملوك والرؤساء العرب خلال ١٠ أيام لإعلان ميثاق مشترك لمناهضة الصهيونية ، إظهاراً للتضامن العربي في هذه القضية . ولكن بريطانيا عارضت ذلك وأوعلت إلى سفارتها في العالم العربي بمقاومة الاقتراح .

• • •

زادت سرعة الضغط الصهيوني خلال شهر أكتوبر .

قرر « بيفن » - يوم ٤ أكتوبر - العدول عن سياسة « تشرشل » . وهي إحالة الاتداب من بريطانيا إلى الولايات المتحدة . بل رأى أن أمريكا لا ينبغي أن تتفق موقف المتفرج . وتقرر لجنة « موريسون » - بعد ستة أيام - اشتراك أمريكا وبريطانيا في لجنة تحقيق لبحث أحوال يهود أوروبا ، واقتراح التوصيات لحل مشاكلهم وهجرتهم إلى فلسطين .

وبنكون هذه خطوة كبيرة في اتجاه الصهيونية .

وقال « هيربرت موريسون » إن المسلمين سيعارضون تفسيف قيود الهجرة . ويقرر المجلس الصهيوني العالمي أن يتحدى الكتاب الأبيض الذي يمنع كل محاولة لزيادة الهجرة .

ومن ناحيته ، أعلن الرئيس الأمريكي أن كل اليهود الأحياء الذين نجوا من معسكرات الاعتقال النازية يجب السماح لهم بدخول فلسطين .

ويقول «أنتي ، ترومان» :

ـ إننا نعطي تفكيرا عميقاً لوسائل مساعدة يهود أوروبا ولمسألة فلسطين .. ولكن المسؤولين ليسوا بالضرورة قضية واحدة .

قال «بيرنر وزير خارجية أمريكا» في صراحة كاملة :

ـ حزينا .. الحرب الديموقراطي الأمريكي يريد أن يكسب الانتخابات لتصبح عدمة نيويورك يوم ٣٠ أكتوبر . وهذا سر تصرّفات «ترومان» والاضطراب السياسي للبيت الأبيض .

إن «ترومان» لا يستطيع إغضاب الأصوات اليهودية في هذه الانتخابات .
إن اليهود يمثلون ثلث الناخبين .

أبرق «بيفن» إلى سفيره في وشنطن «الورد هاليفاكس» :

ـ أمريكا غير آمنة في هذه المشكلة . إن اللعب على المشاعر العنصرية لكسب أصوات الناخبين يجعل من حرية الانتخابات الأمريكية .. أضحوكة ..

وظل «بيفن» مؤمناً ، بأن الرغبة في الهجرة إلى فلسطين نتيجة لسلاح الصهاينة .
ويلتقي «أرنست بيفن» .. «بحايم وايزمان» ..

قال «وايزمان» :

ـ ولد الكتاب الأبيض في الخطبة وبيني إلغاؤه

رد «بيفن»

ـ إن ضد الهجرة السريعة لـ ١٠٠ ألف يهودي . وأقترح دولة المحادبة من عنصرين تضم ولايات مثل سويسرا .

ويتدفق المهاجرون اليهود على فلسطين . دون ترخيص من بريطانيا ، فسجنتهم في معسكرات اعتقال ولكن وحدة من (عصابة الماجاناه) ، هاجمت أحد المعسكرات وأطلقت سراح ٢٠٨ من المعتقلين ونقلتهم إلى المستوطنات .

وتوحدت عصابات «أرجون ولبيسي» في جهة للمقاومة اليهودية ، التزمت بكل نظم (المaganah) في العمليات العسكرية وإن احتفظت كل منها . بكيانها وشخصيتها السياسية .

خرّبت (عصابة لبيسي) معامل تكرير البنول في حيفا .

وضربت (عصابة الأرجون) محطة (سكة حديد اللد) .

ر ٨٠٠ من رجال (المaganah) دمروا خطوط السكة الحديد في ٢٤٢ موقعاً .
 ونصف الجيش الإسرائيلي محظى بوليس في حيفا .
 وكان لل يريد جيش أتشي عام ١٩٤١ عندما قامت ثورة «رشيد عالي الكيلاني» في العراق ..
 وسوريا تحت حكم فرنسا التي يحتلها الألمان - حكومة غاشي - والألمان يتقدموه نحو مصر .
 أيامها خاف الإله من احتلال قيام الألمان بهجوم على فلسطين . فسمحوا لـ الوكالة اليهودية
 بإنشاء قوة ضاربة من (الكوماندوس) اليهود . وشكلت وحدات اشتراكنا في غزو سوريا في
 أغسطس ١٩٤١ .

وساعدت بريطانيا هذا الجيش اليهودي بمال . ثم توقفت المساعدة بعد معركة العلمين .
 وبقى الجيش اليهودي يشتري الأسلحة من القوات الفرنسية في سوريا .. كما أصبحت الوكالة
 اليهودية دولة داخل فلسطين .. لها مدارسها ومستشفياتها وخدماتها وجيشها أيضاً .

ويستدعي «بيفن» كلاماً من «حاييم وايزمان ، وموسى شيرنوك» - الذي عرف باسم «موسى
 شاريت» ، وتولى بعد ذلك منصب وزير خارجية إسرائيل - وقال لها :
 - إن ٣ منظمات إسرائيلية عملت معًا ليلة العنف في ٣١ أكتوبر . و يجب وقف هذه
 العمليات . إن الوكالة اليهودية مطالبة بالتدخل .

نفى الرجلان أن لديهما معلومات عن العمليات الإرهابية .
 وكان «بيفن» يعرف أنها يكتفيان لأن الخبراء البريطانيون التقاط الرسائل الشفوية بين
 الوكالة اليهودية في تل أبيب ولندن . وعرفت طريقة كتابتها واستطاعت «فك الشفرة» !
 ولكن «بيفن» لم يستطع مواجهة «وايزمان ، وشيرنوك» بالحقيقة ، لأن ذلك يعني صداماً
 بين بريطانيا واليهود .. وقد يؤدي إلى مواجهة مع أمريكا ..

وتهاجم مصر تصريحات «ترومان» ، وتخرج المظاهرات الصادمة يوم ٦ نوفمبر في ذكرى
 (وعد بالغور) مطالبة ببقاء فلسطين عربية .

ويختتم ألف (حاخام) في وشنطن يوم ١٢ نوفمبر . ويتجه وقد منهم لمقابلة «ترومان» ،
 فيعتذر ويسلم أحد رجاله عريضة منهم تطلب السماح بإقامة وطن قومي لليهود في الحدود التي
 وردت في الثورة .

وفي اليوم التالي يتوجه «اللورد كيلن» في القاهرة لمقابلة «الترفاشي» لسلم إليه نسخة من
 خطاب «بيفن» ومقرراته .

ولم يعرف «القراشي» مطلقاً لماذا طلب «كيلر» مقابلته يوم وقفة عرفات .. ولماذا ألقى «بيفن» خطابه في ذلك اليوم بالذات .

وكانت السياسة البريطانية مقررة من قبل وأرجح إعلانها إلى وقفة عرفات .. بالذات !
ونجح، قرارات الجامعة العربية مرنة لأن دول الجامعة أيضاً لا تربد مواجهة مع بريطانيا ..
أما اليهود فلهم يحاربون بريطانيا في فلسطين .. ويهددون بحرب الانتخابات ضد «ترومان» ..

* * *

استقال «المورد جورت» المندوب السامي البريطاني في فلسطين ، وجاء «الجزال آلان كانجهام» مندوباً سامياً لي assum لقمع الثورة التي بدلت نظرها ..

استدعي «كانجهام» كلا من «بن جوريون» ، وشيرنوك وقال لها :

— لا تستطيع حكومة فلسطين أن تتجاهل تحذير الوكالة اليهودية لها .

رد الرجلان :

— أي نداء ستوجهه الوكالة — للهود — بالطاعة سيجد آذاناً صماء .

ولا يتخذ الجزال إجراء حاسماً ، لأن بريطانيا خلت متزدة في السياسة التي تتخذهما في معاملة اليهود ، لوقف عملياتهم العسكرية ..

* * *

وتشكل لجنة التحقيق من 6 من الأميركيين ومثلهم من البريطانيين في 7 ديسمبر ، ويتولى
سكرتارية اللجنة ، هارولد بيل .. وهو دبلوماسي بريطاني موالي للعرب تولى بعد ذلك منصب
السفير البريطاني في مصر .

وتعانى اللجنة من الضغوط اليهودية أكثر مما عانت الحكومة البريطانية .

بدأت اللجنة عملها في أمريكا وسط مناخ موال تماماً للهود .

وف أوروبا سالت اللجنة اليهود في المعسكرات فقالوا إنهم يريدون الذهاب إلى فلسطين .

قبل لهم :

— وما البديل للفلسطين ؟

أجابوا :

— القبر .

وتبنت أن رجال (عصابة أخaganah) اليهودية وضعوا أفراداً منهم . ومن الجيش الإسرائيلي .
داخل المعسكرات . ليقولوا هذا كله أمام اللجنة .

وتعلن « جولدا مائير » للجنة أن اتحاد العمال الإسرائيلي - المستدرورت - مستعد لاستئناف هجرة الجماعية لليهود بلا شرط وولا حدود .
ونختار بريطانيا هذا الوقت - ١٧ يناير ١٩٤٦ - لإعلان استقلال شرق الأردن في المجتمع اليهود على ضياع « أردننا » ، لأن ذلك يعبر خرقاً للقانون الدولي لأن شرق الأردن جزء من فلسطين التاريخية !!

ويقول اليهود .. للجنة :

- لماذا يمنع الاستقلال للدولة غير ناضجة سياسياً . ولم تهرم النازية . وليس عندهم « أيشتن » مثلنا .

ويقولون :

- إن فائدة اقتصادية ضخمة تحفت العرب فلسطين من هجرة اليهود .

ونصل للجنة إلى القاهرة تستمع من « عبد الرحمن عزام » :

- لا زيد عسلكم ولا لدعائكم .. لستا رجعين ولا متخلفين .. إن الفرق بين العلم والجهل ١٠ سنوات من الدراسة . إن الأمة العربية في مطلع نهضتها .
ولكن اللجنة لا تستمع إلى هذا كله ..

كانت عليها ضغوط ضخمة من يهود أوروبا اللاجئين . ويهود أمريكا المالين . أصحاب الأصوات الانتخابية . وبريطانيا في حاجة إلى أمريكا لتبقى بريطانيا ... قوة .
ولكن الدول العربية ، تصبح في حالة تعرق بين محاولتها الحصول على الاستقلال . ورغبتها في إنقاذ فلسطين . وجهلها بما يجري سراً في لندن وواشنطن .

وأصبحت مشكلة فلسطين تورق « التقراشي » . وتستغلها المعارضة ضدّه . ويعاجمه - بسيبها - البريطانيون .. وسفير بريطانيا في مصر .

ولا يجد مندوب سوريا - « فارس الخوري » - ما يقوله للجنة التحقيق سوى :

- لم لا تعطوا اليهود جزاً من (تكساس) !

أهل العرب جميعاً تقدير الموقف في فلسطين .

ولو أن العرب في مايو ١٩٣٩ قبلوا الكتاب الأبيض . فربما لم تقم دولة إسرائيل .
ولو أنهم قبلوا بيان « بيفن » في نوفمبر ١٩٤٥ فربما تذر أو امتنع قيام دولة إسرائيل .
وفي أبريل ١٩٤٦ أيدت لجنة التحقيق الأمريكية البريطانية هجرة ١٠٠ ألف يهودي فروا إلى فلسطين . . ولو أن العرب قبلوا ذلك أيضاً فمن يدري كيف كان يكتب تاريخ فلسطين .

ولكن اللجنة فشلت في أن تجتمع بين بريطانيا وأمريكا لحل المشكلة الفلسطينية .
 لقد أرادت بريطانيا من إنشاء الجامعة العربية - في أول الأمر - حل القضية الفلسطينية ؛
 وكانت فلسطين هي الأساس الذي قامت عليه الجامعة من وجهة نظر العرب أيضاً . . .
 ومع ذلك فإن الجامعة لم تضع خطة عمل لإنقاذ فلسطين بحشد الإمكانيات العربية .
 أو بالقيام بنشاط دبلوماسي . . . واكتفت الجامعة ببيانات ترفض فيها كل شيء . . . ، كان الخوف
 من مواجهة الواقع عاملًا أساسياً في كل قرارات الجامعة الخاصة بفلسطين .
 ولم ينجح العرب ، كما نجح اليهود في التطرف ، إلا على الورق ! .



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

فضائح . . صاحب الجلالة

كانت السفارة البريطانية ، حريصة على أن تعرف نقاط ضعف « الملك فاروق » لاستغلالها حسب الظروف ، أو لتعديلها .

وما أكثر ما عرفت السفارة عن « فاروق » .

أما الطرق التي توصلت بها السفارة إلى المعرفة . . فما أغربها ، وما أكثرها في نفس الوقت .
في ١٨ مارس ١٩٤٤ بعث « اللورد كيلر » بالبرقية التالية إلى « السير موريس بيترسون » الوكيل المساعد لوزارة الخارجية البريطانية ، يصف فيها العلاقة بين « الملك فاروق » وقرinetة « الأمير بيتر » - أو « بطرس » - ولي عهد اليونان .

حصل « كيلر » على هذه المعلومات ، نتيجة حوار جرى بين « الأمير محمد علي » ولي عهد مصر ، وبين « والتر سمارت » المستشار الشرقي للسفارة البريطانية .

قالت البرقية :

عزيزى « موريس » :

خلال المناقشة مع « سمارت » في ١٣ مارس . قال الأمير محمد علي . إن قرينة « الأمير بيتر » ، ولي عهد اليونان ، تمارس تأثيراً سيناً على « الملك فاروق » في اتجاه توثيق العلاقات بين الوزير المفوض الروسي وبين الملك .

وقالت إنها كانت قليلاً وقليلًا مع روسيا ، بصرف النظر عن البلشفية .

وكانت في محادثتها مع جلالته . تقارن بين سلوك الوزير الروسي وزوجته ، في حضرة « الملك

فاروق ». وبين سلوك زميله السفير البريطاني .

وقالت إن السفير البريطاني . صافح جلالة الملك عرضاً . ومضى عنه . دون أن ينحي أمامه جيداً وهذه بالطبع فريدة كبيرة ، وغير حقيقة .

وقد حرصت الأميرة على تذكرة الملك بأن « توفيكوف » الوزير الروسي . الخفي له بشدة ، في الوقت الذي كادت مدام « توفيكوف » تبلغ الأرض بالكتابتها .

وقال « الأمير محمد على » إن « الملك فاروق » . وافق على اقتراح الأميرة بإقامة موسم للباليه الروسي في القاهرة . ورأى الإعداد لعرض الباليه في مصر . وإظهار حسن الضيافة الملائمة وأظهر « الملك فاروق » اختياراً كبيراً للأميرة . ويحضر الحفلات التي تقيمه .

وارى أن الأميرة تحاول التأثير على الملك لمصلحة الروس : إنها شخصياً . فوق كل شيء روسية المولد . وإن كنت أظن أن أصلها من روسيا البيضاء .

ومن الحكم على مشارع « الملك فاروق » السابقة . فليس من المعتدل أن يتحمس كثيراً للروس . ما لم يقوموا بأداء تعبيه في مصر . وهم بالطبع قادرون إذا كان ذلك ملائماً لهم . إنهم — في الشؤون الخارجية — لا يتحركون وفق العقائد الشيوعية . يقدر ما تحركهم مطبليات سياسة القوة كما كان الأمر في العهد الفيصل .

ويعني آخر . تحركهم الواقعية الصارخة . وليس لدينا دليل نبرهن به على أن الروس ألقوا بثقلهم في سياسة مصر الداخلية ... إذ يبدوا أنهم ما زالوا بعيدين عن الساحة . وما زالوا يدرسون موقف .

وأتابع في بالمصادفة أن أنتي « توفيكوف » . وزوجته الجذابة . وأرتحت إليه . أما « سلطانوف » سكرتير المفوضية الذي يتحدث العربية فإن بريق عينيه يررق لي » .

وبعد أسبوعين — يوم ٢٨ مارس ١٩٤٥ ، يلتقي « حسين سري » — حال « الملكة فريدة » — « باللورد كيلرن » — في السفارة البريطانية — ومحده عن سوء العلاقات بين الملك والملكة . فيكتب « كيلرن » إلى لندن :

« أعرّف سري بأن علاقات الملك مع « الملكة فريدة » باللغة السوء ... ، ولكن لا تدعوه إلى اليأس .

وما تردد أخيراً عن طلب الطلاق أمر سابق جداً لأوانه ..

ومن الصعب جداً على الملكة أن ترى « الملك فاروق » يحضر عشيقاته إلى غرفة نومه داخل القصر .

وروى «حسين سري» علاقات الملك «بالييلة فاطمة طوسون» «والليلة أخرى طوسون» .
ولم يفقد «سري باشا» الأمل في إمكانية إصلاح الأمور - في نهاية الأمر - بين الملك والملك
باعتبار أنها في سن الشباب .

٠ ٠ ٠

وفي ١٠ يونيو ١٩٤٥ ، يتناول «اللورد كيلون» طعام العشاء عند «آل لطف الله» في قصرهم
الذى أصبح - بعد ثورة ٢٣ يوليو - فندق عمر الخيام .

ويكون مكان السفير على المائدة يخوار قرينة ولـ عهد اليونان «الأمير بيتر» ..
يبدأ الحديث بين الأميرة والسفير حول الشؤون الدولية وسوريا ولبنان ، وأخيراً الشؤون المحلية
المصرية .

والسفير يعلم أن الأميرة لم تعد تتعصب بالرضاـءـ السامي .. أى بـ رـضاـءـ «فاروق» .
لقد تكلمت الأميرة يوماً بصراحة مطلقة مع «فاروق» لتقول له : إن الملك لا يتصرفون
كما يفعل .

وقالت إنه لا يجب أن يسهر كل ليلة في الأوريج مع سائقه «بوللي» وطبيبه الخاص .
ولم تعجب هذه الصراحة «فاروق» برغم ذلك فإن زوجها «الأمير بيتر» لايزال يدعى
للصحبة الملكية .. أولئكـونـ فيـ معـيـةـ الملكـ .

وتروى الأميرة للسفير حكايات كثيرة عن «فاروق» :
ـ كانت هناك حفلة في عيد ميلاد غير عادية ضمت صديقات الملك مثل : «هيلين
مورصيري» ..

وأكـدتـ الأمـيرـةـ .. أنـ الـمـلـكـ فـارـوقـ شـابـ غـيرـ عـادـيـ .

وأضافت :

هل تعلم يا سيادة السفير أن هناك تليفوناً خاصـ بـخـواـرـ سـرـيرـ ، هـيلـينـ ؟ اعتـادـ الملكـ «فارـوقـ» أـنـ
يتـصلـ بهـ فـأـيـةـ ساعـةـ منـ اللـيلـ أوـ النـهـارـ . وـهـوـ يـتـصلـ بـهـ فـالـوـاحـدـةـ صـبـاحـاـ قـاتـلاـ : إـنـ يـرـغـبـ فـيـ
جـمـعـةـ مـنـ النـاسـ يـلـعـبـ مـعـهـمـ الـقـارـ .. فـورـاـ !

وهـنـاكـ قـصـةـ أـخـرىـ غـيرـ عـادـيـ «فارـوقـ» ، عـنـدـمـاـ أـقـامـ وـلـ عـهـدـ اليـونـانـ وـقـرـيـتـهـ حـفـلـاـ رـاقـصـ
ـيـ الـعـامـ الـماـضـيـ .

تـسلـقـ «الـمـلـكـ فـارـوقـ» السـورـ وـدـخـلـ مـنـ الـبـابـ الـخـلـقـيـ .. وـأـغـلـقـ الـخـدـمـ . مـنـ بـابـ الـأـمـنـ
ـوـالـآـمـانـ . - عـلـىـ الـمـلـكـ - بـابـ حـجـرةـ نـومـ الـأـمـيرـ !

صعدت الأميرة السلم وقالت «فاروق» إن تصرفه غير سليم . وأنه يجب أن يتزل ليشترك في الحفل مع الآخرين .. ولكن «فاروق» رفض .. فذهبت وأحضرت ولـي العهد «بيتر» وأغرى الاثنين «فاروق» بالذهاب إلى حجرة مجاورة تطل على نفس الشرفة .. ولكنه رفض أيضاً . واضطـرـ الأمـيرـ وزوجـهـ للـتزـولـ .. وأبلغـاـ أمـيرـينـ منـ أـسـرـةـ طـوسـونـ ،ـ وكـذـلـكـ «ـ هـيلـينـ موـصـيـرـ» ،ـ أـنـ الـمـلـكـ فـيـ الـحـجـرـ الـعـلـوـيـ فـصـدـ الجـمـيعـ إـلـيـهـ ،ـ فـاضـطـرـ الـمـلـكـ لـالـمـوـافـقـةـ وـالـتـزـولـ بـهـدوـهـ حـقـ لـأـرـاهـ أـحـدـ .

• • •

وتـعـدـ .. وـتـنـعـ فـضـائـعـ «ـ فـارـوقـ» .

اكتـشـفـتـ «ـ الـمـلـكـةـ فـرـيدـةـ» بـنـسـهاـ آخـرـ فـضـيـحةـ .

كتـبـ «ـ كـيـلـونـ» إـلـىـ حـكـوـمـتـهـ البرـقـيةـ رقمـ ٦٠٣ـ فـيـ ٢٤ـ أـبـرـيلـ ١٩٤٥ـ .

«ـ أـوـصـلـ جـزـءـاـ مـنـ نـقـرـيـرـ سـرـىـ وـاردـ مـنـ أـحـدـ العـلـاءـ ،ـ يـتـلـقـ بـتـسلـلـ سـيـدةـ اـسـهـاـ «ـ لـيلـ شـيرـينـ» إـلـىـ السـرـايـ ،ـ وـالـفـضـيـحةـ الـتـىـ تـرـبـتـ عـلـىـ اـكـشـافـ «ـ الـمـلـكـةـ فـرـيدـةـ»ـ هـاـ .ـ بـعـدـ مـنـتـصـفـ لـيـلـةـ ١٢ـ أـبـرـيلـ ١٩٤٥ـ لـحـتـ -ـ نـعـمـتـ مـظـلـومـ -ـ إـحـدـيـ وـصـيـفـاتـ الـمـلـكـةـ وـهـيـ تـغـادـرـ حـجـرـةـ نـوـمـ الـمـلـكـةـ ،ـ سـيـدـةـ بـثـيـابـ السـهـرـةـ جـالـسـةـ فـيـ الصـالـوـنـ الـمـلـحـقـ .ـ أـوـقـنـتـهـ «ـ نـعـمـتـ»ـ فـيـ الـحـالـ وـسـأـلـتـهـ :ـ مـنـ تـكـوـنـ .ـ وـمـاـذاـ تـفـعـلـ .ـ وـكـيـفـ أـمـكـنـاـ الدـخـولـ إـلـىـ تـلـكـ الـأـجـنـحةـ الـمـخـصـوصـةـ؟ـ أـجـابـتـ السـيـدـةـ بـبـساطـةـ :

-ـ مـنـ الـبـوـابـةـ .

نـادـتـ «ـ نـعـمـتـ»ـ الـمـلـكـةـ ،ـ فـاـكـانـ مـنـ السـيـدـةـ إـلـاـ أـسـتـغـاثـتـ وـيـدـوـ أـنـهـ حـاـوـلـتـ الفـرارـ .ـ هـدـدـتـهـ الـمـلـكـةـ بـإـطـلاقـ النـارـ ،ـ فـعـادـتـ السـيـدـةـ لـتـقـابـلـ «ـ فـرـيدـةـ»ـ وـاعـرـفـتـ أـنـهـ «ـ لـيلـ شـيرـينـ»ـ (ـ إـحـدـيـ الـمـزـدـدـاتـ)ـ عـلـىـ قـنـدـقـ شـبـرـدـ .

وـذـكـرـتـ أـنـهـ تـرـوـرـ الـقـصـرـ بـهـذـهـ الطـرـيقـةـ أـثـرـ تـلـقـيـهاـ كـلـمـةـ مـنـ الـمـلـكـ .ـ وـكـانـ جـوـازـ مـرـورـهـاـ فـيـ تـلـكـ الـزيـاراتـ هـوـ كـلـمـةـ «ـ المـتـرـهـ»ـ .

وـانتـهـيـ الـأـمـرـ بـأـنـ اـنـفـقـتـ الـمـلـكـةـ مـعـ «ـ لـيلـ»ـ عـلـىـ أـنـ تـكـتبـ اـعـتـراـفـاـ بـنـشـاطـهـاـ مـعـ الـمـلـكـ «ـ لـمـ تـفـضـ الـمـلـكـةـ بـمـحـتـويـاتـ هـذـاـ الـاعـتـراـفـ إـلـىـ مـخـبـرـنـاـ»ـ ،ـ وـلـكـنـهـ ذـكـرـتـ حـقـيـقـةـ وـحـيـدةـ وـهـيـ أـنـ «ـ لـيلـ شـيرـينـ»ـ حـامـلـ مـنـ «ـ الـمـلـكـ فـارـوقـ»ـ .

وـوـجـدـتـ الـمـلـكـةـ فـيـ أـصـيـعـ «ـ لـيلـ»ـ خـاتـمـاـ يـحـمـلـ صـورـةـ «ـ فـارـوقـ»ـ .

واعترفت «ليل» بأنها تلقته ، هدية من الملك . وعند ذلك «تكلمت «فريدة» - تليفونياً - مع الأميرالى «عثمان بك المهدى» قائد الحرس وأخبرته بالأمر . وبعد ٤٥ دقيقة وصل «المهدى» فاتصل تليفونياً «بصادق باشا» مدير حرس القصر «ومراد باشا محسن» ، ورئيس الوزراء ، والنائب العام ، و Maurer قسم عابدين . وتم استجواب «ليل» . وقرر هؤلاء المسؤولون الكبار ، منعاً للمزيد من الفضائح ، أنها مختلة العقل .. إلخ . واستدعيت إخصائى الأمراض العقلية بالعباسية لوضعها تحت الملاحظة . وقال بواب القصر إن «ليل» أخبرته عند دخولها أنها إحدى مريضات الأمراء . وصدقها لأنه رآها مرات كثيرة في السرای من قبل .

وذكر حرس الخرملك أنه يعرف «ليل» بالنظر ، ولم يمنع دخولها . وفي التحقيق الذى أجراه النائب العام بذكر الأميرالى «عثمان بك المهدى» أنه جاء بعد سماعة الملكة له بدقائقين . ولكن الملكة توكلت أنه جاء بعد ٤٥ دقيقة . وفي تلك الفترة - كما تقول الملكة - كان يتصل بالملك في الفيوم طلبًا لأوامره .

ويقال إن سبب زيارة «ليل» يرجع إلى أن الملك طلب منها أن تزوره في تلك الليلة . وأبلغت رسالة لها في مطلع الأسبوع على أساس أن الملك سيكون معها بعد انتهاء المأدبة التي أقيمت لمندوبي (سان فرنسيسكو) . لكن تعديل موعد المأدبة ونسان إبلاغ «ليل» بتغيير الترتيبات - أدى إلى حدوث الفضيحة .

«٢ - الملكة مغبطة بما حدث وسعيدة . لأنها أوقعت بإحدى عشيقات الملك . وتملك دليلاً دامغاً تقدمه لأصدقائها .. إلخ الذين مازالوا يرتابون في حقيقة السلوك الخاطئ للملك . ويؤكد أحد العملاء الذين تربطهم صلة وثيقة بالسرای . وهو من مصادرنا الموثوقة ، كل الحقائق ، ولكنه يذكر أن «الملك فاروق» كان متغياً في الفيوم في ذلك الوقت ويرى تماماً من هذا الموضوع .

وطبقاً لما ذكره هذا العميل فإن «ليل شيرين» ، سيدة يونانية تزوجت من مصرى ، وهى سيدة لا ترتفع فضيلتها فوق مستوى الشبهات ، وفضلاً عن ذلك فهي معرضة لموجات من الخبل . ومنذ عدة شهور كانت تعالج من الاضطراب العقلى على يد الدكتور «جيلاس» الذى يدير مصحة للأمراض العقلية في المعادى .

ومن حسن الحظ أن تقرير الدكتور «جيلاس» - عن مرضها - وضع تحت نصرف النائب العام الذى قام بإعلانه بعد أن عرضت عليه القضية .

وذكر عميلاً المتصل بالرسائل التفاصيل التالية عن الموضوع :
نتيجة لهذه الحادثة . طلبت « الملكة فريدة » ، إما الطلاق . وإنما السبب لها بالانسحاب .
من المريح لعيش بمفردها مع كرت عائشها .
أما « الملك فاروق » ، فقد استبد به الغضب . وكان يميل إلى المواقفة على الطلاق بيد أن
« حسين باشا » تدخل في هذا الأمر . ونفع في صرف النظر عن اقتراح الطلاق في الوقت
الحاضر .

ومن المحتمل أن يعود « الملك فاروق » إلى فكرة الطلاق . بسبب رفض « الملكة فريدة »
الحياة معه . الأمر الذي يحرمه من إمكانية إنجاب « ولد سهل ووريث » .
وقد أخذت الملكة لهذا الموقف على ضوء ما يشاع عن علاقات الملك الحميمية ، مع سيدات
آخريات يكفي ذلك « النبيلة فاطمة طوسون » .
وإذا قرر الملك يوماً الطلاق . فسيبلغ ذلك إلى البرلمان ويفسره على أنه بخلاف الطلاق بسبب
رفض الملكة أن تعيش معه أو أن تتحمّل فرصة إنجاب وريث .
وانتشرت معلومات بأن الملك يود الزواج من النبيلة « فاطمة طوسون » ، التي سميتين عليها في
هذه الحالة أن تضمّن طلاقها من زوجها .
ومثل هذه الفضيحة في العائلة المالكة . سيكون لها أثراًها الضار بسمعة « الملك فاروق » .
ما يحتم بذل كل جهد لصرفه عن هذا المشروع . إذا كان يفكّر فيه جدياً .

* * *

وهكذا عندما كانت مصر كلها . تتبع سير المباحثات مع بريطانيا لتعديل المعاهدة . كان
فاروق ، مشغولاً بمشاكله مع زوجته « الملكة فريدة » .
... في ١٩ يناير ١٩٤٦ كتب « كيلر » البرقية رقم ٣٩ - إلى لندن .
١ - أخبرته مدام « قطاوي باشا » ، كبرى سيدات الباطل الملكي أن التفور مستمر بين
« الملك فاروق » ، و« الملكة فريدة » .
٢ - وحني في الفرض النادر الذي يلتقيان فيها ، مثل أعياد ميلاد الأميرات الصغيرات ، فإنها
لا يتدالان أبداً كلمة حتى التحية العادمة .
« وتحضر مدام قطاوى » هذه المناسبات ، ولذلك فهي تتحدث عن معرفة مباشرة .
٣ - لا « الملكة نازلى » ، ولا أي شخص آخر له أي نفوذ على الطرفين .
٤ - يوجد كثير من الفضائح حول الطريقة التي يستعرض فيها « الملك فاروق » علاقته مع

« الآنسة زغيب » . وغضب جميع الأميرات في أثناء الاحتفال بليلة رأس السنة الجديدة ، الذي دعى إليه « الأميرة شوبكاري » ، لأن « الآنسة زغيب » . جلست على مائدة « الملك فاروق » . في الوقت الذي استبعدن فيه جميعاً .

وصلت متأخراً إلى المدخل ، فوجدت نفسها مع الأميرة « كريمة حليم » ، وأنستطيع أن أؤكد أنها كانت منفعلاً جداً بسبب هذا الموقف .

٤ - وعن ناحية أخرى ، فإن « الملكة فريدة » تتصرف بطريقة شاذة جداً ، فهي لا تلتقي بأحد إلا قليلاً بما في ذلك والدها .

وهي تخرج كل يوم ، ولا يدرى أين تذهب . وتقود سيارتها بنفسها . ولا بصحبة أحد حتى السائق .

ويشك « الملك فاروق » في أن لها علاقة حميمة ، مع « وحيد يسري » ابن « سيف الله يسري باشا » « والأميرة شوبكاري » .

٦ - وتقول « مدام قطاوى » إن الجميع مضطربون ، بسبب هذه الحالة المؤسفة . ويسألون أنفسهم إلى أين تؤدي .

٧ - ولا تزال « الملكة فريدة » والأطفال في سريري عابدين ، أما « الملك فاروق » وشقيقته إمبراطورة إيران - فوزية - فهما في قصر القبة ، وأخت « الملك فاروق » لا تقابل فريدة إطلاقاً .

٨ - قابلت الأميرة « مهوش طوسون » ، في إحدى المقابلات يوم ٢٠ يناير بمنزل الأميرة « كريمة » بالمعادي .

والأميرة « مهوش » الجميلة تعتبر ، إلى وقت قريب ، أولى الفضلات لدى « الملك فاروق » . حدثني « الأميرة مهوش » بانفعال ، عن حفارات « الملك فاروق » المستمرة ، مما يسبب له ضرراً كبيراً .

وتكلمت كثيراً على هذا الخط دون أن أحوار استدراجها من جانبى .. ففي هذه الظروف أحب أن استمع فقط » .

• • •

حرص « اللورد كيلرن » على نشر فصائع « فاروق » بين الدبلوماسيين الأجانب في القاهرة . في لقاء مع « بنكيني تالك » ، الوزير الأمريكي المفوض قال « كيلرن » :
إن العامل الصغير أفق بالتعقل أدراج الرياح فيها يختص بعلاقاته النسائية .
.. والاسكندرية - العاصمة الصيفية - ومصر كلها تتحدث عن آخر غزواته . وهي

«الآنسة زغيب» التي أثرتها في جناح في فندق «مير بالاس». وبالإضافة إلى ذلك له مخابئ أخرى في الإسكندرية. باختصار الملك يتخد موقفاً طائشاً وأهلاً مماثلاً في واجبه، كمحاكم للبلاد؛ وفشل الملك في أداء واجبه بصورة جادة».

ويبرق «تاڭ» بنص الحديث إلى وشطن. ويتحدث «كيلن» إلى «أحمد حسين باشا» يسأله مباشرة عن الأخبار العاطفة لملك مصر. اضطر «حسين باشا» إلى الاعتراف قائلاً: «إن قلق جداً بسبب عادات «الملك فاروق»، وبطاته الحالية، وعلاقات الملك مع «المملكة فريدة»، لا يمكن أن تصبح أسوأ مما هي عليه». وحاول «حسين» تحفيظ الأمر قائلاً: «لazلت آمل أن تحسن الأمور.. في نهاية المطاف». ويبرق السفير البريطاني بنص الحديث في برقيته رقم ٢٢٤ ويضيف «إن «حسين» يتباين بتدحرج الأحوال نتيجة عادات الملك وبطاته».

• • •

... حدث في الليلة السابقة على إعلان الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ أن وجهت بريطانيا دعوة إلى «الملك فاروق» وزوجته «المملكة فريدة» لزيارة لندن. وعندما قامت الحرب أصبح مستحلاً سفر الملك. ويزور «تشرشل» رئيس بريطانيا «أنتوني إيدن» وزير الخارجية مصر، وتثار مرة أخرى مسألة دعوة الملك لزيارة لندن. ويبلغ «فاروق»، مرة أخرى، بعد أن انتهت الحرب، في تجديد الدعوة وزيارة لندن. ويعارض السفير البريطاني حفواً من أن يطالب «الملك فاروق» وزارة الخارجية في لندن إقصاء السفير، ولذلك يشير «كيلن» العاقيل. لأن العلاقة المتواترة بين «فاروق»، و«فريدة» قد تفسد الزيارة. وترى الخارجية البريطانية - أيضاً - أن «المملكة فريدة» قد ترفض مصاحبة الملك إلى لندن. وتدرك وزارة الخارجية الخبرة.. هل توجه الدعوة «للملك والملكة» لزيارة فتعذر الملك، وتكون أزمة، أم توجه الدعوة «للملك فاروق» وحده؟.

وتنقل المشكلة التي أثارها السفير قاتمة ، حتى بعد نقل «كيلون» من القاهرة .
ويحل المشكلة «عبد الفتاح عمرو باشا» .

قال «عمرو» للسفير البريطاني الجديد «رونالد كامبل» :

ـ إن «الملك فؤاد» قام وحده بزيارة لندن ، وكان متزوجاً ولم ترافقه زوجته «الملكة نازل» .. فلم لا يكرر «فاروق» مافعله أبوه .. الملك الأب .
ويقول «عمرو» ملحاً في ضرورة توجيه الدعوة «فاروق» .
ـ لا أعتقد أن لديك مانعاً من ذلك .

ولكن السفير يخشى أن تكون هناك تعقيدات من جانب (قصر باكتجهام) الملكي في لندن ،
فيكتب رسالة شخصية إلى صديقه «روبرت هاو» الوكيل المساعد لوزارة الخارجية البريطانية
فاثلاً :

ـ سأكون ممتنًا إذا استطعت الأمر في دوائر تصر صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى .
ونهول الرسالة :

ـ إن ملك مصر ، مثل كل المصريين ، في حاجة إلى بعض الهواء الطلق ، بعد أن قضى سبع
سنوات في بلاده دون زيارة للخارج » .

ويكون «هوب» هاوس أجازة . ويرد «سكريپنز» رئيس القسم المصري بوزارة الخارجية
البريطانية فاثلاً :

ـ أكتب ليك حول تعقيدات الزيارة الملكية المقترحة بسبب الانقسام المقترض بين الملك
والملكة .

وفي الحقيقة حذرنا السريري - في لندن - من هذه الحالة منذ بعض الوقت نتيجة لتقارير
«كيلون» . وإذا أصبحت الزيارة مشكلة عملية سيكون علينا أن نبلغ القصر الملكي البريطاني
كما تقترح .

ويقول «سكريپنز» في هذه البرقية أيضًا :

ـ إننا مستترى حتى ينتهي الصباب الخيط بمسألة المعاهدة بين مصر وبريطانيا . والصراع
الداخلي في مصر حول هذا الموضوع .

ـ وستظل صامتين في الوقت الحاضر» .

ـ وهكذا تخلصت بريطانيا من مشكلة زيارة ملك مصر الرسمية إلى لندن .
وكانت مفاوضات المعاهدة هي العذر الرسمى للحكومة البريطانية .

حاول « الملك فاروق » أن يستميل الولايات المتحدة إلى صفة ضد بريطانيا .
منذ ٤ فبراير عام ١٩٤٢ استدعي الملك القائم بالأعمال الأمريكي إلى قصر عابدين يستجده به
حمد السفير البريطاني . وكانت الحرب في عقدها .. وكفة المعارك لصالح الألان في صحراء مصر
لحرية فوق الدبلوماسي الأمريكي مع السفير البريطاني ضد « فاروق » .

وزار « فاروق » منزل الوزير المفوض في أبريل عام ١٩٤٤ يبلغه أنه يريد عزل « النحاس » من
رئاسة الوزارة وبريطانيا تمنعه .. ومرة أخرى خذل الملك برغم أن سير المعارك قد تبدل لصالح
« الخلفاء » .

ولتكن « فاروق » استمر يحاول مع أمريكا ..

في فبراير عام ١٩٤٥ زار « روزفلت » مصر واجتمع « بالملك فاروق » على ظهر يخت أمريكي
في المياه الإقليمية المصرية في خليج السويس .. يومها أبدى الرئيس الأمريكي « روزفلت »
رغبتة في أن يزور « فاروق » أمريكا .
ولتكن ..

مات « روزفلت » فجأة وانتظر الملك أن يحدد الرئيس الجديد « ترومان » الدعوة .
ويشير فاروق الأمر مع القائم بالأعمال الأمريكي « بنكيني تاك » .
قال ملك مصر :

- سأكون سعيداً باتمام الزيارة وربما أزور بلدًا آخر .. بريطانيا .
ويضيف :

- ولكن لن أزور لندن إلا إذا ثقتي اعتذاراً . بطريقة أو بأخرى . عن حادث ٤ فبراير
لأسترد كرامتي .

ويوفد الملك رسولاً إلى المفوضية الأمريكية قائلاً :

- إذا ثقى الملك دعوة « ترومان » فسيلبسها .. ولم يربط بين هذه الدعوة وزيارة إنجلترا .. ولن
يرجع « فاروق » زيارته لوشطن انتظاراً للدعوة بريطانيا .

ويكتب « تاك » إلى حكومته بهذا كله مؤيداً توجيه الدعوة قائلاً :

« إن الملك لم يغادر البلاد منذ عام ١٩٣٦ أي منذ عودته المفاجئة بعد وفاة أبيه للجلوس على
العرش »

وقد أرغمت هذه الإقامة الجبرية - فاروق - على التدخل في شؤون البلاد . ورغم في أن
يحكم لا أن يملك . فحسب .

وقد حاضرها « روزفلت » عن ضرورة الإصلاح الاجتماعي . وتحسين أحوال الفلاحين
إنذا شاهد الملك ما تحقق في أمريكا فإن ذلك سيساعدك في مصر .
إن فاروق ذكي ولا مع . ويعلم بكل ما هو أمريكي . فإذا رأى المنظمات الأمريكية . فإنه
سيعرف ما ينقص مصر .
إني مهم بالملك الشاب ..
وإذا كان القدر قد أرسله لحكم مصر . فإننا نستطيع القيام بدور هام في تشكيله وتكوينه .
في هذه السنوات التعليمية من عمره .
ولا توجد وسيلة أفضل من « دعوه لزيارة بلادنا » .

٩٠٦

وترحب الحكومة الأمريكية بالفكرة ..
ويعمل « تلك » الدعوة الشفهية إلى « فاروق » يوم ٥ سبتمبر . على أن تم الزيارة يوم أول
سبتمبر .

قال « فاروق » مرحباً بالدعوة :
ـ لا أعرف على وجه التحديد متى أستطيع القيام بهذه الزيارة بسبب متاعب محلية .
إني اقترح تأجيل الموعد .
قال « تلك » :
ـ أرجوك الاحتفاظ بالأمر سراً . حتى لا يعرف الإنجليز . وإذا عرفوا فإنهم سيحاولون تأجيل
الزيارة أو منها ، حتى تصل جلالتك دعوة بريطانيا فتزورها أولاً .
ويوافق « فاروق » لأن السرية هي هدفه وغايته منذ البداية .
وفي اليوم التالي يتوجه « حسن يوسف » وكيل الديوان الملكي إلى المفوضية الأمريكية ليطلب
بصفة رسمية تأجيل الموعد .
قال « تلك » :
ـ نريد أن نعرف موعد الزيارة قبل شهر من القيام بها .

ويسافر « تلك » إلى « وشنطن » ويتشبع - يوم ٢٦ أكتوبر - بالمسؤولين في وزارة الخارجية
للاتفاق على كل الأمور الخاصة بالرحلة ومدتها والتوفد الذي يرافق الملك .
ويتم الاتفاق على أن تكون مدة الزيارة ٣ أو ٤ أيام .

وأن يرافق الملك ١٢ على الأكثـر بما في ذلك الخدم .

ويعرض « تالك » مفتشـانه قائلاً :

- الملك لا يذوق الحرث . وهو مستعد لزيارة بعض أصدقائه ، والاكتفاء بزجاجة كوكاكولا وسندوتش « همبرجر » .

وإذا دعـاد ثـري أمريكي إلى عـزته لصـيد البـط فـسيـحبـ بذلك .

وهو يـحبـ أنـ يـرىـ مـصـنـعاـ للـطـائـراتـ ، وـحـوـضاـ لـبـنـاءـ السـفـنـ .

ولـابـدـ منـ أنـ يـقـيـ ١٠ لـيـامـ فيـ «ـ نـيـوـيـورـكـ » . بلاـ برـنـامـجـ . أـىـ يـكـونـ صـاحـبـ الـحـلـالـةـ حرـّـ . بـغـلـ ماـ يـشـاءـ .

ويـقـسـ «ـ تـالـكـ »ـ ذـالـكـ قـالـلاـ لـلـمـسـتـولـينـ فـ وزـارـةـ الـخـارـجـيـةـ :

- عـيونـ الـمـلـكـ عـلـىـ النـاسـ دـائـىـ . وـهـوـ مـاـ يـبـغـ أـنـ يـقـيـ فـ ذـاـكـرـتـكـمـ . ولـابـدـ أـنـ يـرـافـقـهـ مـنـدـوبـ منـ الـوـرـازـارـةـ لـتـجـبـ أـىـ حـادـثـ أوـ اـحـكـاكـ .

وـتوـافـقـ شـرـكـةـ الـخـطـوطـ الجـوـيـةـ الـعـالـمـيـةـ . عـلـىـ أـنـ تـضـعـ إـحـدـىـ طـائـراـتـهاـ تـحـتـ تـصـرـفـ الـمـلـكـ لـقـلـهـ . مـنـ مـصـرـ إـلـىـ أـمـرـيـكاـ . وـتـكـوـنـ تـحـتـ تـصـرـفـهـ فـ تـقـلـاـهـ الدـاخـلـيـةـ . . . لأنـ الشـرـكـةـ تـرـيـدـ عـقدـ اـنـفـاقـ مـعـ الـحـكـومـةـ الـمـصـرـيـةـ .

قالـتـ الـخـارـجـيـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ :

- إنـ هـذـهـ الرـحـلـةـ سـتـكـلـفـ مـيـلـاـ ضـخـماـ وـهـوـ ٥٠٠٠ـ دـولـارـ كـلـ أـسـبـوعـ . وـحـبـ الـحـصـولـ عـلـىـ اـعـيـادـ بـذـالـكـ .

ويـعـودـ «ـ تـالـكـ »ـ إـلـىـ مـصـرـ وـيـجـمـعـ بـالـمـلـكـ «ـ فـارـوقـ »ـ يومـ ١٠ـ دـيـسـيـرـ وـيـلـعـهـ :

- إنـ الرـئـيسـ «ـ تـرـوـمـانـ »ـ سـتـعـدـ لـاستـقـبـالـكـ فـ المـوـعـدـ الذـيـ يـنـاسـكـ .

ويـضـيفـ :

- رـعاـتـمـ الـرـيـاـرـةـ فـ فـيـرـايـرـ أوـ مـارـسـ الـقـادـمـ .

ويـلـقـيـ «ـ الجـزاـرـ وـلـسـونـ »ـ رـئـيسـ جـلـسـ إـدـارـةـ شـرـكـةـ الـخـطـوطـ الجـوـيـةـ الـعـالـمـيـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ «ـ فـارـوقـ »ـ الذـيـ يـقـولـ لـهـ :

- لنـ أـزـورـ بـرـيـطـانـيـاـ مـاـلمـ تـعـذرـ عـنـ حـادـثـ «ـ فـيـرـايـرـ »ـ .

وهـكـذـاـ خـدـ «ـ فـارـوقـ »ـ يـسـعـيـ لـزـيـارـةـ بـرـيـطـانـيـاـ . . . وـفـيـ نفسـ الـوقـتـ يـحـاـولـ إـتمـامـ زـيـارـةـ أـمـرـيـكاـ . وـالـقـارـبـ مـعـهـاـ .

وـلـمـ تـعـرـفـ بـرـيـطـانـيـاـ قـطـ بـمحاـولاتـ «ـ فـارـوقـ »ـ مـعـ «ـ تـالـكـ »ـ «ـ وـتـرـوـمـانـ »ـ .

ولم تتم زيارة «فاروق» لأمريكا بسبب إصرارات الطلبة . واحتلال الأمن العام والأزمة الوزارية .

وكان يمكن أن تساعد رحلة «فاروق» إلى لندن على إتمام المعاهدة ، وخلق جو مناسب للتفاهم بين البلدين .

ولكن خصائص «فاروق» .. ، ومعلومات السفارة البريطانية . عن كل ما يقع داخل غرفة النوم الملكية ، هي السبب .

ولسوء الحظ كان مصدر المعلومات .. ، وللـ عهد مصر .. ، ورئيس وزراء مصر السابق .. .

وصيغة صاحبة الجلالة ملكة مصر !

لا تخرجوا .. من مصر

اعادت صحف مصر - حتى خلال سنوات الحرب - أن تستقبل كل عام جديداً بتفاؤل .. ولكن خلت الصحف المصرية من طحة التفاؤل ، وهي تستقبل عام ١٩٤٦ . كان اليأس ضارياً في كل سطور صحف الحكومة .. وصحف المعارضة . وحى « اللورد كيلر » لم يحس بالسعادة .. كان يظن أن مصر لن تطلب تعديل المعاهدة .. وكان يريد الوفد في الحكم . ليوافق على كل طلباته . وكان يسمع كل يوم عن اغتيالات للجنود الإنجليز . في مذكرة يوم أول يناير كتب يقول : « عام جديد فما الذي يحمله إلينا ؟ وعلى أية حال الحرب انتهت . ويبقى الآن ترتيب الأمور ، وهو ما يجد مشكلة باللغة الصعبية . انتهى لقاء موسكو - بين وزراء خارجية الدول الكبرى - برغم أن أحداً لا يعرف بالضبط ما الذي حفظه . .. فعل سهل المثال . المشكلة الشائكة الخاصة بالتسرب الروسي في إيران لم تسو بعد . وبين أمراً أكثر أهمية خاص بالتوابيا الروسية تجاه تركيا .. . ومن الطبيعي أن يثير كل ذلك أشد الاهتمام في مصر .

أما على المستوى المحلي ، فالامور الداخلية هادئة الآن .
ولكن هل يكون السلام الذى يسبق العاصفة ؟ فبسب سلسلة من الأخطاء المعمدة . طرح
 علينا ، إعادة النظر في المعاهدة .
وقام المصريون أخيراً بتقديم مذكورهم الرسمية إلى لندن .
وأعتقد أن ذلك لا يمكن أن يكون أمراً سيناً ، بل إن أرجح - بصفة خاصة - بإشارتهم إلى
 وجوب أن يقوم وفد مصرى بزيارة لندن فمن الأفضل أن يذهبوا إلى لندن بعيداً عن متناول
 صحافتهم الوطنية المؤذية .

ومن الأفضل أن تتعامل معهم لندن مباشرة ، بدلاً من أن ترسل إلينا - هنا في القاهرة -
 سلسلة من التعليمات المستحبطة ثم نلام ، عندئذ ، على عدم تنفيذها .
 وأتوقع أن يكون ذلك مسألة بعيد فيها التاريخ نفسه . فيغض النظر تماماً عن البنود العسكرية
 في المعاهدة فهناك الخاطط الصخرى الخاص بالسودان .
 وأتوقع أن يهدأ كل ذلك الصياغ المصري الراهن ، بشأن هذه المشكلة (تماماً مثلما حدث في
 عام ١٩٣٦) ، إذا أمكن التوصل إلى اتفاق بشأن البنود العسكرية .
 وإحدى المشكلات الرئيسية التي تواجهنا هي الحفاظ على وضعنا السائد في الشرق الأوسط .
 إن لدينا حكومة بريطانية جديدة .

وفي الوقت الذي أشعر فيه بكل الإعجاب لوزير خارجيتنا الجديد « أرنست بيفن » . ولكن
 يساورني القلق نظراً للمتحمسين الآخرين من أمثال « نوبيل بيكر » .
 وأشار دالماً أنه على المدى البعيد ، فإن الجمهور البريطاني العظيم ، لن يهضم التخل عن
 حقوقنا في منطقة كهذه ، لها أهمية تأمين الاتصال بكل الكومونولث .
 ويكتب السفير لحكومته عن الأزمة الوزارية في مصر ...
 قال :

« ... طبقاً لما صرخ به الدكتور محمد حسين هيكل » ، يبدو أن الحكومة قد تراجلت مسألة
 شغل منصب وزير الأوقاف والعدل ، لأن وزيرها يريد طريح فراش المرض .
 ويقال إن سبب هذا التراجيل يرجع إلى مطالبة « مكرم عبيد » بأن يحل وزير « مكري » ،
 محل المرحوم « راغب حنا » وزير الدولة ، وأن تستند إحدى الوزارات إلى هذا الوزير .
 ويقول « مكرم » إنه قبل أصلاً مبدأ التبديل النبوي بين الأحزاب على أساس أن مثل الحزب
 الوطني أنسنت إليه إحدى الوزارات .

وقد ترك «حافظ رمضان» الوزارة ولذلك يعتقد «مكرم» أن من حقه أن يكون له وزير في مجلس الوزراء ليختلف «راغب حنا». بل لا بد أن تؤدي إلى هذا الوزير إحدى الوزارات. ولا يكون وزير دولة فحسب . مثل «راغب حنا».

ويقال إنه سُرّج لإعادة تشكيل الوزارة حتى بعد وصول الملك عبد العزيز آل سعود بعية تجنب حدوث معارك غير لائقة في أثناء تلك الزيارة الملكية.

ويقال إنه من المتحمل استقالة «عبدالحميد بدوى» خلال شهر ، ويقتصر على عضوية محكمة العدل الدولية . وفي هذه الحالة يقال إن الفراشى سيتولى بنفسه وزارة الخارجية . وفي أثناء المناقشة التي جرت حول الرد على خطاب العرش ، تميز نواب الحزب الوطنى بالعنف في الحديث عن المطامح الوطنية . . وأعلن أحدهم عن ضرورة قيام ثورة . وكانت لهجة النواب الآخرين متسمة بالعداء لبريطانيا .

وفي هذا الاتجاه فإن «مكرم باشا» وحزبه - على وجه التصريح - لها اليد الطولى . ويبدو أن «مكرم باشا» على وشك أن يأخذ موقفاً معادياً للبريطانيين لقوية وضعه ضد الحكومة الحالية ، من ناحية ، ونتيجة لحقه على اعتراضها على محاكمة «النحاس» . ويهدف «مكرم باشا» إلى إقامة تعاون متطرف مع الوطنيين . وقد وجه إليه كثير من الانتقادات لحضور حفل أقامه الوطنيون ، للترحيب «حافظ رمضان» عند عودته من الصعيد ، بعد استقالته المشيرة نظراً لوقف «حافظ رمضان» المعادى للحكومة ، والمعادى للبريطانيين . ويقوم «على ماهر باشا» بنشاط سياسي ملحوظ .

ويقال إن اجتماعاً عقد أخيراً في مقهى السياسي ، حضره عدد من المواطنين بالإضافة إلى «أحمد حسين» زعيم مصر الفتاة .

ويقال إن هناك هنافات معادية للبريطانيين من بعض الحاضرين . وأعلنت الصحافة أن «مكرم» و«عبود باشا» توصلوا إلى اتفاق بشأن خلافها حول الضرائب المستحقة لدى شركة البواخر الفرعونية . وهناك دعاية ملحوظة حول الإجراء الذى اتخذه الحكومة ، لتنفيذ مقاطعة البضائع الصهيونية .

وتجرى استعدادات عظيمة لاستقبال «الملك عبد العزيز آل سعود» يوم ١٠ يناير . وهناك بعض الانتقادات والحسكات بين الطبقات الفقيرة ، بشأن الاعتدادات الواسعة . المخصصة لهذه الزيارة ، في الوقت الذى تحتاج فيه الجماهير ، أشد الاحتياج ، إلى الغوث .

وتتوالى رسائل السفير وبرقياته إلى لندن ، فهو حريص على أن يبين حجم المتاعب في مصر .
ليكون ذلك مبرراً للتدخل في شؤون مصر .. ، وفرض الحكومة المناسبة ... له ولبلاده !
ولا يستطيع السفير أن يطلب مباشرة من « أرنست بيفن » وزير الخارجية ، كما كان يفعل مع
« أنتوني آيدن » ، بل إنه يتحسن طريقه ويلقي ظللاً قائمة على الموقف السياسي الداخلي في
مصر .

إنه يجد مصر حائنة على اجتماع أقطاب الخلقاء وقرارتهم ، باستبعاد كل دول الشرق الأوسط
من الاشتراك في مؤتمر السلام ، فيكتب إلى لندن :
١ - أحدث استبعاد مصر من المشاركة في مباحثات السلام ، طبقاً للبيان الصادر عن اتفاق
موسكو ، رد فعل غاضباً جدًا في مصر .

وصرح رئيس الوزراء للصحافة بأن الحكومة المصرية تبحث التخاذ إجراء في هذا الشأن .
٢ - خلق اتفاق موسكو انطباعاً مؤلماً لدى المصريين ، الذين يميلون إلى الاعتقاد ، بأن
بريطانيا العظمى ، قدمت تنازلات هامة لروسيا في أوروبا ، دونة أن تحصل منها على ضمانات في
الشرق الأوسط .

وخلق فشل بريطانيا العظمى في إيقاف عدوان روسيا ، على إيران ، شعوراً بأن بريطانيا عاجزة
عن وقف التقدم الروسي في الشرق الأوسط ، وأن كلًا من الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى
مستعدتان ، بصفة عامة ، للتضحية بمصالح الدول الصغيرة – وحتى بين حلفائهما – لحساب
المطالب الروسية .

وأصبح عنصر إيران ذا أهمية كبيرة بالنسبة لمراكزنا في مصر ، عشية مفاوضات تعديل المعاهدة ،
فإذا لم يجد ما ينسى بقدرتنا على إيقاف روسيا في إيران . فسيثبت المصريون في قدرتنا في الحفاظ
على مركز ثفوتنا في الشرق الأوسط .

ومثل هذا الموقف المشكك ، كفيل بأن يجعل منهم مفاوضين أقل مرؤة .
٣ - وقويل الانفاق البريطاني – الفرنسي المتعلق بدول الشام ، مقابلة سيئة في الدوائر
السياسية المصرية .

ويعمق ذلك الشعور الذي ولده اتفاق موسكو ، بأن بريطانيا تضحي بالدول الصغيرة في
الشرق الأوسط ، على مدحيع سياسات القوة العظمى .
ويفسر الانفاق بأنه يمنع فرنسا حق الاهتمام بشئون الشرق الأوسط ، وهو أمر يثير ردود فعل
عدائية ، لدى المصريين .

و عبرت الصحافة وغيرها عن المعارضة الفاضبة التي تقول بأن اتفاقاً كهذا يجدو بفرنسا إلى ادعاء حق التدخل في مصر.

إن عدم التقدم في مفاوضات تعديل المعاهدة ، واستبعاد مصر السافر في مفاوضات السلام ، ومن اتفاق موسكو ، والاتفاق البريطاني - الفرنسي .. كل ذلك خلق شعوراً كبيراً بالماراة في الدوائر السياسية » .

• • •

ويصل « الملك عبد العزيز آل سعود » إلى ميناء بور توفيق يوم ٩ يناير ، ويكون في استقباله بالميناء « الملك فاروق » ورئيس وزرائه ، وكبار رجال الدولة .
وبينما يصل العاهل السعودي إلى القاهرة .

وتحت زيارته ١٢ يوماً تتجمد خلالها الأزمة الوزارية وتعلن أحزاب الحكومة هدنة - غير مكتوبة - تنتهي عندما غادر الملك مصر عائداً إلى بلاده يوم ٢٢ يناير .
وتضاعفت صحف المعارضة من حملتها على « التراشق » والحكومة .
واشتركت في هذه الحملة كل أحزاب المعارضة .. الوفد ، الإخوان المسلمين ، مصر الفتاة ، الشيوعيون ، والحزب الوطني أيضاً .

وأظهر الملك عداءه « للنحاس » بكل الطرق .

إنه لا يدعوه لحضور الاحتفالات التي أقيمت لاستقبال « الملك عبد العزيز آل سعود » عند زيارته لمصر .

وتضم الجامعة العربية إلى الملك في إظهار العداء ، فلا توجه الدعوة « للنحاس » في حفل الخداء الذي أقامته الجامعة للمعامل السعودي ، في حين دعي كل رؤساء الوزارات السابقين ..
ويكون الضيف الوفدي الوحيد في هذا الحفل « على ركبي العرابي باشا » ، رئيس مجلس الشيوخ السابق ، الذي يسعى القصر بتجذبه بعيداً عن « النحاس » ..
ونصفقط صحف الوفد ، مطالبة بعرض قضية مصر على مجلس الأمن ، أو الجمعية العامة للأمم المتحدة .

ولكن « عبد الحميد بدوى باشا » ، وزير خارجية مصر يصر - يوم ١٨ يناير ١٩٤٦ - بأنه ليس مجلس الأمن حق النظر في أية مسألة تتصل بمصر ، أو بالعالم العربي ، لأن مشاكلهم ليست مما تم خضضت عنه الحرب .. ١١

وهكذا في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا حائرة تخشى التوجه مصر إلى مجلس الأمن ، وقد

اختيرت مصر عضواً فيه يوم ١٣ يناير . أو الجمعية العامة ، كان وزير خارجية مصر يعلن أن مجلس الأمن ليس مختصاً !!

ويشير تصريح « بدوى باشا » أزمة عنيفة داخل مجلس الوزراء المصري .. وف مصر كلها ...

• • •

هاجمت صحيفة « الكتلة » الناطقة باسم وزير المالية « بدوى باشا » .. ووصفت تصريحاته بأنها (فضيحة وعار) .

وقالت « الكتلة » إن مقعد مصر في مجلس الأمن يصبح بلا قيمة .

وقالت إن « بدوى » تكلم عن التزامات مصر ، ولم يشرح مطالبيها .. وكيف يقول إن مشاكل مصر لم تنشأ عن انفرب على حين أن الحرب أخرت المفاوضات ، وأبقيت القوات البريطانية في مصر .

وانتقلت « الكتلة » من انتقاد « بدوى باشا » وحده ، إلى انتقاد الحكومة كلها . وأعلن « مكرم عبيد » ، أن تصريح « بدوى باشا » ، لا يلزم ولا يلزم حكومة مصر . وجريدة « الأهرام » ، خرجت من حيادها التقليدي لتنتقد وزير خارجية مصر . ويحاول « القراشى » أن يجمع الوزارة ضد الوفد .. ، ولكن يخلو منصب وزير آخر ، باستقالة « محمود غالب باشا » ، وزير الأشغال ، وهو من الحزب السعدي .. حزب « القراشى » ..

وبعد أن كانت الوزارة تضم ١٣ وزيراً ، أصبح أعضاؤها تسعة فقط .. ويحاول « القراشى باشا » في مجلس الوزراء ، وفي مجلس الشيوخ أيضاً ، تهدئة الحملة ضد « بدوى » انتظاراً لوصول النص الرسمي لتصريحاته .

ألح « صبرى أبو علم » على « القراشى » أن يحدد ما إذا كان مجلس الأمن مختصاً ببحث القضية المصرية والخلاف بين مصر وبريطانيا ، فرفض « القراشى » الإجابة ، وطلب الانتظار حتى يصل نص تصريحات « بدوى » .

ويحاول « بدوى » أن يتراجع ، فيعلن « الدكتور محمود عزmi » المتحدث باسمه نص تصريحه ، وهو أنه إذا كان ممكناً حل القضية المصرية ، والمطالب العربية ودية ، فلا داعي للعرض على مجلس الأمن الذي يتدخل في الخلافات الدولية التي تهدد بالحرب .

وقال « محمود عزmi » إن « بدوى باشا » ، أعلن ذلك ، بعد أن تلقى تأكييدات من القوى الكبرى بنواياها الطيبة . أما إذا حثت هذه القوى بوعودها ، ونشأ موقف دولي يهدد السلام

العامي ، فن المؤكدة - عندئذ - أن يقدم طلب إلى مجلس الأمن .

ويصف كيلر الموقف :

« الصحافة » الوفدية مستمرة في حملتها ضد بريطانيا العظمى .

وقام البوليس بمصادرة آخر عدد من مجلة « روزاليوسف » المعادية للوفد . بسبب نشرها مقالاً تاريخياً يشير - ضمن أشياء أخرى - إلى أن شباب البلاد يستمرون في اللجوء إلى الأساليب الإجرامية لتحقيق أهدافهم ، إذا لم « يخرجهم الرعماء من الظلال إلى النور فيما يتعلق بتحقيق الأمانى القومية » .

وحدث اضطراب ملحوظ ، بسبب البرقية التي نقلتها وكالة الأنباء العربية من لندن ، عن تصريح « عبدالحميد بدوى باشا » ، وزير الخارجية .

وقد اجتمع مجلس الوزراء المصري يوم ٢٤ يناير لبحث إصدار بيان بهذا الصدد .

ومن الواضح أن الوزراء فشلوا في التوصل إلى اتفاق .

وطبقاً لما قاله عميل ، واسع الاطلاع ، أراد « التراشى » إصدار بيان بالمعنى الذي شرحه « بدوى » . ولكن بشكل ليق ، لكيلا يجدوا أنه يهدداً بالإشارة إلى مجلس الأمن في حين أصر « مكرم » على شيء محدد تماماً في هذا الشأن .

وبالجتماع مجلس الوزراء مرة أخرى يوم ٢٦ يناير لاستئناف بحث هذه المسألة .

وواكب هذا الخلاف ، نهاية المطاف ، التي روّعت بشكل ضمني ، في أثناء زيارة « الملك عبد العزيز آل سعود » لمصر .

وكان تصريح « بدوى » قد غطى ، بشكل مؤقت ، على السبب الأصلى للخلاف داخل مجلس الوزراء ، وهو إعادة تشكيل المجلس .

وأضيفت الآن برقية (لرويتر) من لندن . بتاريخ ٢٤ يناير تفيد أن المصريين بذلوا العديد من الجهد للحصول على إعلان رد على المذكرة ، بخصوص إعادة النظر في المعاهدة . ولكن دون آية نتائج .

وطبقاً لما ذكره عملاء ، واسع الاطلاع . فمن المختم أن يقوى ذلك من قبضة أولئك الذين يصرون - مثل « مكرم » - على سياسة فعالة . بدلاً من سياسة التراشى ويصرون على استجابة فورية من حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا .

وفي نفس الوقت فإن رئيس الوزراء محاصر - بقصوة - بالأسئلة في مجلس النواب والشيوخ بشأن تصريح « بدوى » . ولكن رفض الإدلاء بأى تصريح حتى يحصل على معلومات كاملة .

وهاجم «إسماعيل صدق» ، الحكومة في مجلس النواب ، على أساس أن سياستها المترامية ، ستضر بتحقيق مصر لأمانها القومية .

وطبقاً لتقرير ورد من عميل ، ذي صلة بالقصر ، فإن الملك يرغب في الاحتفاظ بالقوليفة السياسية الراهنة .

ويبدو كما لو أن «مكرم» – بالتعاون مع الحزب الوطني – لا يريد للوفد احتكار التطرف الوطني .

ومن المحتمل أن يكون «مكرم» نفسه مدفوعاً برغبته إما في تأكيد مكانته في مجلس الوزراء ، أو في تنظيم انسحاب وطني منه .

وترقب الدوائر السياسية المصرية عن كثب المجموع السياسي الروسي ضد إيران واليونان وأندونيسيا .

* * *

وكان يجب على أحزاب الحكومة أن تتحد في مواجهة المعارضة ، ولكن ذلك لم يتحقق .

ظل «مكرم عبيد» يهدد بالاستقالة ..

واستقالة «مكرم» معناها استقالة زملائه أعضاء حزب الكتلة وفض الائتلاف الوزاري .
قال «الدكتور محمد حسين هيكل باشا» في مذكرة :

«كان هذا التفكير يجيف «النقاراشي باشا» ، ويجيف رئيس الديوان ..

وقد حدثني «أحمد حسين باشا» ، رئيس الديوان الملكي في هذا الأمر غير مرأة ، وطلب إلى أن أتوسط بين الرجلين لإزالة ما بينهما من جفوة ، حتى تظل الأمور جارية من غير تعقيد .
أذكر يوماً ذهب فيه مع لجنة الرد على خطاب العرش لرفعه إلى الملك بقصر القبة ، فلما فرغنا من هذه المهمة التي لا تستغرق عادة أكثر من دقيقتين ، أو نحوها ، استيقاف الملك ، وطلب إلى أن أسوى ما بين «مكرم» والنقاراشي من خلاف ، وأن أقنعهما بأن من الخير للعهد كله أن تزول أسباب الجفاء بينهما .

حاولت ، فلم أوفق ، فذهبت إلى «حسنين باشا» بمنزله . فاستدعاهما ، وتحدثت إليهما فلم يكن أكثر توفيقاً .

* * *

اجتمع مجلس الوزراء مساء يوم ٢٦ يناير .

وتغيب عن الاجتماع «مكرم عبيد» وزملاؤه الوزراء أعضاء حزب الكتلة .

وتنق «القراشي» خلال الاجتماع خطاباً من «مكرم عبيد» يفيد أنه يبعث برسالة إلى جلالة الملك.

ونعرف مصر كلها، أن الرسالة تتضمن استقالة وزراء حزب الكتلة.
ويعود الملك في اليوم التالي - ٢٧ يناير - من الإسكندرية ويعقد اجتماعات مفردة مع كل من «القراشي»، ومكرم عبيد، والدكتور هيكل باشا، وحامد جودة بك، رئيس مجلس التواب..، ثم عقد الملك اجتماعاً مشتركاً للجميع.

قال «هيكل باشا» في مذكراته:

«دعا الملك «القراشي»، ومكرم» لمقابلته بقصر القبة. وطلب إلى أن أكون هناك للمعاونة في هذه المهمة، فلما قابلها، خرجا من عنده وعليهما من مظاهر الاتفاق ما طمانني. وما جعلني أحصد لها حسن تقديرها للموقف، في هذا الظرف الدقيق، الذي نعده فيه مصر عدتها لخوضها إنجلترا في تعديل المعاهدة.

قال في «القراشي» غير مرة إن التعاون بينه وبين «مكرم» أصبح مستحيلاً. وأحسب أن حرص رئيس الديوان، وحرص الملك، على لا يتغير الوضع الوزاري كان له أثره في تصرفه. لكن ما حدث من استدعاء الملك لرئيس الوزراء ولوزير المالية، وما كان قبل ذلك من خلافها، لم يكن سرّاً، بل تأثرت أبناؤه ووقفت عليها المعارضة، فكان لذلك أثره في تشجيع هذه المعارضة وإضعاف الوزارة».

وأذيع بلاغ رسمي بعد الاجتماع أعلن فيه «القراشي»، ومكرم، شكرهما لصاحب الجلالة. وهدأت العاصفة السياسية في مصر، لأن الرجلين وجدوا أنه لابد من التضامن التظارفاً للرد البريطاني.

* * *

وحاول الملك أن يجد حللاً..

قال «كيلر» في برقائه إلى لندن:

«ذكرت التقارير أن «أحمد حسنين باشا»، رئيس الديوان الملكي، يستكشف الأسس حول توسيع مجلس الوزراء..، وأنه يدل بالتصريحات الصحفية التي توحى بأن «الملك ماروق» مهمّ بذلك».

وأقترح «حسنين» أن يتم تعيين رئيس وزراء مستقل، لتشكيل حكومة ثلاثة، تهم بدعوة الوفد للاشتراك فيها مع استبعاد «النحاس باشا».

ولم يتم إحراز سوى تقدم ضئيل - حتى الآن - في عملية الاستكشاف ..

• • •

ويوالي « كيلزن » تعذير لندن من « التقراشي » ..

قال :

« هناك إحساس عام بأن « التقراشي » ليس من الطراز الذي يمكنه علاج الموقف الصعب الذي يسود مصر الآن ..

.. إن « التقراشي » يبدو عاجزاً عن علاج ، وتجيئه ، الرأى العام ، أو التعامل ، مع العناصر الخفية ..

... وينتشر أن ينساق شباب البلاد - وقد فقدوا إيمانهم بالزعماء السياسيين الحاليين - إلى موقف عنيف .. بلا عقل » ..

ويقترب طلبة الأزهر .. بعد استقالة الشيخ « إبراهيم حمروش » وزميله ..

وتضم كلية الهندسة بجامعة القاهرة إلى الإضراب لمساواة كلية الفنون التطبيقية بهم .. ، وتلهب صحف المعارضة حماس الطلاب المصريين ، لأن بريطانيا لم تستجب للمطالب الوطنية ولا تزيد الجلاء ..

ويكتب « كيلزن » إلى لندن مخبراً لأن السفارية لم تعد قادرة على تهدئة الوفد ، والتقراشى .. لم يستطع قمع المظاهرات ..

قال السفير :

« بدأت الصحف الوفدية ، شن هجوماً على بريطانيا العظمى ، في سياق حملة منتظمة من قبل الوفد ..

ومازال الجمهور والصحافة مستفزين ، من استبعاد مصر من محادثات السلام ، وبشأن الشرق الأوسط ..

وقد أصبح الجوف مصر ، بشكل عام ، أقل موافاة لبريطانيا العظمى ، مما كان منذ بعض الوقت ..

فالوفد لم يعد يقتصر هجومه على « التقراشي » والحكومة ، بل بدأ النقد العنيف لبريطانيا ..

ويبدأ شباب الوفد .. « عزيز فهمي » ، و« محمد مندور » ، و« عبد الحميد نافع » ، في تمجيد روسيا

والإشادة بسياستها ، والمطالبة بالاستفادة من العامل الروسي القوى ، لتحقيق الآمال القومية ..

ـ فروسيا - في رأيهما - (دولة صديقة بلا مطامع توسيعية) ..

ولم يكن الذين يتكلمون عن روسيا يعرفون كل الحقائق ..

“ ”

فـ (مؤتمر سان فرانسيسكو) ، طلب الاتحاد السوفيتي أن يعهد إليه بالوصاية على بعض البلدان .

وفـ (مؤتمر بوتسدام) ، اقترح السوفيت أن توضع - تحت وصايتهم - منطقة طرابلس الليبية .

وقال « مولوتوف » وزير الخارجية إن بلاده تريد منفذاً لها على البحر الأبيض المتوسط . وعارضت فرنسا وبريطانيا هذا الرأي في حين اقترحت الولايات المتحدة (وصاية مشتركة) . بشروط .

وسائل « إرنست بيفن » إلى موسكو لحضور مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى .. وبعد عودته إلى لندن ، شهد اجتماع مجلس الوزراء البريطاني يوم أول يناير عام ١٩٤٦ الذي عقد برئاسة « كليمينت أتل » رئيس الوزراء .

قدم « بيفن » إلى المجلس نتائج اجتماعات (مؤتمر موسكو) ، وما جرى فيه من تبادل للآراء مع « الماريشال ستالين » الزعيم السوفيتي ووزير خارجيته « مولوتوف » . وهذا نص ملخص اجتماع مجلس الوزراء البريطاني ..

« أشار « الماريشال ستالين » إلى الاقتراح الذي قدمه في أول اجتماع لوزراء الخارجية ، وهو أن يدعوا المجلس السوفيتي للوصاية على طرابلس . وأبدى « ستالين » أسفه لأن الحكومة البريطانية لم تتمكن من تأييد هذا الاقتراح . وقال إن بريطانيا تشك في نوايا السوفيت في هذه المسألة .

وقد رد عليه « بيفن » قائلاً إن الأمر ليس عدم ثقة ، ولكن بريطانيا تفضل أن تتجنب المناقضة مع الحكومة السوفيتية في هذه المنطقة . وانتقل « ستالين » إلى الحديث عن مصر . قال إنه قلق وإن البريطانيين لا يحب أن يخرجوا من مصر . رد « بيفن » قائلاً :

إن بريطانيا ستبحث مع مصر قريباً في تعديل المعاهدة المصرية ، وهو يأمل الاعتداد على تأييد وتعاطف الحكومة السوفيتية في المفاوضات القادمة مع بريطانيا .

وقد وعد «المارشال ستالين» ب تقديم هذا التأييد لبريطانيا » ١١

• • *

وبينما كانت الدول الكبرى تتحد في التآمر ضد مصر ..
كان زعماء مصر يتأمرون ضد «القراشي» ..

١- برقية رقم ٦
من «اللورد كيلر»
إلى وزارة الخارجية
بتاريخ ٥ يناير ١٩٤٦

- ١- زارني «حسين سري باشا» صباح اليوم بناء على طلبه .
 - ٢- سعي للحصول على وجهة نظرى . حول الموقف الحالى .
- أجبته : لا يمكننى التظاهر بالسعادة .

انتهت الحرب . ومن حسن الحظ أنها لم تعد مسألة لها أهمية مباشرة بالنسبة لنا .
٣- قال «سرى باشا» : هذا أمر بالغ السوء بالنسبة لمصر . لأن الموقف تسوده القوضى .
ولا يمكننا بالتأكيد . أن نترك مصر . تحمل نتائج المكائد الداخلية .

٤- وعندما سأله كيف يكون ذلك أجابني :
ـ يجعل مصر تسعى للحصول على نصائحنا . إذا لم تكونوا على استعداد للتطوع بها .
أشرت إلى أن ذلك ليس اقتراحًا عملياً . فما الذي يدور في ذهنه بالتحديد ؟
٥- جاء الرد على الفور :

ـ حكومة الثلاثية تضم كل الأحزاب . بما في ذلك الوفد . ورئيس الحكومة الجديد . خمسة
من أعضائها - مثلاً - لتفاوض معنا حول تعديل المعاهدة .

وعندما يتم ذلك ، يصل البرلمان الحالى . وتجري انتخابات عامة مباشرة .
وسيكون على البرلمان الجديد . لا القديم . التصديق على المعاهدة المعدلة .
وف رأيه أن الانتخابات العامة . سعيد الوفد الذى تزداد شعبيته بصورة سريعة . وسيكون
ذلك هو الوقت الذى تخل فيه مسألة «التحاس» نفسها . إذ من المؤكد أن «الملاك فاروق» لن
يضمه مطلقاً إلى أي وزارة ثالثة .

ويعتقد «سرى باشا» أن هذا شيء معروف . ومعترف به . بصورة أو بأخرى . من جانب
الوفديين البارزين مثل «صبرى أبو علم» . والملائى .

- ويبدو أن « سرى » يشير إلى أن الشخص الوحيد قادر على التعامل مع « التحاس » .
- ٦ - شكره على اقتراحه الشجاع . ولكنني أكيدت أنني لست على استعداد للقيام به بأي حال من الأحوال . فند عودتي في شهر نوفمبر كانت اتصالاتي « بالتحاس » معدومة تماماً .
- وعلى أيام حال فسيكون من الصعوبة أن تصور تدخلنا أكثر مباشرة وأكثر حفافة في السياسة الداخلية المصرية ، فصر وساستها يجب أن يتولوا خلاصها بأنفسهم . وقد حان الوقت ليفعلوا ذلك .
- ٧ - انتقلنا إلى أمور أخرى مثل الصعوبات التي تتضمن تعديل المعاهدة . وكان يعرف أن « الملك فاروق » ، يعتقد أن الحكومة الحالية يمكن أن تعالج الأمر بصورة مناسبة . « سرى باشا » على قناعة بأنها لا تستطيع ذلك . وإدارة المفاوضات على أساس حزبي ، سيكون شيئاً فاتلاً .
- وكان من الواجب ضم الوفد بصورة ما .
- ومن سوء الحظ ، أن « حسين » يساند « الملك فاروق » ، ويقطل على كرسي الرئاسة . وهذه حفافة بالغة بالطبع . وكان « سرى » شديد الانقاد لكل من « القراشى » ، وبدوى » ، لأن أي منها لا يتمتع حقاً بال بصيرة ، أو قدرة رجل الدولة .
- ٨ - قلت إن « الملك فاروق » أظهر إحساساً يستحق الترحيب فيما يتعلق بتعديل المعاهدة . أما ما كان مفاجئاً قليلاً . فهو أن جلالته يبدو عليه المهدوء بهذا الشكل إزاء إمكانية الانسحاب الكامل للقوات البريطانية كشى ، يؤثر على أمن عرشه .
- وكان الملك « قواد » يربط دائماً بين الشيئين اللذين يبدو أن « الملك فاروق » لم يربط بينهما ولكن - لحسن الحظ مرة أخرى - فإن ذلك ليس من شأننا .
- وما أخشى حدوث الصدام النهائي - وهو قد لا يكون بعيداً - بين السراى والحكومة ، أو بين الديكتاتورية ، وقوى الديمقراطية المحلية النامية .
- وباعتباره (حال الملكة) ، فقد ينبع في توضيح ذلك للملك .
- قال « سرى » إن « الملك فاروق » ، بكل فطنه الموروثة ، أخفق تماماً في إدراك كيف يمكن بسهولة أن يصبح وضعه غير مأمون داخلياً .
- ٩ - سجلت هذا الحديث بعض الإسهاب نظراً للوضع الخاص الذي يشغله « حسين سرى » ، وصدقه الوطيدة معنا ، وهو بطبيعة الحال مهم شخصياً ، وملكيّاً . لأنه

يعرف جيداً أن بقدوره أن يعتمد على تأييدها وتعاوننا في حالة تكليفه برئاسة وزارة جديدة » .

وهكذا يرشح « سرى » نفسه لرئاسة الوزارة ..
والغريب في الأمر أن هذا الاقتراح . نفذ بعد سنوات .. أى في عام ١٩٤٩ . عندما تولى
« حسين سرى باشا » نفسه رئاسة وزارة التلافية أجرت انتخابات عامة .

عقدة .. ييفن

كان أرنسٍت ييفن في الرابعة والستين من عمره عندما تولى وزارة الخارجية .. وهي أول مرة يتولى فيها هذه الوزارة .. وأول مرة في تاريخ بريطانيا كله تكون فيها لوزير الخارجية - العمال -أغلبية في مجلس العموم .. أما الوزيران السابقان العماليان فيها رامزي ماكدونالد الذي كان رئيساً للوزارة وزيراً للخارجية عام ١٩٤٤ وأثر هندروson الذي تولى هذه الوزارة عام ١٩٢٩ . وقد ظل ييفن يتولى هذا المنصب - نحو ٦ سنوات - حتى يوم ٩ مارس ١٩٥١ . فهني فترة طويلة تتبع له اتخاذ سياسة بعيدة المدى ، ومتتابعة تنفيذها . و مجلس الوزراء البريطاني ، يقر ، عادة ، سياسة وزارة الخارجية .. وتوجد في المجلسلجنة وزارة للسياسة الخارجية . ولكن في وزارة أثلي ألغت هذه اللجنة فأصبحت لييفن حرية الحركة .. ونفوذه في الشؤون الخارجية لا يتحداه أحد .. وكل سياسة اتخذها ييفن أقرها مجلس الوزراء .

وكانت صلة ييفن بأثلي قوية للغاية .. في مذكراته قال أثلي : «كنت شغوفاً بـ ييفن . وهو شغوف بي فهو بعضنا . ولم يختلف في أية مشكلة كبرى . وعلاقتي به هي أعمق علاقة في حياتي » . وكان أثلي شديد الاهتمام بالشئون الداخلية . ولذلك ترك لييفن كل السياسة الخارجية . وفي مذكراته أيضاً فسر أثلي السر في ذلك فقال :

«إذا كان لديك كلب ممتاز فلا تندع أنت.. بل دع الكلب ينبع.. وكان يعن كلباً ممتازاً»!
ولقد انتشرت في بريطانيا في ذلك الحين نكتة تقول:
(«أنتِ» هو رئيس الوزراء اسمًا..).

«ومررت موريسون» - أحد رجالات الحزب - يظن أنه رئيس الوزراء..
ولكن «يعرف» هو رئيس الوزراء! ١
وهذه النكتة أقرب للحقيقة.. ومن هنا نفهم السر في أن «أنتِ» ترك «ليفن» حرية تقرير
المخطوط الأساسية الخارجية.. كما أن «أنتِ» أراد وزيرًا قويًا للشئون الخارجية وترك لهذا الوزير
حرية الحركة.

ومن هذا كله نفهم مدى قوة «يعرف» في مجلس الوزراء البريطاني، وفي السياسة الخارجية
للحكومة البريطانية.

ففي مذكرةاته، شبه «وليم سترينج» الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية، «أرنست
ييفن» بالإمبراطور. فهو يعرف ما يريد. وينجد من الصعب عليه. أن يفهم سر معارضة
الآخرين له.

وكان «يعرف» - كما يرى «سترينج» - أساساً ينظر إلى الأمور من خلال تجربته وحده.. حتى
إذا استقر على رأي فإنه - عندئذ - لا يستمع إلى أي تحذير.
.. يظن أنه الوزارة البريطانية كلها، فهو واثق من قوته، ولا يهمه أن تكون الصحافة معه
أو ضده.

ويرى العالم وحدة واحدة. ولا يتعامل في أي مشكلة على أنها منفصلة عن باقي مشاكل
العالم.

وكان «يعرف» مصاباً بعقدة خطيرة..
إنه يفهم بمن سبقوه في منصبه.. ومثله الأعلى وزيران للخارجية البريطانية...
الأول «كاسلر» الذي تولى وزارة الخارجية أكثر من عشر سنوات من عام ١٨١٠ حتى عام
١٨٢٢. ومات وهو وزير للخارجية.. مثل «يعرف»!

تولى «كاسلر» الوزارة في أواخر عصر «نابليون». وعهد إليه بالتفاوض مع القوى الكبرى
بعد هزيمة «نابليون». لتحقيق السلام في أوروبا.
ولم تكن الاتصالات سهلة في ذلك الحين، فكان «كاسلر» يتحذّ - وحده - أحضر

القرارات في شؤون الحرب والسلام ، دون الرجوع إلى مجلس الوزراء .. لأن الوزير في « باريس » أو « فيينا » ، و مجلس الوزراء مستقر في لندن .

وكانت لدى الوزير كل السلطات للتفاوض وتوقيع الاتفاقيات أيضاً .

وقد رفع شعار « التوازن العادل » فهو يطبق التوازن بين القوى الكبرى . في ظل حصول كل منها على مصالحه .

واشتراك « كاسلری » مع « ميرفيغ » وزير خارجية المساى في توزيع الأراضي ، والبلاد ، دون اهتمام برغبات السكان فإن الاستقرار - وحده - هو المدف .

ورأى « كاسلری » أن أوروبا الشرقية لن تكون أبداً مجالاً للنفوذ البريطاني . بل للروس ولذلك وقف ضد موسكو .. وأقام تحالفات مع الدول الأوروبية لمنع الروس من ابتلاع أوروبا ، ومنع فرنسا من أن تصبح قوة كبيرة أو تعيق عهد توسيع « نابليون » مرة أخرى .

وهذا هو ما اتجه إليه وطيفة « أرنست بيفن » ..

وكانت نهاية الرجلين واحدة .. ماتا وهما وزيراً ..

« كاسلری » التحر ..

« بيفن » أدى مرضه إلى وفاته ..

وكان « اللورد كيرزون » هو المثل الأعلى الثاني « بيفن » .

وقد تولى « كيرزون » وزارة الخارجية البريطانية ٤ سنوات من عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٢٣ . في أعقاب الحرب العالمية الأولى . واشتراك في توزيع مناطق النفوذ . وإقامة تحالفات . والتوازنات الدولية ، لشيق بريطانيا محظوظة بإمبراطوريتها العظمى ..
وفي كل أزمة دولية كان « بيفن » يتساءل :
ـ ماذا كان « اللورد كيرزون » يفعل في هذه المشكلة ؟ ..
ولذلك قيل إن « بيفن » وزير من القرن الثامن عشر !! ..

* * *

.. خاف موظفو وزارة الخارجية البريطانية أن يتضليل نفوذهم بعد تولي « بيفن » .. إنه رجل دخل مجلس النواب لأول مرة عام ٤٠ وعمره ٥٩ سنة .. ودخل وزارة « نتشيل » الائتلافية بعد ذلك ..
وهو رجل نقابات العمال ، ولذلك آمن الجميع بأنه سيحدث هزة ضخمة في هذه الوزارة .
والحقيقة أن شيئاً من ذلك لم يحدث ..

إن بيروقراطية وزارة الخارجية البريطانية استطاعت أن تسيطر على «بيفن» - وأن تسوسه أيضاً
بلا ف الشفون التي كون فيها رأياً . فيها اتجاه محدد ، وبالذات علاقته بالسوفيت .
ومنذ عام ١٩٢٧ «بيفن» يرى ضرورة اتجاه بريطانيا نحو وحدة اقتصادية أوربية .
أو ما عرف بعد ذلك باسم السوق الأوروبية المشتركة .. وربما كان ثالثه هو الذي دعا «هارولد
ولسون» ، عندما تولى رئاسة الوزارة . أن يطلب باسم بريطانيا دخول هذه السوق .
ومنذ الثلاثينيات ، «بيفن» لا يثق بالشيوعيين داخل نقابات العمال البريطانية ، ولا يثق
بالروس بصفة عامة .

شهد «بيفن» مؤتمر «بوتسدام» - بألمانيا - . وهو المؤتمر الذي قرر مصير العالم بعد الحرب .
وكان «بيفن» مع «أنتل» . عضوين في الوفد الذي يرأسه «تشرشل» رئيس الوزراء .
وتوقف المؤتمر يومين لإجراء الانتخابات البريطانية .. فلما سقط العمال عاد «أنتل»
«بيفن» إلى «بوتسدام» ولم يعد «تشرشل» .
وكانت هذه هي أول مرة يتعامل فيها «بيفن» مع الروس .. وكان من رأيه «أن الروس
يمكن أن يكونوا عدوانيين وغير متعاونين» .

قال وزير خارجية أمريكا الذي حضر «بوتسدام» مع «ترومان» : «كانت طريقة «بيفن»
عدوانية حتى أنتا تعجبنا - أنا «وترومان» - كيف نستطيع التعامل معه» .
وفي هذا المؤتمر قال «مولتونوف» وزير خارجية السوفيت «ليفن» :
- إن «تشرشل . وإيدن» كانوا صديقين لروسيا . أما . أنت «أنتل» . فإنكم نموذجان
للاستعماريين البريطانيين القدامى .

ومن هنا نفهم سر الصدام الطويل الذي بدأ بين «بيفن» والسوفيت خلال السنوات الست
التي تولى فيها وزارة الخارجية .
وقد أصبح العداء للسوفيت هو نقطة الارتكاز في السياسة الخارجية البريطانية خلال عهد
«بيفن» .

ولابد أن نفهم ظروف العالم كله في هذه الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية .
بريطانيا خرجت من الحرب متصرفة . ولكنها تعاني أزمة اقتصادية ضخمة .. أو منهكة .
اقتصادياً .. بعد أن توقف تطبيق قانون الإعارة والتاجير الأمريكي . وقوات بريطانيا منتشرة في

كل مكان .. في أوروبا - والشرق الأقصى - والشرق الأوسط أيضاً .. ولكن نفوذ بريطانيا السياسي يتضاءل .

وكان « بيفن » يعرف هذه الحقائق المتناقضة .. وهي أن على بريطانيا نفس الالتزامات والارتباطات القديمة السابقة ، ولكن ليست لديها القدرة لتكون قوة كبيرة . فهي تعتمد على أمريكا مالياً .. وتختلف معها سياسياً .

إنها - بريطانيا - بلا قوة ومع ذلك تريد أن تلعب في السياسة العالمية . دوراً كبيراً !!

.. تغير الميزان الدولي بعد الحرب . بإعادة توزيع القوى الجديدة ..

أصبحت في العالم قوتان فقط ، أمريكا والاتحاد السوفيتي . ولم تعد بريطانيا إحدى القوتين الكبيرتين . ولكن من القوى الكبيرة .. فقد تبدل موقعها نتيجة العلاقات الجديدة التي قامت بعد الحرب لأن قدرة بريطانيا عسكرياً واقتصادياً أصبحت محدودة ..

وكان بيفن أول وزير للخارجية في بريطانيا يواجه انهيار . وندهور . بريطانيا .. وأمامه مشاكل كثيرة ووسائل حلها محدودة أو أقل مما توفر لدى أي وزير سابق .
وانتشر في بريطانيا رأى يقول : إن عليها الانسحاب من كل مكان لتصبح بريطانيا الصغرى . رد « بيفن » على ذلك قائلاً : « نحن لا نقبل الرأى الذي يقول بأننا لم تعد قوة ضخمة . وأن نتوقف عن القيام بهذا الدور .. إننا نعتبر أنفسنا إحدى القوى الحيوية للسلام العالمي . وعلىنا دور تاريخي . وينبع استمرار مسيرتنا فيه » .

.. وفرق ضخم بين قوة كبيرة . وقوة حيوية .. لا نستطيع أن تكون العامل المؤثر في بحري الأحداث .

كانت ألمانيا . تقسيمها . وتسليمها . ورauważها . هي النقطة التي تحيط عندها الحلف الثلاثي الذي استمر في أثناء الحرب وانتصر . والذي يضم أمريكا والاتحاد السوفيتي وبريطانيا .
بيفن يرى أن على الغرب أن يواجه اختباراً للقوة مع روسيا .
وبإعادة بناء الاقتصاد الغربي يعتمد على ألمانيا الغربية وتعاونها .
ولابد من إنهاء الاحتلال السوفيتي الأمريكي لألمانيا الغربية وإقامة دولة فيها وهو على يقين من أن الروس سيعارضون ذلك .

وكلاً تعمق الخلاف بين الأطراف الثلاثة ، أصبحت بريطانيا هي المهدى الرئيسي للعداوة السوفيتية .

وكان « ييفن » ضد سياسة الروس ، في فرض أنظمة مشابهة لهم في الدول الشرقية . واعتبر ذلك خالفاً لاتفاقات يالتا .

وهو - ييفن - يريد وقف توسيع الروس ، ولكنه لا يستطيع ذلك . ومن هنا تطلع إلى قوة أخرى للموازنة مع الروس .

ونظرية القوة الثالثة الجديدة ، تعتمد في رأيه . على هيئة الأمم المتحدة التي قامت بعد مؤتمر « سان فرانسيسكو » وتضم هذه القوة بريطانيا والكونفدرالية وأوروبا الغربية ... وتساندها الولايات المتحدة .

ولم يدرك « ييفن » في ذلك الحين أن الدول المستقلة الجديدة قد تساعد على الاشتراك في هذه القررة الثالثة .

* * *

وكان هناك نقد كثير لسياسة « ييفن » من نواب حزب العمال . إن الحزب حمل شعاراً في الانتخابات يقول : « اليسار يفهم اليسار » ... ، أى أن العمال يفهمون السوفيت ، ويستطيعون التعامل معهم .. ، ولم يتحقق ذلك ، لأن « ييفن » لم يكن معجباً بالسوفيت قطّ ...

وقد اتهم الحزب - من نوابه - بأنه خان السياسة الخارجية الاشتراكية . وذلك دون أن يوضع تعريف لهذه السياسة الخارجية الاشتراكية !

* * *

وكان « ييفن » يجري اتصالات سرية مع « إيدن » - وزير الخارجية المحافظ السابق - . ويستشيره .

وكان « ييفن » يتوقع أن يوافقه الآخرون على رأيه .. . ويعتبر كل نقد .. طعنة في ظهره . وهو يتكلّم عن آلية مفاوضات تشارك بريطانيا فيقول « مفاوضاتي » « ومعاهداتي » ولذلك فإن التقد للمفاوضات ، أو المعاهدات التي يشارك فيها ، يعتبر إساءة شخصية له وهو رجل .. ليست له علاقة بالسياسة الخارجية . وبالذات بالشرق الأوسط .. زار قبل ذلك .. أوروبا وأمريكا ودول الدومينيون أما الشرق الأوسط فبعد عن اهتمامه .

ومنذ عام ١٩٣٧ « ويفن » يؤيد تسلیع بريطانيا لواجهة « هتلر ». فهو في هذه الناحية مع « تشرشل » .

وعندما كان وزيراً في وزارة « تشرشل » أعطى صوته مؤيداً لقانون منع الإضراب .. وهذا أيضاً ضد سياسة العمال .
وأيد - كوزير للخارجية - النظام الملكي في اليونان . وعارض التدخل العسكري ضد الملكيين هناك بعد الحرب ..

• • •

وفاجئات مجلس الوزراء البريطاني . كانت تناقش باستمرار الشؤون الاقتصادية ، وضرورة تسريع المجندين بسرعة وتوفير أعمال لهم .

وكانت الوزراء يطالبون بتخفيف ميزانية الدفاع ...
ويرغم المشكلة الاقتصادية . فإن بريطانيا اضطررت لإرسال القميم إلى المنطقة التي تحملها بريطانيا في ألمانيا . ولذلك فرض توزيع الخبز بالبطاقات في بريطانيا بعد استسلام ألمانيا في حين لم يفرض ذلك في أثناء الحرب ..

• • •

هذه هي صورة « ويفن » الذي جاء ليتواء شؤون بريطانيا الخارجية ويعامل مع « التراشي » .. أو على « التراشي » ، أن يتعامل ، أو يتفاوض معه .
.. إن وزيراً بهذه الصورة يحتاج إلى من يفهمه . وبقدر ظروفه . وخاصة أنه يضع الاقتصاد كعامل أساسي في آلية مفاوضات .. فهو لا يريد أعباء على بريطانيا ..
وموظفو وزارة الخارجية البريطانية يسيطرون عليه .. وإليد ينصحه سرًا . وهو يريد تخفيف أعباء بريطانيا الاقتصادية في مصر . وفي غير مصر .

وهو يريد من يقف معه لتكوين قوة ثلاثة ضد الروس .
وكانت بريطانيا ترى أن مصر هي التي ساعدت على النصر في حرب عالمتين .
من القاهرة في عام ١٩١٧ . تحرك الماريشال « اللورد الّى » ليزم تركيا .
وفي عام ١٩٤٢ . توقفت قوات « هتلر » الزاحفة في مدينة العلمين المصرية .
ولذلك رأت بريطانيا أهمية مصر في الدفاع عن بريطانيا نفسها .
ورأى العسكريون البريطانيون . أنه من الصعب عليهم النضجة بهذه المنطقة الحيوية .

التي تعتبر نقطة اتصال رئيسية في خطوطهم الدفاعية . بل إن الانسحاب من المدن الرئيسية
لنصرة كان يبدو للعسكريين البريطانيين عملية لا ينفع القيام بها .

— ٤ —

وقد ظل شخصية « بيفن » وثانية . قدم إلى مجلس الوزراء البريطاني - يوم ١٨ يناير
١٩٤٦ - مذكرة برؤيه في تعديل معاهدة ١٩٣٦ .

ومذكرة طويلة ..

وهذا أهم ماقيلها :

« أوصى بإرسال رد إلى مصر . يوافق بصورة عامة . على إعادة النظر في المعاهدة .
» المواد الأساسية في المعاهدة الحالية . تمثل أهمية عظمى من وجهة نظرنا . وهذه المواد
تنصل بإقامة التحالف . وتقديم كافة التسهيلات المتاحة لقواتنا في زمن الحرب . أو هي مواد
يمكن تجديدها أو توسيعها في أي تعديل للمعاهدة . طبقاً للإدلة ١٦ من معاهدة ١٩٣٦ .
وكل نقطة بداية علينا الإصرار على هذا التجديد .

« هناك عدد من المواد . وخاصة المرتبطة بعصبة الأمم أصبحت مواداً عتيقة فات أوانها .
ولأن معاهدة ١٩٣٦ بأسرها . تقوم على أساس عصبة الأمم ومتناقضها فمن الضروري إجراء
بعض التعديلات المطلوب إدخالها .

« ليس من الحكمة . بل من المستحب على ضوء وضع الرأي العام المصري . وال موقف
الدول بصورة عامة . أن تشنّد موقفاً يقوم على أساس نص المعاهدة الحالية التي تستبعد إمكانية
إجراء أي تعديل قبل نهاية العام الحال .

» المعاهدة الجديدة - التي ستضم مرة أخرى الجهات الأساسية للمعاهدة القديمة - يجب أن
تكون ثنائية الطابع .

ويجب أن تم صياغتها على أن تتلاءم مع قيام نظام دفاعي إقليمي للشرق الأوسط ككل
وهو الأمر الذي أمل تحقيقه بالصورة المناسبة .

وستربط المعاهدة بمنظمة الأمم المتحدة بصورة مناسبة . بحيث يمكن أن تكون ترتيباً للدفاع
الجماعي كما هو مخول بالمادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة .

» أوافق على نصيحة رؤساء الأركان . بأنه من الضروري أن نضغط للمحصول على
تسهيلات للبقاء على القوات البرية والجوية في مصر في زمن السلم . حتى يمكن أن تصبح
المساعدات التي تقدم بصورة عاجلة فعالة وسريعة بشكل كاف .

بالنسبة للسودان الذي يشكل - مثل مسألة التسهيلات لقواتها زمن السلم - صحوة أساسية . ولا تتيح سوى مجال صغير للسلامة . فإن الحكومة البريطانية كررت رفضها للتخل عن مسئوليتها حيال الشعب السوداني الذي تبلورت بين صقوفه بالفعل . المذكرة القومية . ومن المستحيل بالنسبة لنا أن نوافق على الطلب . الذي قد تقدم به مصر . وهو الاعتراف بالسيادة المصرية وحدتها على السودانيين . ويجب على المصريين أن يعرفوا - بصورة حاجة . موقفنا الخاص . وهو أن مستقبل السودان ليس ملكاً لهذا البلد . أو لمصر . بل للسودانيين أنفسهم . ويجب أن تؤخذ رغباتهم في الاعتبار في أية ترتيبات جديدة يتم التوصل إليها .

« ويجب أن تعتمد (تكبيكاتنا) الأخرى على رد فعل المصريين إزاء الموقف . وبالنسبة للإجراءات . علينا أن تتبع ما جرى عام ١٩٣٦ . وأن نهدى الأرض بإجراء محادثات تمهيدية في القاهرة . يجريها سفيرنا وقادة الفروع العسكرية كمستشارين فنيين للسفير . من غير الملام من الناحية العقلية . استقبال وفد مصرى في لندن خلال الأسابيع القادمة إذ ستجرى المناقشات بصورة صاحبة . الأمر الذى سيزيد بشدة من احتفال حدوث ان bianar ». ونحدد « بينما » خطوط المحادثات مع مصر وال العلاقة بين المعاهدة الجديدة و ميثاق الأمم المتحدة على النحو التالي :

ـ « أفضل ما يناسب بريطانيا . هو أن تقدم بالمعاهدة بوصفها من ترتيبات الأمن الجماعي داخل نطاق مفهوم المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة أكثر من كونها اتفاقية « إقليمية » تدخل في نطاق مفهوم المواد من ٥٢ حتى ٥٤ للأسباب التالية :

- (أ) أحد أغراض الترتيبات الإقليمية . هو التوصل إلى تسويات سلمية للممتازعات المحلية . عن طريق الاتفاقيات المحلية .

(ب) تعارض الحكومة المصرية أن تأخذ المعاهدة شكل اتفاقية إقليمية .

(ج) هنالك شرط غير مناسب في المادة ٥٣ من ميثاق الأمم المتحدة ، لأنه لا يمكن التخاذ إجراء طبقاً لأية اتفاقية إقليمية دون تحويل من مجلس الأمن في الوقت الذي لا توجد فيه أية قيود في ممارسة الدفاع الجماعي طبقاً لل المادة ٥١ .

ـ من الأفضل في بداية المحادثات الإهيدية تجنب الإشارة إلى مواد معينة خاصة بالأمن في ميثاق الأمم المتحدة . وقد نضطر لمناقشتها هذا الأمر في وقت قريب .

« الهدف من المعاهدة ، هو القيام ، عن طريق التعاون المتبادل ، بتعزيز المساهمة التي يمكن لكل طرف أن يقدمها ، للحفاظ على السلام والأمن العالميين طبقاً لبيانات الأمم المتحدة .

الدفاع :

« يجب أن توضح للحكومة المصرية أنها تتطلع إلى الارتفاع بمسألة الدفاع . من مستوى المفهوم الثنائي المجرد ، إلى مستوى المشاركة العامة ، بين دول الشرق الأوسط وبريطانيا ، لتأمين وحدة واستقلال هذه الدول .

ومن ناحية أخرى ضمان أمن « الكومونولث » البريطاني الذي يمكن أن يتعرض - كما وضح من المربين العالميين - إلى تهديد بالغ عند شن هجوم ، ضد منطقة الشرق الأوسط . وبهذا الشكل فإن دول الشرق الأوسط والكومونولث تقف معاً أو تسقط معاً . إن قيام أحد المع狄ين ، بالقضاء على استقلال دول الشرق الأوسط ، أو استقلال دولة منها ، يهدى بقسم « الكومونولث » .

وبصورة مماثلة . فإن تدمير موقف بريطانيا في الشرق الأوسط من قبل أحد المع狄ين يهدى الاستقرار في الدول العربية كل على حدة .

وزيادة على ذلك فإن جمل تجربة الحرب الأخيرة . يوضح . أن الدول الصغيرة ، تتعرض للاجتياح من قبل المع狄ي ، منها أبدت من ثبات في الدفاع عن نفسها . ما لم تتمكن من الحصول على دعم كامل وعاجل من دولة عظمى . تختلك قوة عسكرية واقتصادية متساوية لقوة المع狄ي . وإذا كانت مصر قد تقادت آلام الاحتلال من قبل العدو ، فإن ذلك يرجع إلى وجود نواة لقوة قادرة للدفاع عن الأراضي المصرية ، وشن هجوم مضاد طبقاً للمعاهدة المصرية البريطانية . « ويجب أن تذكر أنه منذ فجر التاريخ ، فإن كل مع狄 قد وصل بأطلاعه حتى منطقة الشرق الأوسط .

وليس هناك خطأ أفدح من أن تفترض الدول العربية أن حريتها في ١٩٤١ - ١٩٤٣ ، أدت في حد ذاتها إلى تحجيم خطر شن هجوم عليها في جميع الأوقات .

وقد تعهدت المملكة المتحدة وحلفاؤها ، في الأمم المتحدة بإقامة نظام عالمي لضمان أمن العالم . غير أنه من المطلوب وجود مشاركة إقليمية ، لحين استكمال هذا الصرح العالمي . والمشورة العسكرية المتأسفة للحكومة البريطانية أقنعتها بأن الدفاع عن الشرق الأوسط يمكن . و يجب أن يتم تنظيمه . على أسس جماعية .

وعلى ضوء الاعتبارات السابقة ، تعتبر حكومة صاحب الجلالة من الأمور الجوهرية – كما جاء في المادة ١٦ من معاهدة ١٩٣٩ - استمرار التحالف ..

ويجب بصفة خاصة التأكيد على المساعدات التي وعدت بها مصر وتحديثها من جديد على ضوء التجربة المكتسبة .

... وحتى تصبح هذه المساعدة ذات فعالية كاملة ، لأبد أن نحصل على تسهيلات معاينة في دول الشرق الأوسط ، في زمن السلم . وأن تكون قادرین بصفة خاصة على أن نضع في المنطقة وفي مصر بصفة خاصة - بوصفها إحدى الدول - التي يسمح وضعها بال/naval . وتطورها الصناعي - بأن تكون قاعدة إقليمية ، الحد الأدنى من القوات الضرورية لوجود توأمة لمنشأة عسكرية لؤمن الحرب للدفاع عن المنطقة بأسرها . ولتأمين استمرار التعاون في التدريب . واستخدام الأجهزة التكتيكية والأسلحة .

• طبقاً للتطور الحالي للطيران العسكري فإن العيب الذي سيقع على دولة صغيرة . أو عدة دول صغيرة ، في الحفاظ على قوات الدفاع الضرورية . لصد هجمات الفصق البعيد المدى . (بكل تأثره) . سيكون أمراً غير محتمل . منها كانت عظمة روح التضييق والوطنية . وعلى هذا فإن حكومة صاحب الجلالة . ستطلب من الحكومة المصرية قبل أي شيء آخر ، تأكيد المواد من ٤ إلى ٧ في المعاهدة الحالية .

وتوافق من حيث المبدأ على تزويد القوات الإمبراطورية بالتسهيلات الإدارية . وتسهيلات في القواعد والاتصالات ببقاء القوات البريطانية على أراضيها لسنوات محددة تعتبر ضرورية .. كجزء من المساهمة ، التي تكون مصر مستعدة لتقديمها . لأمن الشرق الأوسط .

• ستطلب حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا من الحكومة المصرية . أيضاً . بناء وسائل معاينة للدفاع . أو أن تقيم القوات الإمبراطورية ما قد تكون هناك حاجة إليها ، في جميع أنحاء مصر .

• بالإضافة إلى ذلك ستثير حكومة صاحب الجلالة . مع حكومة مصر مسألة بقاء البعثة العسكرية البريطانية .

• ويعتبر أمن الحدود الجنوبية لمصر من المصالح البريطانية المصرية المشتركة مثل العبور الحر لتجارة السودان .

• استمرار الإدارة الحالية للسودان . التي تمارس منذ حوالي نصف قرن بواسطة عدد من البريطانيين .

من الضروري إقامة جهاز دستوري في السودان لاستشارة الرأي المحلي ..
وتعزف الحكومة المصرية أن المحاكم العام للسودان . أعلن في توقيف الماضي في الاجتماع
لآخر للمجلس الاستشاري السوداني بأنه « في حالة إثارة مسألة الوضع المقبل للسودان . من قبل
سلطات الحكم الثنائي في أي تعديل للمعاهدة المصرية البريطانية فإن حكومة السودان تتوى إجراء
مشاورات مع المجلس الاستشاري لشمال السودان حتى تكون آراؤه تحت تصرف حكومة الإدارة
لإبلاغها المقوى » .. أي مصر وبريطانيا .

.....

اجتمع مجلس الوزراء البريطاني يوم ٢٢ يناير ١٩٤٦ . لبحث طلب مصر تعديل المعاهدة .
وحضر الاجتماع ثلاثة من كبار القادة العسكريين البريطانيين وهم « اللورد لأن بروك » رئيس
أركان القوات الإمبراطورية . « وارث تيدر » ماريشال الجو . ونائب الأدميرال « رودربلك مايك
كريغور » نائب رئيس القوات البحرية .
وهذا حضر الاجتماع ..

« بحث مجلس الوزراء مذكرة وزير الخارجية التي تعرض السياسة والإجراءات التي سinea
تباعها في المفاوضات الخاصة بتعديل معاهدة ٣٦ المصرية والبريطانية .

وهناك توصية من وزير الخارجية بإرسال رد بالموافقة بصورة عامة على إعادة النظر في
المعاهدة .

وستجري المباحثات التمهيدية في القاهرة بين سفير صاحب الجلالة . وقادة الفروع العسكرية
العاملين كمستشارين قديرين له . وتم توضيح التعليمات المقدمة للسفير في مذكرة وزير الخارجية .
وذكر الوزير أن المعاهدة الجديدة ، بالرغم من طابعها الثنائي فإنها يجب أن تصاغ لتناسب مع
نظام إقليمي للدفاع عن الشرق الأوسط ككل .

ومواد المعاهدة الحالية التي قام التحالف على أساسها . والتي تنص على تقديم التسهيلات
لقواتنا المسلحة في زمن الحرب قابلة للتجديد (أوتوماتيكياً) في أي تعديل للمعاهدة على أن يؤخذ
هذا كنقطة البداية في المفاوضات .

ومن الأمور الأساسية أن نضغط للحصول على تسهيلات للبقاء على القوات الجوية والبرية
البريطانية في زمن السلم . لتصبح في موقف يمكننا فيه أن نقدم مساعدة سريعة وفعالة في حالة
الطوارئ .

وعلى أية حال فإن ما نهدف إليه . هو الابتعاد عن فكرة وجود قوات احتلال بريطانية في مصر . إلى فكرة قيام إجراءات دفاع مصرية بريطانية مشتركة .

وسوف يمكننا هذا . من استخدام القوة البشرية المصرية استخداماً مكثفاً في الورش والخدمات المساعدة . وبهذا يمكننا أن نحقق التخفيف المطلوب للغاية في نفقاتنا العسكرية في هذه المنطقة .

ومن المحتمل أن يطلب من الاعتراف بسيادة مصر وحدها على السودان . إذ أن هذه النقطة تمثل أهمية بالنسبة للمصريين .

وفي رأي الوزير ، أنت لا يمكنك أن توافق على ذلك . علينا أن نواصل رفض التخلص من مسؤولياتنا تجاه الشعب السوداني .

وذكر رئيس الأركان العامة الإمبراطوري . أن وزارة الخارجية استشارت رؤساء الأركان في الإعداد للمقترحات المقدمة . ولم تطلب منهم أية تعقيبات أخرى .

وذكر رئيس مجلس التجارة ، أنه يجري الآن الإعداد لإبرام المعاهدة التجارية المصرية البريطانية . وقد ينشأ موقف محرج ، إذا انتهت مفعول الموجة التجارية في المعاهدات القائمة ، قبل إبرام المعاهدة التجارية الجديدة .

وعلى هذا ، طالب بأن يكون مجلس التجارة ، على معرفة يتقدم المناقشات حول المعاهدة الأساسية .

وقال وزير الخارجية : « إنه سيرتب ل لتحقيق هذا الأمر » .

ويوافق مجلس الوزراء في نهاية الأمر على الرد الذي أعدد « يفنن » لمصر . وعلى أن يتولى السفير البريطاني في القاهرة إجراء المحادثات التمهيدية .

ولم تعرف مصر شيئاً من هذا كله ..

لم تعرف أن بريطانيا تريدبقاء قواتها في مصر ، تحت اسم آخر وهو الدفع الإقليمي .
.... وأن يُدرِّب الجيش المصري والعمال المصريون ، لتخفيض النفقات عن بريطانيا .

ولا تنسحب الإدارة البريطانية من السودان .. ولا تتركه بريطانيا !!!
.... ولكن مصر كانت منقسمة ، موزعة ، كل حزب فيها يحارب الآخر ، والملك يلعب لعبة التوازن ..

لم تكن مصر مستعدة ، ولم تكن أيضاً تدري !

· وإذا كانت هناك فكرة في قيام وزارة التلافيـة ، فإن ذلك يقتضـى أن يفتح «كيلـون» باباً للحوار مع «النحـاس» .

والحوار مع «النـحـاس» لا يكون إلا عن طريق «أمين عـثـان باشا» ..
ولكن هذا الطريق أصبح مسدوداً .. أغلقته رصاصـتان ! ..

اغتيال أمين عثمان

أنشأ أمين عثمان «رابطة النهضة». تدعو للصداقة بين مصر وبريطانيا. وهذا هو المدف
الظاهر، أما المدف الآخر فهو إلقاء الأضواء على الباشا ليكون - يوماً - رئيساً للوزراء.
... وفي السادسة والتتصف من مساء ٥ يناير ١٩٤٦، وصل «أمين عثمان» - كعادته - إلى
نادي الرابطة بشارع عدل. وما كاد يصعد السلام الأولى حتى بُرِزَ له شخص كان يتظره. ثم
أطلق عليه الرصاص.

ويطارد الناس القاتل فيجري نحو ميدان الأوبرا ويطلق الرصاص هنا وهناك.. وعندما يوشك
المطاردون على اللحاق به .. يلقى عليهم قبلة بدوية. تنفجر، وتتصيب البعض.
ولم تكن هذه أول محاولة لاغتيال «أمين عثمان»؛ جرت محاولة لقتله في مارس ١٩٤٥،
ولكنها فشلت. يومها .. وجد «أنتوني إيدن» وزير خارجية بريطانيا. وقتها يبعث فيه إلى «أمين
عثمان» برقية تهنته بتجاته من القتل.

بعث «اللورد كيلر» برقية إلى لندن. وصف فيها كيف مات «أمين عثمان».

قال اللورد:

«أنت الأنبياء الليلة بأن الرصاص أطلق على الصغير المسكين أمين عثمان. وقد أصابته إحداهما
في الصدر. أما الأخرى فليست مؤذية وهو الآن في المستشفى.
بینما كنت أقوم بالإملاء، وصلت رسالة من «كيني». زوجة «أمين عثمان» - وكانت قد
كتبت لها - تقول إنه سيعجز «لأمين» نقل دم، وإنهم بحاجة لشورة جراح خبير».

وقالت الرسالة :

«أيمكن أن ترسل الجراح البريطاني الخبر «الأدميرال ويكل» . للمساعدة ؟ .

قلت :

ـ إننا سنفعل ما في وسعنا . وعلى الفور أبلغت «نوفي كار» أن يذهب إلى الأدميرال . وحاول ترتيب ذهابه إليهم .

وأضجع أن الرصاص قد أطلق على «أمين عثمان» وهو على عتبة «أولد فيكتورياكروب» . وذلك يدوأً أمراً بالغ السوء . ولكن لماذا اختبر الصغير المسكين «أمين» ؟ ذهبت إلى مستشفى الأنجلو أمريكياد بعد العشاء . فقد وصلت رسالة تفيد بأن حالة «أمين» خطيرة للغاية .

... خارج المدخل كانت العربات مزدحمة . وفي الداخل ساد الفرج والمرج .

ووجدت «كبيي» التئمة في حجرة مليئة بالنساء .

وفي النهاية عثنا (أنا وهي وفرغل) - محمد أحمد فرغلي باشا تاجر القطن - على حجرة نحالية تخص أحد المرضى . حيث جلسنا وأفرغت مكتوب صدرها إلى .

انضم أنها كانت في طريقها للسبينا . عندما سمعت بالصوت ، وعندما وصلت إلى جواره . كان قد نقل بالفعل إلى المستشفى ، وكان - مازال واعياً .

ولم يكن هناك شك ، في أن الجراحة باللغة الخطورة ، وقد دخل غرفة العمليات لإجراء جراحة أخرى .

وأجريت له عملية نقل الدم .

وكانت الجراحة في ذلك الوقت في ذروتها .

جلسنا وتحديثنا لبعض الوقت . وأخيراً أرسلت مذكرة إلى الأدميرال «ويكل» الذي يعاون في العملية ، هو والبريطانيون «أليوث سميث» ، وسألته أن يرسل لي أي كلمة . جاء الرد بأن العملية انتهت . وطلب مني أن أهبط إليهم .

نزلت فوجدت الأطباء الأربع معاً - الدكتور «مورو» الذي أجرى العملية بناه على طلب «أمين» نفسه - والأدميرال «ويكل» ، والبريطانيون «أليوث سميث» ، والدكتور «كاتر» الألماني الذي تصادف مجده من الإسكندرية .

وكان واضحًا أن الأمور سيدة تمامًا . ولحق بنا النحاس باشا . وفؤاد سراج الدين ، ودخلوا حجرة العمليات في أثناء إجراء العملية .

قال « ويكل » : إن « أمين » احتمل التخدير بشكل جيد ، وأن الجرح الذي أصاب الأحساء خطير للغاية ، ولكن مازالت - هناك فرصة .
سألت عما إذا كانت الفرصة جيدة ؟
وجاء الرد سليئاً .

وكان واضحًا من اتجاه الدكتور « مورو » أنه ليس هناك سوى أمل ضئيل .
تحذثنا عن ضرورة توفير تبرير جيد « لأمين عثمان » .
واقترحت أنه لا بد من أن يتحدث شخص ما إلى « كيتي أمين » ؛ وكرغبني استدعوها إلى
الحجرة التي كنا فيها جميعاً .

كانت شجاعة بشكل مذهل . فعندما كانت تتحدث إلى د . « كاتر » سمعتها تأسف لها عما إذا كان
هذا خطير شديد فأباجها بالإيجاب .

وبرغم هذا كان شيئاً لا ينكر تماماً من « كيتي » . أن تستثيرني . وتطلب مني أن أوصل
الجراحين البريطانيين في سيارتي ، لأنها متأكدة من أنه لن يكون بمقدورهما العثور على تاكسي في
هذه الساعة المتأخرة .

أعدتها إلى العشاء الذي أتيته منه ، وفي الطريق سألتها عما إذا كانت هناك فرصة كبيرة حقاً .
بدأت من « ويكل » أن ذلك ممكن . مع كثير من الحظ . أما « سميث » فكان أقل تشجيعاً .
وفي طريق العودة مررت بالمستشفى وأخيراً « جاكلين » - زوجة « كيلرن » - التي كانت في
حالة من القلق الشديد . وتحب « أمين » جداً . فقد تعاون معها كثيراً في مجال الترقية عن
القوات .

وعند عودتي للسفارة دخلت الفراش .
وبعد ساعة دق جرس التليفون ، لأعرف أن « أمين » قد مات وأن جثاته نقل فعلاً إلى منزله .
كانت مأساة حقيقة ومفجعة لا بالنسبة لمن عرفوا « أمين » فحسب . وإنما بالنسبة ليبلده ولنا .
وتباينت ردة حين أتصور المشاكل التي تنتظرنا في الأيام المقبلة . فيما يتعلق بالمعاهدة .. الخ
وليس لدينا « أمين » ليلعب دور القرملة ومحفف الصدمات بيننا وبين الوفد ..
كان « أمين » صديقاً مخلصاً لنا وكان وطنياً عظيمآً .

• • •

ويشارك السفير البريطاني في جنازة « أمين عثمان » ، ويعود إلى الحكومة البريطانية ببرقية
يصف فيها ما جرى في أثناء وداع الرجل ، الذي يقوم بالوساطة بين الوفد والسفارة .

وقال السفير :

«جنازة «أمين» في الثالثة والنصف كانت أمراً شائعاً تماماً.

الشوارع خاصة بالناس . وعلينا أن نصارع لنصل إلى طريقتنا بين الزحام .

سألت «جيزي» بذلك : لماذا لم يقم البوليس بترتيبات أفضل ؟ .

قال : إن ذلك مستحيل دون المخاطرة بمحدث صدام مع الدهماء . وكانوا حوالي ١٠٠,٠٠٠ شخص في الشوارع .

استغرق الأمر من ساعة تقريباً . لقطع الثلاثمائة ياردة من مكان بدء موكب الجنازة إلى بوابة السفارة .

وكلت اعتماد بطبيعة الحال . أن أسير الطريق كله حتى المسجد ، ولكن الجموع خرجت عن الطرع وفي حالة هياج .

خلصت نفسي بصعوبة أمام بوابة السفارة ودلفت داخلها . وكانت الجموع معادية للحكومة الحالية .

ولم يكن ذلك سوى مظاهرة سياسية ضخمة . وهو أمر مقزز تماماً .

... داشر بوابة السفارة ، وجدت «محمد حسين هيكل باشا» و«حسين سري باشا» اللذين خلسا بأنفسهما من الزحام أيضاً . وكانت غاضباً جداً من المظظر كله حتى أني انفجرت بشدة في «هيكل» ، التمس .

وكان يساعدني وبخوضني على ذلك . «حسين سري» الذي قال إنه ربما سيكون «هيكل» نفسه الضحية القادمة لرصاص الجرم .

وأكده «سري» أن هناك قوائم في وزارة الداخلية بأسماء كل هؤلاء الشباب المنخرط في هذا الإرهاب وتساءل :

ـ لماذا لا يتم وضعهم تحت التحفظ العاجل !

أضفت قائلاً :

ـ لماذا حقاً !

وتركنا «هيكل» في حالة إثارة ملحوظة ، بل أعتقد أنه كان فرعاً من هجومي المباشر» .

ويطلب السفير من المسؤولين البريطانيين في جهاز الأمن المصري تقريراً عما جرى في الجنازة ويعتبر بهذا التقرير إلى لندن :

قال التقرير :

١ - قام عديد من الطلبة من كلية الطب «جامعة فؤاد الأول» - القاهرة - ومن الأزهر بإضراب في العاشرة صباحاً وتوجهوا إلى منزل المرحوم «أمين عثمان». ومصطفى النحاس باشا وأخذوا يهتفون : «تحيا ذكرى «أمين عثمان» و «تحيا النحاس باشا» و «يسقط المجرمون». حاول البوليس منع المظاهرات من الوصول إلى المنزل. وبرغم أنه تمكّن من إعاقة بعض الطلبة . فإن كثيرين منهم استطاعوا اختراق «كوردون» البوليس.

٢ - وفي الوقت نفسه ، كان «فؤاد سراج الدين» منذ الصباح الباكر . بعد الترتيبات لظاهرة الوفد خلال الجنازة وقد دعا كلاً من :

(أ) لجان الوفد الفرعية .

(ب) لجان شباب الوفد .

(ج) لجان طلبة الوفد من الكليات والمدارس المختلفة .

وأمرهم بتكون مجموعات يرأسها قادة المئاف .

وطلب من هذه المجموعات أن تهتف بشعارات مختلفة وتتبع خط سير الجنازة من البداية حتى النهاية .

ثم وضع جثمان «أمين عثمان باشا» داخل سيارة لدفنه في (مقابر الإمام الشافعى).

ويستمر تقرير شرطة مصر المقدم للسفير البريطاني فيقول :

«جمعت اللجان المذكورة الوفدين من بها وطنطا والجيزة والقازقى وكفرالجرايدة موطن «فؤاد سراج الدين» ، والغربية والمنوفية للقيام بدورهم في المظاهرة وعيّنت قادة المئاف الآتية أسماؤهم : «حسن ياسين» ، وأحمد حسب الله . و محمد كمال . و سيد سالم . و محمد الشافعى البنا . وعلى سلامه» .

٣ - وفيما يلى الشعارات التي سمعت خلال سير الجنازة بالإنجليزية :

«تحيا النحاس باشا» . «يسقط الفراشى» . «تحيا ذكرى أمين عثمان باشا» . «إلى الجنة يا أمين عثمان باشا» . «إلى الجهنم يا فراشى» . «يسقط وليم» - يقصدون «مكرم عبيد» . «ملحوظة : بعض المظاهرين هتفوا بسقوط «مكرم» ، لكن الأغلبية تصاحبهم بالهتاف بسقوط «وليم» . «يسقط الفراشى» . «الأمة تعزيك يا نحاس باشا» . «قل لسعد على الظلم يا عثمان» . «فلتحيا الثورة» . «لابد أن نتفهم للثورة» . «الدم بالدم والعين بالعين» . «لا فراشى بعد اليوم» . «الأمة ترفض حكومة الفراشى» . «يسقط الفراشى المجرم» ... «أين السودان

يأنقراشى ؟ .. « أين الجلاء بانقراشى ؟ » .. « أين الكاء وأين العذاء بانقراشى ؟ .. » ..
تفعل بانقراشى ؟ :
« بريد الجلاء » .

ملحوظة : قليل من المظاهرين أرادوا ترديد هذا الشعار .
« لنجا ذكرى أمين باشا صديق العمال والموظفين ». « ليسقط عهد القنابل والمؤتمرات
« يعيش النحاس زعيم الأمة ». « يسقط العهد الفاسد » .

٤ - وفي الساعة الثالثة والنصف تحركت الجنازة من السرادق . وقد تبع النعش « إلا
كيلن » ، والنحاس وممثل الملك ، - محمود يونس رئيس التشرفات - وهو شاب تلقى في الخامسة
والعشرين من عمره . ولم يشاهد أى عضو من الحكومة في هذه المرحلة ، لكن « انقراشى » سر
في الثالثة وأربعين دقيقة ، عند المتأسف بكلمات : « يسقط وليم والنقراشى ». « وقول سعد
ظلم الحكومة يا عثمان » .

رأى العديد من الأشخاص أنه ليس من الواجب احتفال بمثل هذه الأشياء في حضور دئور
الوزراء ، فتوقف الجمهور عن شتم « انقراشى » فترة من الوقت .

وعند هذا الوقت مرت الجنازة بالسفارة البريطانية . فاستاذن « اللورد كيلن »
« النحاس ، والنقراشى » وممثل الملك وعاد إلى السفارة .

واستمرت الجنازة في طريقها ، وعادت الشتائم تدريجياً ضد « النقراشى » .
وبدا الأخير متضايقاً بريء الانصراف من الجنازة .

وفي ميدان الإسماعيلية استاذن (ممثل الملك) من « النحاس » فانصرف « النقراشى » مع
تضاعفت الشتائم ضد « النقراشى » بتوجيه من طلبة الأزهر الوفديين الذين طردوا أحاجراً
الجامعة ، وكانوا يحملون العصى خلال الجنازة .

٥ - الواقع أن جنازة « أمين عثمان » استغلت كمظاهرة وقدية .
وأغلبية الوفد لم تخزن على « أمين عثمان » لأنه فقد شعبته في الفترة الأخيرة بسبب تطلعه
السياسي .

والحقيقة أن الجنازة اتخذت طابعاً موالياً لبريطانيا ، خصوصاً وأن « فؤاد سراج الدين » أعمى
تعلیمات مسبقة لمعاصر الوفد ، بعدم المتأسف بأى كلمة معادية للبريطانيين .

٦ - بعد نقل النعش من المسجد إلى المقابر توجه حشد من المظاهرين - حوالي أربعة آلاف
إلى ميدان عابدين واستمروا في المتأسف :

نريد «التحاس باشا» زعيماً للأمة».

• • •

وتشاء المصادفة أن يكون «عبدالعزيز الشافعى» المهندس السابق بوزارة المواصلات فى منطقة الحادث ، فيبلغ رجال الشرطة أنه لاحظ وجود شخص يعرفه قرب دار «رابطة النهضة» قبل إطلاق النار ... وأنه شاهد هذا الشخص فى ذلك المكان عدة مرات من قبل . وأنه يعرفه وهو «حسين توفيق أحمد» .

ويكتشف بعد ذلك ، أن بين «عبدالعزيز الشافعى» ، وتوفيق أحمد» وكيل وزارة المواصلات - والد «حسين» - خلافات قديمة وضياعان لا أول لها ولا آخر .
ويقبح على «حسين توفيق» وشقيقه «سعيد» .

ويصف «اللورد كيلر» فجيعة بريطانيا بمصر «أمين عثمان» ..
إنه يذكر بالتفصيل - دور «أمين عثمان» بالكامل بالنسبة لبريطانيا وخدماته لها .
وف هذه البرقة أكد السفير أن «أمين عثمان» لم يكن رسول الوفد فحسب . إلى السفارة البريطانية ، بل كان وسيطاً ورسول معظم الأحزاب إلى هذه السفارة وذلك قبل عام ١٩٤٢ ثم تفرغ بعد ذلك ليكون وسيط الوفد وحده .

• • •

كان مصرع «أمين عثمان» فرصة انطلاق لأحقاد كثيرة ...
«اللورد كيلر» بعث إلى حكومته بعد ٤ أيام فقط من الحادث بتقرير هام عن نتائج اغتيال «أمين عثمان» قال التقرير يوم ١٢ يناير :
«.... خلق الاغتيال السياسي قلقاً عاماً ...
.... الوفد امتد من جنازة «أمين عثمان» متناسب للقيام بظاهرة سياسية تحملها صبحات باللغة العداء «للفرanchise ومكرم» .

وأعتقد - عموماً - أن «أمين عثمان» اغتيل أساساً بسبب موقفه الموالى لبريطانيا ، وجزئياً بسبب ارتباطه البارز «بالتحاس» وبالوفد .

والحملات الصحفية العنيفة ضد «التحاس» والوفد في الصحف الموالية للرأى «ولكرم» تعد - أيضاً - مسئولة عن خلق جو ، حرض على الاغتيال .

باختصار .. القصر وجدها فرصة ليحمل على «التحاس» ، وأمين عثمان» ، وبالتالي على بريطانيا .

والأحزاب - التي تتألف منها الحكومة - اخافت نفس الخط السياسي .. أى الحملة على بريطانيا والوفد .

وقد اتفقت مصالح الحكومة والقصر حول هدف واحد .
روجدها الوفد فرصة ليحمل على الحكومة والقصر » .

* * *

وتتابع السفارة التحقيقات الجنائية ، والسفير يقول لحكومته بعد القبض على « حسين توفيق » ...

« اعتقد البوليس شيئاً اتهم بالقتل ، وبعد أن أنكر النهاية في البداية اعترف أخيراً ، لا بأنه قاتل « أمين عثمان » ، فحسب بل بالاشارة أيضاً في إلقاء القنابل على « التحاس باشا » ، وفي حوادث قتل ، وشروع في قتل جنود بريطانيين في المعادى ومصر الجديدة والجزيره خلال العامين الماضيين .

وقد أجريت بعض الاعتقالات ، ويعاهد رجال الشرطة في تصفيه عصابة القتلة التي يفترض وجودها » .

وقالت برقية السفير :

« .. جرت اعتقالات جديدة فيما يتعلق بوفاة « أمين عثمان باشا » وأهمها اعتقال « عزيز المصري باشا » الذي اكتشف في منزله - تبعاً لما ذكرته الصحف - عدد من الوثائق المثيرة للاهتمام ، أدت إلى مزيد من الاعتقالات » .

ووسائل الحق « الفريق عزيز المصري » الرئيس السابق لجنة أركان حرب الجيش المصري .. الذي حقق معه في هذه القضية .

- هل لك رأي خاص في السياسة الداخلية لمصر .

أجاب الفريق :

- رأيي الخاص يقتضي باستقلال مصر .. إذ لا يمكنها أن تكون عضواً حرّاً في الشرق الأوسط وهي في حالة تشبه الفاصل .

* * *

وتستمر التحقيقات في قضية « أمين عثمان » ..
ويتوالى القبض على ٢٤ متهمآ آخرين .

ويعقل «أنور السادات» بعد ٦ أيام من الحادث .. كما يعقل أيضاً الضابط السابق «حسن عزت» .

وفي اليوم التالي مباشرة ، يبعث السفير البريطاني بأول إشارة لبريطانيا عن اعتقال «أنور السادات» .

فقالت برقية السفير يوم ١٦ يناير :

«أوردت التقارير أن ضابطين مصريين - كانوا قد فصلاً من الجيش والطيران المصري بسبب اتصالهما بالألمان عام ١٩٤٣ - ألقى القبض عليهما أيضاً» .

ويفسر «أنور السادات» في مذكراته السر في إنبار «حسين توفيق» واعترافه السريع .

قال «أنور السادات» :

«قام بهذا الحادث تشكيل فدائي خارج الجيش . وكان محققاً لا يوح القائل . إذا قبض عليه ، بأي شكل ، أو بأي اسم ، من أسماء إخوانه . وكان «حسين توفيق» هو الذي تقدم في اللحظة الأخيرة ، وأصر على أن يوكل إليه أمر التنفيذ .

وعندما قبض عليه .. ظل مصرًا على عدم الاعتراف ، حتى استطاع «كامل القاويش» أن يلعب بأعصابه بقصة مختلفة ، إن دلت على شيء ، فعل ذكاء «القاويش» . وإدراكه الصحيح لنفسيات من يقوم بالتحقيق معهم .

فقد أدركه «القاويش» أن «حسين توفيق» قام بهذا العمل كعمل من أعمال البطولة يذكره التاريخ ، فراراً أن يطعن في خطمه العزيز ، طعنة دائمة ، تجعله ينسى عهده للجماعة ، ويروح بكل شيء .

ذهب «القاويش» إلى إحدى الصحف الكبيرة ، وأملأ عليها خبرًا عزيزًا أن التحقيق أُسرر عن وقوع الحادث لأسباب ناسبة . وجعل في الخبر تلميحًا إلى قيام صلة بين «أمين عثمان» ، وبين سيدة عزيزة جدًا على القاتل «حسين توفيق» .

وفي الصباح دعا «القاويش» القاتل إلى مكتبه وأطلعه على هذا الخبر . وجن جنون «حسين توفيق» . لقد قتل «أمين عثمان» ، وف يقيه ، أنه يعمل عملاً من أعمال البطولة الوطنية ، فكيف يمكن أن تذهب كل هذه البطولة هباءً . وأن تلوث أيضًا سمعة أسرته وسعة أعز النساء عليه .

والفجر يعرف .. يمترن بالجماعة التي دبرت هذا الحادث . وأسماء أعضائها ، وأهدافهم

ومكان اجتياهاتهم وتفاصيل ما يملكون من أسلحة ، اعترف بكل شيء .
وكنت بين من شملتهم اعترافات « حسين توفيق » فألقى القبض على وشاركته السجن واحداً
وثلاثين شهراً حتى برأني القضاء .
ولكن « كامل القاويش » نفي أنه جلأ إلى أي حيلة ، أو ضغط لإرغام « حسين توفيق » على
الاعتراف .

* * *

لم تفقد السفارة البريطانية اهتمامها بقضية « أمين عثمان » أبداً .
خللت السفارة ترقى إلى لندن ، بتفاصيلات ما يجري داخل قاعة المحكمة ، خلال الـ 83 جلسة
التي استغرقها نظر القضية ، حتى صدر الحكم بعد ٣٠ شهراً من اختيال « أمين عثمان » .
وأصبحت المحكمة ، قضية سياسية من الدرجة الأولى ..
وقالت السفارة البريطانية إنه لا يمثل هذه القضية منذ محاكمات « نورمرج » التي جرت في
المانيا بواسطة قضاة من دول الحلفاء ، حاكمو النازيين عن جرائم الحرب .

* * *

تغير سفراء بريطانيا في مصر . ولكن اهتمامهم بهذه القضية لم يتغير .. أو يتضاءل قط .
أشار السفير البريطاني « السير رونالد كامبل » في برقته إلى لندن بتاريخ ١٥ فبراير عام ١٩٤٧
إلى أنه كان متوقعاً منذ زمن طويل ألا يعدم « حسين توفيق » بسبب حماية القصر الملكي له .
وشهد في هذه القضية كل رؤساء الوزارات السابقين ..
وارتفع صوت من داخل قفص الاتهام في الجيش المصري أصبح بعد ذلك رئيساً لجمهورية
مصر وهو « أنور السادات » .
وأجلت القضية عدة مرات ، حتى نظرت في يوم ٤ فبراير عام ١٩٤٨ ، فانتهز الجميع
الفرصة ، المحكمة والمحامون والمتهمون لإدانة حادث ٤ فبراير ، الذي شهد حصار قصر عابدين
بواسطة القوات البريطانية ، وإذار « كيلون » الشهير .. « لفاروق » .
ونظرت القضية بعد قيام حرب فلسطين ، ولكن السفير البريطاني اهتم بالحرب واهتم أيضاً
بقضية « أمين عثمان » يكتب عنها تقاريره .
وأدانت المرافعات بالخيانة ، كل من تعاون مع بريطانيا ، وقالت السفارة إن الجميع أتوا بقى
سوداء ضئلة ، على ذكرى « أمين عثمان » ..
وأصبحت القضية ، بداية لانشار الاغتيالات السياسية ..

وف تقارير السفارة البريطانية « إن الإرهاب أصبح عاملًا بارزًا في الحياة السياسية المصرية . وإن قوى الفوضى ، تستعد لجولة حاسمة ، ضد بريطانيا ، إذا لم تستجب لطالب مصر » . وقالت هذه التقارير إن الوفد - طبقاً لسياساته وهو في المعارضة - « أخذ يذكي روح العنف بدعایته ضد بريطانيا ، وحكومة مصر » .

وقالت السفارة ، إن تجارة السلاح نشطت في مصر « ومعظم الأسلحة جاءت من الصحراء الغربية من مخلفات الحرب العالمية .

ولم تستطع سلطات الأمن وقف عمليات التهريب ، خاصة وأن الأسلحة المهرية حديثة ، في حين أن أسلحة قوات الأمن المصرية قديمة ، لا تستطيع أن تفرض احترام القانون على الفلاحين . وامتلاك السلاح على نطاق واسع ، يعتبر عاملًا خطيراً في العلاقات المصرية - البريطانية . خاصة إذا قامت اضطرابات شاملة ضد بريطانيا . وهذا يجعل الموقف أخطر مما كان عليه في ثورة عام ١٩١٩ ، عندما كان الثوار غير مسلحين .

وساعد على ذلك كلٌ ، إلغاء الأحكام العرفية .

• • •

اعتبرت السفارة على تأجيل القضية ، وعلى السماح للمتهمين بأداء الامتحانات قبل الفصل في الدعوى .. ، وحتى على احتسابهم (الكوكاكولا) في أثناء الاستراحة داخل المحكمة . وبعث السفير البريطاني « السير رونالد كامبل » يوم أول يوليو ١٩٤٦ برسالة - لم تنشر - في هذا المعنى إلى رئيس وزراء مصر .. « إسماعيل صدق » .. الذي تولى الحكم بعد « القراشي » . رد « صدق باشا » يوم ١٩ يوليو برسالة لم تنشر أيضًا ..

قال :

« حضرة صاحب السعادة السفير البريطاني .

لم يسبب خطاب سعادتكم ، المؤرخ أول يوليو ، أي نوع من المفاجأة . فسعادتكم تعيون على الطريقة التي تسير بها الإجراءات القضائية ، ضد الأشخاص المتهمين في قضية مقتل « أمين عثمان باشا » ، وفي جرائم أخرى .

وتعتقدون أن الأسلوب المستخدم حتى الآن ، يعطي انطباعاً بأن الجرائم المسوبة للمتهمين ، ينضر إليها في أوساط معينة ، على أنها ليست سوى عمل بطولي ، قام به شيان أو طلبة متهمون . أو أنه دليل على الوطنية المحمودة .

واسمحوا لي يا صاحب السعادة أن أقول ، إن مثل هذا الانطباع ، إن أمكن وجوده حقيقة .

فلن يكون له سند إطلاقاً . وربما تكشف الصورة الفوتوغرافية ، التي ظهر فيها المتهمون ، وهم يتناولون المرطبات ، عن شيء من هذا الانطباع .

كان المتهمون في ذلك اليوم ، مائتين أمام قاضي الإحالة . وكان تناولهم للمرطبات في أثناء توقيف الجلسة ، ويسألكانهم أن يفعلوا ذلك .

ولكن مثل هذا الأمر ، لا يمكن أن يحدث بالطبع في أثناء اعتقادهم في السجن . ومن ناحية أخرى ، طلب المتهمون السماح لهم بالخروج من السجن . لأداء امتحاناتهم . وقد رفض هذا الطلب بشكل قاطع .

وبالنسبة لإطلاق قاضي الإحالة . سراح متهمين معينين بصفة مؤقتة . فأحب أن أوجه النظر هنا ، إلى أن هذا الإجراء لا يعني إطلاقاً أن الأدلة القاتمة ضدهم غير كافية .

إن ذلك يرجع إلى اعتبارات خاصة متروكة لتقدير المحكمة ، كما هو الحال في كل الإجراءات التي ، بناءً عليها ، اتخذ القاضي هذا القرار .

وأود عن اقتناع ، أن ينجح ما سبق أن ذكرته ، في أن يجعل سعادتكم تفتتون بأنه لا مجال للمخاوف إزاء هذا الموضوع .

وأتبرر هذه المناسبة لأؤكد لسعادتكم فائق احترامي » .

ولم يعجب هذا الرد المسؤولين في السفارة البريطانية ..

عرضوا على السفير تقديم احتجاج شفهي أو مكتوب إلى « صدق باشا » .

ولكن السفير رفض ، ففي ذلك الوقت كانت تجري مفاوضات بين مصر وبريطانيا وخشى السفير أن يعرف الاحتجاج ويستغله الوفد فيسوء مناخ المفاوضات .

وكتب السفارة إلى لندن يوم ٨ أكتوبر يقول :

« اتضح أن « صدق باشا » لم يستطع أن يقدر وجهة نظرنا .

لقد رأينا أن نظهر له استياعنا ، من استمرار عجز السلطات المصرية عن تقديم مديرى سلسلة الاعتداءات ، على الجنود البريطانيين ، إلى ساحة العدالة .

وغيرهن في النهاية اقتراح تقديم احتجاج آخر شفهي أو مكتوب . ولكن السفير رأى إزاء التطورات المتلاحقة في الموقف السياسي ، أن يأخذ « صدق باشا » فرصة أخرى لإظهار ما إذا كان يزعم معاملة مثل هذه الأمور مستقبلاً بخزم أم لا » .

وفي ١٠ أبريل عام ١٩٤٨ ، تراجع « أنور حبيب » وكيل النيابة في القضية فهاجم السياسة البريطانية ، وأشار إلى حدوث ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ، وشبه بريطانيا بالشعب الذي يفرق .. ليسود .

وكان مقرراً أن يجتمع السفير البريطاني في الصباح التالي مع «أحمد خبطة» وزير خارجية مصر لأمور أخرى .
ولكن السفير أهتم - أولاً - بقضية أمين عثمان كما تقول برقته رقم ١٩٥ المؤرخة في ١٥ أبريل عام ١٩٤٨ .

قال السير «رونالد كاميل» : .. في هذه البرقة :
«انتهزت الفرصة لأنبلغ سعادته بمشاعر الاش盟از ، التي انتابني ، لدى سماع بيان وكيل النائب العام ، في محاكمة المتهمين في جرائم السياسة .
وقدرت له بعض العبارات التي استخدمها «أنور حبيب» .
وأبلغته بإشارة هذا الأخير يوم ٤ فبراير .
قلت إن الملاحظات بوجه عام . ترقى إلى مستوى دعوة المحكمة لبرقة ساحة المتهمين ، وهو ما يندو لي إجراء غريباً من جانب الادعاء .
وهناك ملاحظات بعينها ، كانت بمثابة تحريض مباشر على قتل البريطانيين .
وهو يعرف من أحداث الماضي ومن اختيار «الخازنadar بك» مؤخراً . إلى أين تؤدي مثل هذه الأشياء ، وفضلاً عن ذلك كانت أهم بهذه المحاكمة بوجه خاص . كمثال بريطاني لأن أولئك المتهمين باختيار «أمين عثمان باشا» ، كانوا من تحبيط بهم الشكوك . أيضاً . بشأن العديد من المجاالت الإجرامية بالأسلحة النارية ، والقنابل اليدوية . على الرعايا البريطانيين هنا وفي الإسكندرية ،

ولم يد على «خشبة باشا» أنه يدرك ذلك .

فاطعني مصححاً بقوله :

- ليست المجاالت على الرعايا البريطانيين ، بل على أشخاص مثل . من يرغبون في القاء كأصدقاء لبريطانيا العظمى ، ومن سيظلون كذلك على الأرجح .
قلت إن المحاكمات المحدّرت ، تفضي بصورة تصادم الرأي العام البريطاني .
أعرب «خشبة باشا» عن أسفه الشديد ، وعن عدم موافقته على بيان «أنور حبيب» .
وأعرب عن عدم موافقته بوجه عام ، على الانعطافة السياسية التي أخذتها المحاكمة ، في مرحلة مبكرة منها ، عندما تم استدعاء «النحاس باشا» وغيره كشهود .
وقال إن هذه طريقة سيئة لإدارة شئون العدالة .
ووافق على أن خطاب «أنور حبيب» يستحق التوجيه بوجه خاص . لأنه صادر عن مثل

الحكومة . ووعد بأن يتولى هذا الأمر .

.. في الصباح التالي . حضر « محمد منصور » النائب العام . جلسة المحاكمة لأول مرة .
وقف النائب العمومي ليعرض على بيان « أنور حبيب » . وأعلن أن ما قاله وكيل النيابة
يتعارض مع طلب النيابة بإعدام المتهمين .
وأعلن النائب العام . سحب ما قاله أنور حبيب - عن ٤ فبراير - من محضر الجلسة .
.. هتف أحد المتهمين في القفص - « اليوزباشى أنور السادات » - وقال :
- أفضل أن أشتغل ألف مرة . على أن أرى النائب العام يتراجع . وبيقف هذا الموقف غير
الشرف .
وهاج المتهمون ومحاموهم .. وطالب « مكرم عبيد » بحذف ما قاله النائب العام ، من
محضر الجلسة .
وأدى ذلك إلى رفع الجلسة للاستراحة . غلا أعيدت أعلن رئيس المحكمة أنها لم تتأثر بما قيل .
ولم تعرف مصر قط . أن النائب العام . كان مكرهاً على الخضور . بقرار من الحكومة
المصرية . رغبة في نجاح المفاوضات .
والتق السير « رونالد كامبل » مع « خشبة باشا » مرة أخرى يوم ١٥ أبريل فقال له :
- كنت سعيداً لما فرأته عن ملاحظات النائب العام في المحكمة .

* * *

أصدرت محكمة الجنابات يوم ٢٤ يوليو عام ١٩٤٨ أحكاماً في هذه القضية .
كانت المحكمة برئاسة « عبد اللطيف محمد بك » . وعضوية « إبراهيم خليل بك » . وصادق
حمدى بك » .
قضت المحكمة على المتهم الرئيسي . « حسين توفيق » بعشرين سنة سجن مع الأشغال الشاقة .
وحكمت المحكمة . بخمس سنوات على « محمود يحيى » طالب الهندسة - ٢١ سنة - والذي
وجهت إليه تسع تهم بما في ذلك الاشتراك في مقتل « أمين عثمان باشا » . ومحاولة الاعتداء على
حياة « التحاس باشا » .
وحكم على « محمود أحمد الجوهري » الطالب بالثانوى المتهم بالاشتراك في مقتل « أمين
عثمان » . ومحاولة الاعتداء على حياة « التحاس » . وبخمس تهم أخرى . بالسجن خمس
سنوات . مثله في ذلك الوقت . مثل متهمين آخرين .

وأما الخمسة الآخرون ، و منهم « سعيد توفيق أحمد » ، شقيق المتهم الرئيسي ، فقد حكم عليهم بالسجن ثلاث سنوات ، وحكم على متهم واحد بالسجن سنة واحدة ، وعلى آخر بالسجن شهراً واحداً في حين حصل أحد عشر متهمًا على البراءة .. كان من بينهم « أنور السادات » . وحكمت المحكمة بدفع تعويض ، خمسة آلاف جنيه ، لأرمدة « أمين عثمان » ، وخمسة آلاف أخرى لكربيته ، على أن يدفع المتهمون وعلى رأسهم « حسين توفيق » هذه المبالغ متضامنين .

وقضت المحكمة بأن يدفع « أحمد وسم خالد » ، ومصطفى كمال حبيشة « تعويضاً قدره ٥٠٠ جنيه إلى « مدروج الشلقاني » ، بعد أن حاولا الاعتداء على حياته ، في طريق المفرم . بعد صدور الحكم كتب « جيفرسون بازرسون » القائم بالأعمال الأمريكي إلى حكومته يقول إن الجميع يعرفون أين يوجد « حسين توفيق » ولكن لا أحد يريد مواجهة الملك .

* * *

واحتجت السفارة البريطانية على الأحكام التي صدرت في القضية .. قصد وزير خارجية مصر « أحمد خشبة باشا » إلى السفير البريطاني يزوره مودعاً ، بمناسبة سفر الوزير إلى الخارج ..

أبدى السفير « السير رونالد كامبل » أسفه من الأحكام وقال :
ـ كيف تكون الأحكام لينة ومحفنة ، ولماذا يبقى السلاح في يد هؤلاء ، وسط شعب تعس .
ماذا أقول لوزير خارجي عن حالة الأمن هنا .

رد الوزير قائلاً :

ـ أبعث إليه بر رسالة مطمئنة ، لقد اتخذنا كل الإجراءات لحفظ الأمن ، ومنع تكرار الحوادث .

* * *

أخذت السفارة ووزارة الخارجية البريطانية ، ببحثان فيما إذا كان من حق بريطانيا ، أن تطلب التعويض من مصر ، التي لم تستطع القيام بواجبها الدولي ، ومعاقبة المسؤولين عن الجرائم التي ارتكبت ضد الرعايا البريطانيين ، ذلك لأنه كان بين الاتهامات ، التي وجهت للمتهمين ، في قضية « أمين عثمان » ، الاشتراك في جرائم ضد الجنود البريطانيين .

ولكن عدل عن هذا الرأي .. ، وقالت التقارير السرية للسفير البريطاني :
ـ إن بريطانيا لا تستطيع أن تفعل شيئاً ، ولا يمكنها أن تتدخل حتى لو أرادت ذلك

إلا بالاحتجاجات السياسية .. ولا يوجد ما يدعو لها » .

وبعد صدور الأحكام حاولت السفارة البريطانية ، السعي إلى أن تقدم النيابة طعنًا بالنقض في الحكم ، خلال فترة الد ١٨ يومًا التي حددتها القانون للطعن .

ويظهر ذلك من هذه البرقية التي بعثت بها السفارة إلى لندن يوم ١٠ أغسطس عام ١٩٤٨ .
« خلال حديث جرى مع « محمود بك منصور » النائب العام انتهز - مالك دوجال - المستشار القانوني للسفارة - الفرصة وسأله عن النتائج المحتملة ، لأى طعن يقدم ضد الأحكام التي صدرت ، على متهمين معينين ، في قضية أمين عثمان باشا » .

أوضح « محمود بك منصور » أن الأساس الوحيد للطعن حتى الآن ، هو ما يقال عن المخالفات الإجرائية ، في الحكم الذي أصدرته المحكمة . لأن وكيل النيابة خرج عن مقتضيات منصبه ، بتقديم الأدلة في مرحلة مبكرة من الإجراءات .
وأدى هذا إلى تعيين وكيل جديد للنيابة ، في منتصف المحاكمة . وبهذا يكون المحامي « أنور حبيب » قد أخل بالادعاء .

وقد تصادف أن هذا هو نفس الرجل الذي انفجر ضد البريطانيين في ١٠ أبريل وهو الأمر الذي تتصل منه في اليوم التالي « محمود بك منصور » نفسه .
ورداً على سؤال « مالك دوجال » ، أعلن النائب العام أن محكمة النقض لا يمكن أن تشدد الأحكام ، وبهذا لا يشكل النقض ، بالنسبة لنا ، إلا اهتماماً ضئيلاً جدًا .
وكمل ما يمكن أن يؤدى إليه النقض ، هو إجراء محاكمة جديدة ، لواحد أو أكثر من المتهمين .

ويقول « محمود بك منصور » : « إن الأمل في هذا بعيد جدًا ». ولقد تباً « كيلرن » - منه البداية بالخسارة الضخمة التي لحقت ببريطانيا والوفد نتيجة اغتيال « أمين عثمان » .

بعد إقالة « النحاس » من الحكم في أكتوبر ١٩٤٤ قال « كيلرن » :
« عاد « أمين عثمان » ليلاعب دور المحقق من خلراء الوفد ، وهو في المعارضة ». وقال كيلرن :

« بوفاة « أمين عثمان » ، يختفي الرجل الوحيد الذي كان يوسعه دائمًا التأثير على « النحاس » في اتجاه الاعتدال نحو بريطانيا العظمى » .

وبالفعل ...

بوفاة «أمين عثمان» .. فقد الوفد رسوله إلى السفارة .. وقد الإنجليز رجلاً مهمته دفع «النحاس» إلى الاعتدال ..

ونكون النتيجة أن يبق الوفد ٤ سنوات كاملة بعيداً عن الحكم .. لأن بريطانيا تحلى عنه ..
والمملوك «فاروق» لم يكن - في يوم من الأيام - راغباً في عودة الوفد ..

وعلى أية حال ، فإن اغتيال «أمين عثمان» في بداية عام ١٩٤٦ .. كان الزلزال الذي فجر الإعصار السياسي في مصر .. لقد أطلق مظاهرات الطلبة .. وهز الثقة بقدرة «القراشي» على حفظ الأمن ... وبالتالي أطاح بفكرة المفاوضات بين «القراشي» .. وبينن » ..



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

المد الشيعي .. يزحف

بدأ الرئيس المصري ، حملة مسخمة ، لتفتيش بيوت الشيوعيين المصريين ، بحثاً عن فتائل ومتسلقات وشركاء ، في قضية اغتيال «أمين عثمان».

ولم يكن للشيوعيين دور في هذه القضية ، بل إن بعض الشيوعيين انضموا إلى الوفد ، في تلك الفترة ، ضد «التراثي» ، ضد بريطانيا.

وكان السبب في اتجاه الرئيس نحو الشيوعيين ، هو انتشار الحركة الشيعية في تلك الفترة ، فقد أصبحت منطقة (شبرا الخيمة) الصناعية ، باضراب شل الإنتاج في كل المصانع . وتعطل ٧٠٠٠ عامل . وعجزت الحكومة عن الوصول إلى اتفاق مع المفسرين للعودة إلى العمل . واعتقلت الحكومة زعماء العمال ، واتهمتهم بالنشاط الشيعي والتخريبي .

وقبض - قبل أسبوعين من اغتيال «أمين عثمان» - على ١٧ شيعياً منهم صحي و٨ من ضباط الاحتياط .

وانتهت مجلة «الضمير» الشيعية بتحريض العمال على الإضراب .

وكانت «الضمير» تترجم مقالات صحيفة «الدليل وركر» الناطقة باسم الحزب الشيوعي البريطاني ، وكذلك الصحف الشيعية الفرنسية .

ويعرف مؤرخ النشاط الشيعي في مصر الدكتور «رفعت السعيد» في كتابه (الصحافة اليسارية في عام ١٩٢٥ - ١٩٤٨) ، و(تاريخ المنظمات اليسارية في مصر ١٩٤٠ - ١٩٥٠) . بأن مجلة «الضمير» ، كانت تعبّر عن جبهة العمال للتحرير القومي . أختبة الرئيسية للطبقة العاملة».

ويقول: «إن هذه المجلة منبر تأسيس بإشراف مباشر، من حلقة ماركية، تستهدف استقطاب أعداد من التقنيين والعمال المصريين - لتأسيس تنظيم شيوعي». ولم تكن الصميم - التي صدرت في ٢٦ سبتمبر ١٩٤٥ - هي المجلة الشيوعية الوحيدة في مصر في تلك الفترة.

سبقتها إلى الصدور مجلة «الفجر الجديد» في ١٦ مايو عام ١٩٤٥، وقد فتحت هذه المجلة صفحتها أمام كتاب من مختلف المجموعات الماركية. وهي دفاع عارم عن الماركسية. وتندعو لتعزيز العلاقات مع الأحزاب الشيوعية العربية وتقدم أفكاراً ماركية عن الاقتصاد السياسي وجريدة «أم درمان» - التي صدرت في ١٥ مارس ١٩٤٥، للدعوة الشيوعية بين السودانيين في مصر والسودان.

ولكن تقارير السفارة البريطانية تقول إن عدد المجلات الشيوعية التي كانت تصدر في ذلك الوقت سبعة هي:

- ١ - الرابع: مجلة أسبوعية غامضة، تحولت، إلى مجلة موالية للشيوعيين.
- ٢ - الصميم: المجلة ذات الميل الشيوعية، التي ألقى القبض على صاحبها ومحررها في إضراب عمال النسيج بشبرا الخيمة.
- ٣ - الجبهة: وقد ظهرت في البداية على صورة ملازم. ويقال إن «فتحي الرمل» هو الذي يحررها.
- ٤ - البعث: جريدة موالية للشيوعيين، كان يحررها «الدكتور محمد مندور» تحرر صحيفة «الوقف المصري».
- ٥ - الطليعة: يقال إنها مجلة أسبوعية موالية للشيوعية، ومناهضة للإمبريالية يحررها خريجو الجامعات، وإنها جريدة (جامعة البحث العلمي).
- ٦ - الفجر الجديد: مجلة أسبوعية تتضمن مادة شيوعية موجهة إلى الدوائر العالية والشباب.
- ٧ - أم درمان: مجلة أسبوعية مناهضة للإمبريالية يحررها مجموعة من الشباب السودانيين والمصريين.

وإذا كانت هذه المجلات، علنية فإن التنظيمات الشيوعية السرية في تلك الفترة كانت كثيرة، كما يعرف مؤرخ الحركة الشيوعية المصرية. كان هناك ثيارات شيوعيان سريان.. كما يقول:
الأول: الاتحاد الديمقراطي.

والثاني : مجموعة الفجر الجديد ، التي تصدر المجلة التي تحمل نفس الاسم . وقد انقسم التيار الأول إلى جماعات ، هي الحركة المصرية للتحرر الوطني ، وأيسكرا - أي الشرارة بالروسية - وتحرير الشعب .

أما المجموعة الثانية فقد ترك نشاطها في عدة اتجاهات وجماعات منها « جماعة الشباب الثقافة الشعبية » ، وجماعة نشر الثقافة الحديثة ، ولجنة العمال للتحرير القومي ، بالإضافة إلى العمل التشويط في صفوف الرؤساء .

وهذه المجموعة ، هي التي كانت تصدر (الفجر الجديد) ، (والضمير) .

وبرغم هذين التيارين ، كانت هناك تنظيمات شيوعية كثيرة ، منها :

« الفن والحرية »
 و « نحن أنفسنا »
 و « الحب والحرية »
 و « الجبهة الاشتراكية »
 و « اتحاد أنصار السلام »
 و « جماعة البحث »
 و « المركز الثقافي الاجتماعي »
 و « ثقافة وفراغ »
 و « لجنة نشر الثقافة الحديثة »
 و « دار الأبحاث العلمية »

• • •

وفي كتابه « قصتي مع الشيوعية » يقول : « اللواء حسن المصيلحي » رئيس قسم مكافحة الشيوعية (كانت هناك عدة تنظيمات شيوعية وهي : « منظمة تحرير الشعب » . « عصبة الشيوعيين » . « وجية التحرير التقدمية » . « وجية الأحرار الديمقراطية » . « وطيبة العمال » . « والمنظمة الشيوعية المصرية » . « ونواة الحزب الشيوعي المصري » . « والترجم الأحمر » . « وأيسكرا » . « والحركة المصرية للتحرر الوطني » .

ولم يعرف على وجه التحديد عدد المتبين إلى هذه الجماعات . ولكن ذلك يلقى الضوء على أنه كانت هناك حركة شيوعية نشطة في مصر . بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

وكانت السفارة البريطانية ، ترى أن الحركة الشيوعية المصرية ، توجه وتندع من المنظمات الشيوعية في بيروت ، حتى لا يلتزم الروس بشيء أمام المصريين . ولقد رأينا في محضر اجتماع مجلس الوزراء البريطاني يوم أول يناير ١٩٤٦ ، كيف التزم السوفيت بتأييدبقاء الاحتلال البريطاني لمصر ! وبرغم هذا الاتفاق البريطاني الروسي ، فإن السفارتين البريطانية والأمريكية تابعتا باهتمام بدء ونحو الحركة الشيوعية في مصر .

وقد تركت عملية المتابعة في موقفين :

- الأول : بعد قيام ثورة عام ١٩١٩ ، فقد حاول الإنجليز والأمريكيون ، أن يجدوا رابطة بين الثورة المصرية ، وبين ثورة البلاشفة التي قامت قبل ذلك بعامين .
- الثاني : عام ١٩٤٣ بعد قيام التحيل الدبلوماسي بين القاهرة وموسكو .

• • •

وق الوثائق البريطانية السرية في مايو عام ١٩١٩ ، نجد التقرير التالي من المخابرات البريطانية عن (الوضع في مصر) قال التقرير :

« تسلل عمالء البلشفيك (الشيوعيين) إلى مصر . وهم يتكلمون الروسية والفرنسية والإيطالية . وهم يفعلون ما في وسعهم لإحداث الفوضى . وقد ينجحون ، إذا قصروا أنفسهم على الأهداف الوطنية المصرية . ومن الصعب القول أنهم ، إذا تعادوا سينجحون في بلشفة الشعب المصري .

إن المصريين يتبعون المذهب الحنفي ، بين مذاهب الإسلام الأربعة وهو يمثل تعارضًا صارخًا مع البلشفية (الشيوعية) .

وقد أصدر مفتى الحنفية - أخيراً - فتواه ضد البلشفية » . وعادت دار المعتقد البريطاني ، تكتب من الإسكندرية في ٨ سبتمبر ١٩١٩ ، تقريراً عن الوضع السياسي العام في المدينة .

« هناك دلائل لا حصر لها ، بأن الاشتراكيين والمنطرفين يبذلون جهوداً في مصر ، لنشر مذاهب البلشفية (الشيوعية) . بين طبقات المجتمع .

وكانت فتوى شيخ الإسلام ضد الشيوعية ، التي أصدرها مؤخراً ، موضع هجوم مرير في تلك الأوساط .

وبذل محاولات تصوير شيخ الإسلام ، وكأنه يعمل بوحى من البريطانيين .

وهذا الاتجاه نحو البلشفية بين المصريين ، تم بتحريض من السكان الإيطاليين ذوى الآراء البلشفية والاشراكية المتطرفة .

وهناك ما ينسى بوجود دعاية منظمة في الصحافة وغيرها ، لإيجاد رابطة وثيقة بين أهداف المتطرفين المصريين والاشراكين الإيطاليين .

وظهر مقال طويل يوم ٢٩ أغسطس في جريدة « وادى النيل » باللغة العربية يؤكد الصداقة الفريدة والصداقة بين شعبي البلدين .. مصر وإيطاليا ..

وفي ١١ سبتمبر سنة ١٩١٩ بعث شيتام - القائم بالأعمال - تقريراً آخر إلى « اللورد كيرزون » وزير الخارجية - حول الوضع السياسي العام يقول فيه :

« اشتركت كل الصحف الخالية في مناقشة عامة ، حول البلشفية ، والشكوك فيه أن البلشفية ستتدخل مصر ، لأن غالبية المصريين حائزون لملكيات بشكل أو بآخر .

ويذلل المتأمرون البلشفيك جهوداً كبيرة لإقناع المجاهير المسلمة ، بأن البلشفية لا تتعارض أبداً مع مبادئ الدين الإسلامي ..

أما الآن فقد به على رؤساء تحرير الصحف اليومية ، بضرورة إيقاف مناقشة البلشفية أو الترويج لها في مقالاتهم » .

ويستجدد المندوب السامي البريطاني بلندن . ويكتب وزير الخارجية البريطانية إلى المخابرات البريطانية في أكتوبر ١٩١٩ يقول :

« طلب المندوب السامي البريطاني في مصر ، إرسال خبير في الشئون البلشفية إلى مصر . وإن أتفق معه في الرأي ، بأن يعمل الصابط الذى يختار لهذا العمل في وظيفة مدنية .

ومن سوء الحظ أنه ليس يسعه أن يضع يده على شخص مناسب لهذا المهمة في الوقت الحالى ، إذ يتquin علينا ، أن نعثر على شخص لهذا العمل ، بأسرع وقت ممكن ، فهل تجتمعون بخشكم عن شخص مناسب ؟ .

وأعتقد أن الحكومة المصرية ، لن تثير مشكلة في هذا الصدد » .

• • •

وكانت « لسعد زغلول » مواقف واضحة في هذا الشأن ...

قال في رسالة من باريس إلى « عبد الرحمن فهمي » رئيس لجنة الوفد في مصر :

« إن الوفد غير راض عن المنشورات التي تتضمن الانتصار للبلشفيك ، فإن هذه المنشورات يستفيد منها أعداؤنا » .

وقال « سعد » ردًا على ما نشر - يوماً - في صحيفة الإيجشيان جازيت « المصرية : « إنني لا أجهد نفسي في أمر الكومونة أو البلشفية ، وليس عندى أية فكرة من هذه الوجهة ». .

٤ ٤ ٤

ويكتب « أرنست إيفز » قنصل الولايات المتحدة بالإسكندرية في ۱۱ أبريل ۱۹۲۴ إلى حكومته :

« تم تطهير الحزب الشيوعي المصري الأول ، في أوائل عام ۱۹۲۳ ، بعد حل الحزب الاشتراكي المصري السابق ، بسبب الشقاق بين أعضائه . وكان المعتمد أن الشيوعية في مصر ، نشأت من فكرة المساعدة المتبادلة بين العمال ، ومن الرغبة في الاستفادة من المكاسب الطبيعية التي تتألف من الوحدة . ولكن ليس هناك شك الآن ، في أن بعض المبادئ الشيوعية المعتمدة ، إن لم يكن المتطرفة قليلاً ، قد امتنعت بهذه الفكرة والرغبة .

ولقد أرسل الحزب الشيوعي المصري ، بعثة تضم أربعة طلاب إلى الجامعة الشيوعية في موسكو ، وكانت البعثة تضم شاباً من كل من القاهرة والإسكندرية والرقة والقطائع والعطف . وتضمنت الخططيات المرسلة منهم إلى رفاقهم بالإسكندرية وصفاً لأوضاعهم ، وللاستقبال الذي قوبلوا به ، وللمتاهج الدراسية التي يدرسونها . وكان الحزب يعتمد في أواخر فبراير الماضي ، بإرسال خاتبين إلى مدرسة الفتيات في موسكو ، أحدهما شقيقة لطالب من الرقة . والأخرى من سمنود . ولكن الحكومة المصرية حالت دون سفرهما .

وحتى وقت قريب جداً ، كان وجود حزب شيوعي في مصر ، مثل نزع ، كما كان موضع نقاش على . ولكن تأكيد وجود مثل هذا الحزب ، من تصريحات أقارب هؤلاء الطلاب ، وفي المعلومات الرسمية من فرع الحزب الشيوعي في الإسكندرية .

وإرسال الطلاب إلى روسيا السوفيتية ، يضع المرء بأن الحزب المصري على صلة بالشيوعيين الروس في موسكو ، كما بين بوضوح ، أن الحزب يعتمد توسيع نطاق أنشطته ، بل إن اللجنة أعدت طلبات التحاق خاصة يملؤها الطلاب الراغبون في الانضمام للبعثة الشيوعية المصرية في موسكو .

وثبت أن الحزب تلقى عشرين طلب التحاق ، من أشخاص يرغبون في الالتحاق بالمدارس الشيوعية في روسيا . وتم تقديم كل هذه الطلبات ، قبل إعلان سفر البعثة الأولى .

* * *

ويكتب « اللورد جورج لويد » المتذوب السامي إلى لندن : « وصلت تقارير في أوائل عام ١٩٢٥ ، تفيد بأن الدولة الشيوعية في موسكو ، تأهبت لتركيز أنشطتها في عدد من دول شهال أفريقيا ، الواقعة تحت النفوذ الأوروبي . وبعد ذلك بوقت قصير ، كشفت التقارير المحلية ، عن تجدد واضح للنشاط الشيوعي في مصر . وسرعان ما اتضح أن هناك قوتين شيوعيتين تعملان في البلاد ، كل منها بصورة مستقلة عن الأخرى .

الأول منظمة شبه سرية ، رئيسها الاسمي (مواطن محلي سوري) . الثانية ، وربما الأكثر خطورة يتزعمها في الظاهر « الأمير أوتو مسكي » . والتي تتألف من حشد مصفاوص من المغامرين الأوروبيين ، وأساساً من اللاجئين الروس . وعلى الرغم من استقلال عمل هاتين الجماعتين فإنها تتبعان أساليب متشابهة . وتتضمن هذه الأساليب ، تقليل النعمة الشيوعية الصرفة في الدعاية ، واستغلال الروح الوطنية المنطرفة ، والقلاقل العمالية ، وأى عملية تحيل لإرباك السلطات المصرية . وتؤدي في النهاية إلى الفوضى .

ولكن نقطة الخلاف الرئيسية ، تتمثل في أن المنظمة الأولى ، أكثر اتصالاً بصورة أو بأخرى (بالكونترنـد في موسكو) . وتتبني الجماعة الثانية أساليب أكثر سرية في الاتصال . مثل نقل المراسلات باليد أو شفاهية .

ويعتقد أن هذه الجماعة تعمل بالارتباط مع - إن لم يكن تحت إشراف - « حكيموف » العميل السوفيتي في جده .

* * *

ولا تقتصر عملية المتابعة على النشاط الشيوعي في مصر ، بل تمتد إلى المصريين في الخارج . كتب « اللورد لويد » إلى لندن :

« في سبتمبر ١٩٢٥ ، سلم « سيف الله يسرى باشا » الوزير المصري في برلين ، نسخاً من بعض الوثائق للسفير البريطاني ، وقال إنها تصدر من السفارة الروسية في برلين ، وبتابع الوزير المصري ، عمل المرضين ، وسط الطلبة المصريين في ألمانيا (ويترافق عددهم

بين ٤٠٠ و٥٠٠ طالب)؛ وقد انتهى إلى أن مصدر أفعالهم ، يأتي من موسكو والسفارة الروسية في برلين .

وقرر « بسرى باشا » ، أنه نجح ، بعد صعوبات ، في أن يجعل البوليس الألماني يطرد الاثنين من المرضين المصريين المعروفين ، ويأمل أن يتمكن من عمل الشيء نفسه مع أربعة أو خمسة شبان يعيشون في برلين .

ودرَّ ذكر الوزير المصري أسماء ستة من العمالء اللاشقة ، قال إنهم أُجبروا إلى مصر» .

“ ”

وتستمر التقارير البريطانية حتى ٣٠ ديسمبر عام ١٩٤٣ عندما يكتب « اللورد كيلرن » إلى لندن :

١ - قدم « نيكولاى نوفيكوف » ، الوزير المفوض السوفيتي الجديد في مصر أوراق اعتماده « للملك فاروق » في ٢٥ ديسمبر ١٩٤٣ وبصحته أعضاء المفوضية .

وكان يرتدي الزي الرسمي ، في حين كان « السكرتيرون » الدبلوماسيون بالملابس العادية .

٢ - أعرب « نوفيكوف » ، لدى مغادرته القصر ، عن اغبائه باستقبال الملك له وقال : إنه حقاً ملكاً عظيم .

ويدل هذا ، وغيره ، على أن الموظفين السوفيت على أدرافه تمام ، بأهليه الملك بوصفه القوة الدائمة الوحيدة المعترف بها في مصر .

وجاءت إشارة « نوفيكوف » بمثابة محاولة متعمدة لخلق « فاروق » .

٣ - إن أكثر من عضو في سفارتنا ، تلقى إشارات عن أعضاء المفوضية السوفيتية . تفيد بأنهم في سرج ، بسبب الزيارات التي قام بها عدد من ذوى الأفكار الشيوعية الخطرين ، وبخاصة اليهود ، يعرضون فيها خدماتهم من أجل « القضية » .

ومن الواضح ، أن المفوضية تعاني وهي تشرح لهم أن الهدف الأساسي للاتحاد السوفيتي ويمثله في مصر ، هو دفع الحرب لإحراز نصر سريع بالتحالف مع بريطانيا العظمى وأمريكا .

ويقال إن السيد « سلطانوف » السكرتير الثاني لسفارة ، حين سُئل عن الخط الواجب اتباعه للشيوعية أجاب زائره بقوله :
- أقره واقرآن .

ولا شك أن الموظفين السوفيت في القاهرة ، يخشون من عوامل القلاقل ومشكلاتها .

إن العنصر (التروتسكي) ، قوى بين المجموعة الصغيرة المتعاطفة مع الشيوعية هنا ، والتي تتكون في بحثها من يهود .

ولو أرادت المفوضية الروسية أن تكسب عطف الملك ، فإنها لن ترضى بالربط بينها وبين الشيوعيين المحليين الذين لا سلطة لهم ، وهم في معظمهم ، ليسوا مصربيين ، بالمعنى الوطني للكلمة » .

ويكتب « الكسندر كيرك » الوزير الأمريكي المفوض إلى حكومته يوم ٣ يناير ١٩٤٤ ، معلقاً على تبادل التبليغ بين البلدين قائلاً :

« تضم البعثة السوفيتية العديد من الأعضاء ، الذين تضعهم اهتماماتهم ، ومعرفتهم بهذه المنطقة ، في موقف يتيح لهم دراسة الاتجاهات السياسية الحالية في الشرق الأدنى عن قرب . ويوضح ذلك بيدابة اتجاهات جديدة في الأمور السياسية لهذه المنطقة .

وأشارت الصحافة بالفعل إلى أن هدف السوفيت هو تهديد السبيل – من خلال إقامة روابط سياسية قوية – لتحقيق تقارب ثقافي ، لإزالة الفكرة التقليدية ، من أن الشيوعية عدو الإسلام . وبالتالي اجتناب آلة عقبات ، قد تعيق تطور التجارة بعد الحرب .

وإذا حكتنا على الأمور بما يجري من دلالات ، مثل الزيادة المتواترة للمواد الصحفية حول ما يجري في روسيا ، والمعروضات العديدة ، للمواد الروسية في نوافذ المكتبات المحلية ، التي تضم صوراً فوتografية « لستالين » . فإن القاهرة تتبع باهتمام ، أمور الاتحاد السوفيتي » .

ويتولى « النقراشي » ، رئاسة الوزارة ويشغل خصوصه . وفي مقدمتهم الشيوعيون ، ونكتب السفارة البريطانية إلى لندن البرقية التالية :

« هذه ترجمة لتقرير طويل عن الشيوعية في مصر والشرق الأوسط كتبه « حسن رفت باشا » ، وكيل وزارة الداخلية المصري وأعطيه سراً إلى « والترسارت » المستشار الشرقي بالسفارة . وأهم النقاط في هذا التقرير المطول كالتالي :

- ١ - بدأ أول تطور حقيق للشيوعية في مصر ، مع إقامة التبليغ الدبلوماسي السوفيتي في مصر .
- ٢ - كان التقدم الحقيق للشيوعية ، راجعاً إلى السياسة (الديماغوجية) لحكومة الوفد في حاولتها إرضاء الطبقات المتعددة عن طريق رشوتها .
- ٣ - الدور المهام الذي لعبته مكتبة يسرها يهودي شيوعي ، يسمى « هنري كوريلل » .

وهذه المكبة تتبع كميات من أدب الدعاية الشيوعية والروسية باللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية .

- ٤ - جاذبية الشيوعية . لعناصر الطلبة والعمال المشترين من الأحزاب السياسية الحالية .
- ٥ - تربب الشيوعية من البلدان العربية . وخاصة بيروت .
- ٦ - كان تكتيف الدعاية الروسية الشيوعية الموجهة ضد بريطانيا العظمى . يرجع إلى قلق روسيا من تكوين الجامعة العربية . التي اعتبرتها روسيا سوفيتية جيبة موجهة ضدها .
- ٧ - أصبح الخوف من روسيا . ورقة راجحة في بلدان الشرق الأوسط . التي تبتسم في وجه بريطانيا العظمى لتحصل على أمانها .
- ٨ - يحصل أن تكون روسيا . مصدر الدعاية الموجهة في مصر . ضد التحالف مع بريطانيا العظمى .
- ٩ - الأنشطة الإيجابية للبعثة الروسية مقصورة على المعارض والأفلام السينائية . عدا تلك المرتبطة بالأزهر . فتكون عن طريق المستر « سلطانوف » المستشار المسلم بالبعثة . وكذلك المرتبطة بالكنائس الأرثوذكسية .
- ١٠ - نشاط المثقفين في تشجيع الشيوعية . أو الاشتراكية . عن طريق المطبوعات والجمعيات التي تفادي رقابة سلطات الأمن . تحت ستار الثقافة .
- ١١ - الاستفادة من العناصر الأجنبية - الفلسطينيين واليهود والفرنسيين واليونانيين واليوغوسلاف والبولنديين والأرمن وغيرهم - في الدعاية للشيوعية .
- ١٢ - أدت المنافسة المتباينة بين الأحزاب المختلفة لكسب ود الطبقات العاملة . إلى مبالغة تلك الطبقات في تقدير أهميتها وقوتها .
- ١٣ - توصيف للأحزاب الشيوعية العديدة التي شكلت وخاصة . « الحركة المصرية للتحرر الوطني » . والتي توجد باسم مماثل في فلسطين ودول المضائق .
- ١٤ - أساليب العمل . ونظام الخلايا وما إلى ذلك .
- ١٥ - هجوم « الحركة المصرية للتحرر الوطني » على القصر .
- ١٦ - الفساد في عناصر معينة من ضباط الجيش والبوليس .
- ١٧ - إقامة صلة بين العمال والطلبة . والتي انتهت بتكوين « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » والوقد تمثل فيها بثقل .
- ١٨ - الميل اليساري للوقد . والزعم بإقامة علاقات بين الوقد والبعثة الروسية . بهدف

- الحصول على الدعم السوفيتي الآن . بعد أن سحب بريطانيا العظمى تأييدها للوقد .
- ١٩ - تقييم قوة الوفد والتأثير اليساري في الجامعات من ناحية ، وقوة الإخوان المسلمين والعناصر المعادية للوقد من ناحية أخرى .
- ٢٠ - تكوين الحزب الشيوعي المصري بهدف تصفية الخلافات بين (الروتسكين ، والستالينيين) .
- ٢١ - دلائل على أن البعثة الروسية . تلقى بثتها لإفشال مفاوضات المعاهدة الإنجليزية - المصرية .
- ٢٢ - الإشارة إلى أن النظام اليهودي للمستعمرات الجماعية في فلسطين . يمكن تقادمه بتجدد في مصر . يهدف إضعاف الدعاية الشيوعية بين المهاجرين .
- ٢٣ - إن « حسن رفت باشا » . مثل الذي يحافظ بمنزلة في قبته بشأن الشيوعية . فهو يراها في كل مكان . حيثما توجد . وحيثما لا توجد .
- وليس هناك شك في وجود دعاية شيوعية في مصر . وهي موجهة في الوقت الحالي إلى إثارة القومية المعادية للبريطانيين . أكثر من تبشيرها بالعقائد المثالثة للشيوعية .
- ولقد نقلت لكم بالفعل ، ذلك الميل اليساري للوقد . أما الرعم بأن الوفد أقام علاقات بالروس ، فيجب النظر إليه بشيء من التحفظ .
- ومع ذلك فما يقال . عموماً . هو أن « النحاس باشا » . أصبح يتأثر الآن بشكل كبير « بالدكتور محمد متذور » رئيس تحرير « الوفد المصري » . وهو رجل متطرف أو على الأقل اشتراكي الترعة .
- ويمكن أن نتوقع بعد جلاء البريطانيين . أن يتخذ الصراع الداخلي شكل حركة شبه اشتراكية معادية للأغنياء وللقصر .. يمكن أن يتبنى الوفد بها إلى قبول الدعم الروسي » .
- وتستعين السفاراة بالأساتذة الإنجليز الذين يعملون في الجامعات المصرية . ويكتب « رونالد كامبل » السفير البريطاني إلى لندن قائلاً :
- « ١ - أيد الأساتذة الإنجليز الذين يعملون في الجامعات . المعلومات التي وصلتنا حول نمو الشيوعية بين الطلاب .
- ويبدو أن الكليات المتأثرة بالشيوعية - أكثر من غيرها - هي : كليات الحقوق . والطب .
- والعلوم : حيث تؤدي المنهج العادي للدراسة إلى مناقشة الظروف الاجتماعية .
- والمنظمات التي تصر مسئولة أساساً عن تشجيع انتشار الشيوعية بين الطلبة هي :

(أ) جماعة أم درمان : ويدرها « هنري كوريل » . الذي يعمل بنشاط بين العناصر السودانية من السكان .

ويقال إن هذه الجماعة مسؤولة عن المنشورات ذات الطابع التحريري . ولهذه الجماعة ، صلة وثيقة بلجنة التحرير القومي . وبعد من أعضاء جماعة البحث العلمي ، لجنة خريجي الجامعة .

ويتولى الاتصال بالسودان أساساً « أحمد يوسف هاشم » مدير جريدة « التل » السودانية « إسماعيل الأزهري » الرعيم السوداني المعروف . الذي يطالب بالوحدة بين مصر والسودان .

(ب) نادي خريجي الجامعة : يضم هذا النادي جمعية سرية للشيوخين وهو متحالفاً مع جماعة البحث العلمي .

تم أخيراً انتخاب لجنة جديدة معظم أعضائها من المعروفين بنشاطهم وعيتهم الشيوعية . ويقال إن النادي توله المصالح اليسارية . التي جمعت عشرين ألف جنيه لتنظيمه .

(ج) جماعة البحث العلمي : وهذه الجماعة مرتبطة بأشطة نادي خريجي الجامعة بصورة وثيقة . حتى أنه لا يمكن التمييز بينها .

ويحضر الاجتماعات والمحاضرات الطلبة وأعضاء الطوائف المهنية . والموظفون . الحكوميون . وليس من الضروري أن يكونوا جميعاً شيوخين .

ويقوم بإدارة الجماعة أشخاص معروفوهم عيوبهم الشيوعية . ويستخدمونها كوسيلة للدعائية لعتقداتهم .

(د) جماعة الخبر والقلم : جماعة شيوعية . تتكون أساساً من الطلبة الأزهريين والجامعة رئيسها هو « محمد ركي عبد القادر » . الذي يقال إنه على اتصال بأحد أعضاء المفوضية الروسية .

(هـ) اللجنة الثقافية الحديثة : هذا النادي له تفؤد كبير على العناصر الطلابية . ويرغم أن نشاط الجماعة مشكوك في بدراجه كبيرة . فإن الأفراد الذين يحضرون اجتماعتها ليسوا - كلهم بالضرورة - من الشيوخين . ولكنهم يخضعون لبعض أشكال الدعاية الشيوعية غير المباشرة .

ورئيس اللجنة « سعيد الكيكال » وهو شيوعي معروف . يوصف بأنه محام . وأعضاء اللجنة أساساً من الطبقة المهنية والطلبة . وسياسة الجماعة التركيز على الدعاية للأفكار الشيوعية بين الطبقة المثقفة في البلاد . وتبنيه أفراد أفضل للخلايا الشيوعية .

وهذه الجمعية ، جزء من منظمة أكبر مقرها في بيروت . وهي على صلة بالجامعة الشرقية في

لبنان ، والمركز العربي الشيعي العام في حلب .
وتحصل اللجنة كتب دعائية من روسيا ، وتسلم الجماعة مساعدات مالية من المفوضية السوفيتية .

٢ - فيما يلي أسماء المنظمات التي تقوم بأغلبية النشاط المأذف لتشجيع انتشار الشيعية بين العمال :

(أ) لجنة التحرير القومي : شكلت هذه اللجنة في بداية أكتوبر ١٩٤٥ . ومنذ ذلك الوقت ، أصبح لها نشاط كثيف ، في الدوائر العمالية وقد وزعت منشورات تدعى إلى الوحدة وتحرير البلاد . ومنتشرات أخرى موجهة إلى الجيش لحثه على مساندة التضال القومي . طبعت هذه المنشورات ، في نفس المطبعة التي تنشر مجلة « الضمير » . وقد تسرّب ممثلو هذه اللجنة إلى عدد من النقابات في القاهرة والأقاليم .

وذكر أن « محمد يوسف المدرك » ، أصبح على صلة وثيقة « بمستشار العريس » . رئيس الوفد اللبناني لمؤتمر النقابات العالمية العالمي الذي انعقد أخيراً في باريس . « وإبراهيم بكرى » . رئيس الوفد السوري . والمعروف أن كلّيهما شيعي .

وتوجّد بعض الدلال على أن لجنة التحرير القومي لها صلة « برابطة عرب فلسطين من أجل التحرير » .

(ب) مصر الفتاة : أشارت التقارير الواردة من مصادر عديدة . خلال العام الماضي ، إلى أن عناصر معينة في هذا الحزب ، تؤيد الشيعية ، وأن جريدهم تلقى عوناً مالياً من المصادر الروسية .

(ج) الإخوان المسلمين : يوجد حالياً بعض الشك ، في أن التفود الشيعي تسرّب إلى قطاعات معينة داخل هذه المنظمة .

ووصلت أعداد من التقارير التي تشير إلى محاولات قام بها الروس للاتصال بهذا الكيان لنرويج أن فكرة الشيعية ، تتسبّب إلى الدين الإسلامي وتشاطف معه .

ولا تتبع بريطانيا حركة الشيعية في مصر فحسب ، بل إنها تتبع هذه الحركة في العراق أيضاً ، فإن ظروف الحكم الملكي في البلدين متشابهة .

ويكتب السفير البريطاني في بغداد تقريراً مفصلاً يقول فيه : « إننا نرتبط في كل بلاد الشرق الأوسط بطيبة حاكمة يتفق الجميع على أنها مكونة - في جموعها - من حفنة من الاتهاريين والمتغرين الفاسدين . والفساد الحكومي . يصدّم أي غريب

إذيرى الآفاق الذى تماضت إليها الرأسمالية التى يمارسها الأغنياء .

إن الفوز السوفيتى ، سرداً عاجلاً ، أو آجلاً ، في العالم العربى .

وأتبأ بأن السوفيت ، سينغلون في العالم العربى ، ما سبق أن فعلوه في إيران ، وهو أن ينشروا بين الناس ذن البريطانيين ، ارتبطوا بالقهر الاقتصادى والقاد الحكومى . ومن هنا فإن على الشعب أن يبحث عن المعاونة من جانب روسيا السوفيتية .

ولن يكون سهلاً على السوفيت أن يكرروا في العالم العربى ما حدث في إيران .

فالإسلام في العالم العربى يمثل حاجزاً قوياً ضدتهم ، ومع ذلك فلا يزال الخطر مائلاً .. ويرغم أن الشيوعية محظورة قانوناً في العراق . فإن الجماعات المنتمية إلى الحناج السارى الراديكالى . تمثل إمكانية وأداة مختلة في بد التسلل السوفيتى في زيادة نفوذه بالعراق .

ويرغم أن خلافات وقعت بين فصائل الشيوعيين - كما هي العادة بالنسبة لكل الأحزاب السياسية العربية - فإن هناك مجموعة شيوعية أظهرت في الشهور الأخيرة إشارات تنبئ بأحكام تنظيمها وتملك وحدة وتجانسًا في المدى الذي يتباين أعضاؤها .

وليست لدينا قرية . على أن هذه المجموعة من الشيوعيين العراقيين يحرى تسخيرها من روسيا - برغم أنها قد تكون على صلة بالعراقيين المقيمين في الاتحاد السوفيتى - ولكن السابقة ، التي يمثلها حزب توده الإيراني ، أمام أعيننا . تخدو بنا إلى أن نذكر دائمًا إمكانية قيام روسيا بتوجيه الشيوعيين العراقيين في الحاضر أو المستقبل » .

وكتب السفير البريطاني في بغداد - كورنويليس - إلى حكومته :

« ها هي سطوة الإسلام تترافق حتى بين أقل القطاعات تعليمًا من السكان .. وكذلك بين صفوف الطلاب الشبان ، الذين الفصلوا عن تعاليمهم المذهبية . فلا يزال الخطر مائلاً .. وبدلًا من أن يتصور « كورنويليس » أن مواجهة خطر الشيوعية يتم بالإصلاح الاجتماعى الجذري والعدل الاجتماعى فإنه يطرح حلاً غريباً يقول :

« إن الفرصة رائعة لدى البريطانيين ، لمواجهة الخطر السوفيتى . وهذه الفرصة تكمن في جمعية « إخوان الحرية » ، باعتبارها جمعية شعبية بعيدة عن التحيز الطبقى . وبوسعها أن تبني لنا علاقات من الدرجة الأولى مع أهل البلاد ، من كل الطبقات والمشارب ، على أساس المساواة الاجتماعية والرغبة في الإصلاح والتوجيه السليم » .

* * *

وفي تقدير عام للموقف في العراق أعدت وزارة الخارجية البريطانية تقريراً يقول :

«منذ فترة قصيرة ، تم إنشاء حركة (راديكالية) جيدة التنظيم تسمى «الحزب الشيوعي» وبدأت هذه المنظمة في إثبات وجودها . وأعضاؤها يزدادون يوماً بعد يوم . والشعور العام بدأ يسود بخallo الإضراب . مع إصدار النشرات والكتيبات ، وقيام المظاهرات التي تهدف إلى تأكيد الحقوق الفردية والجماعية ولا يمكن التنبؤ بما سيكون عليه مستقبل الأمن في العراق . وللشيوعية جاذبية في العراق . خاصة بين الفلاحين . يقدر ما تقدمه من جزء، يختونه لقاء عملهم . ومن الدفاع عنهم في مواجهة ملاك الأراضي الآتنيين الغائبين عن أراضيهم . والشيوعية من ناحية أخرى تروق للمتعلمين الشبان .

إنهم على استعداد ليقلعوا مذهبًا يرون فيه إمكانية تشطيط الحياة السياسية في البلاد» . ويدرك السفير «كورنوليس» العوامل الثالثة التي تساعد على انتشار الشيوعية في العراق : «شعور الإعجاب بقوة السوفيت . وشعور الإحباط في نفوس الشيعة — وهم غالبية سكان العراق — ومع ذلك فهم مستبعدون من الحكومة . وهناك الجهل بالمعنى الحقيقي للشريعة . وبطبيعة الحال داخل الاتحاد السوفيتي» .

ويختتم السفير ملاحظاته بقوله :

«إن الدين الإسلامي لا يمثل حاجزًا ضد انتشار الشيوعية في العراق» .

° ° °

وكانت هناك اختلاف واحد بين مصر والعراق ..

إن «التحاس» ينادي في معارضته الإنجليز في مصر خارج الحكم . أما «نوري السعيد» . فكان رجل الإنجليز . وهو رئيس للوزارة أو وزير . وأيضاً خارج الحكم . ولم يتطرق صدّهم قط .

° ° °

ولكن الحركة الشيوعية ، لم تتجه في تحقيق أهدافها ضد «القراشي» ، لأسباب كثيرة ، من بينها : أن قادة التنظيمات الشيوعية عامي ٤٥ و٤٦ . كانوا من الأجانب ، كما كان قادتها من الأجانب أيضًا أعوام ١٩ و٢٣ و٢٤ عقب الثورة المصرية .

إننا نجد أن أبرز أسماء الزعماء الشيوعيين في مصر هم :

«بول جاكو دي كومب» ، وريعون أجيون ، وهنري كوريل . وأني ستوليار ، وراؤل كوريل . وجورج بولنزيه ، ومارسيل إسرائيل . وكاريستو متسل . وبيرينس ، وباناكس .

وقد حاول مؤرخ الحركة الشيوعية أن يبرر وجود الدور الأجنبي فيها فقال إن الأجانب لم تقل خاص في مصر ونفوذهم السياسي الاجتماعي والاقتصادي .. طاغ .
وكانت هناك عوامل تدفعهم للاحتفاظ بأجنبينهم - برغم ميلاد بعضهم المصري - بسبب الامتيازات الأجنبية التي تكفل لهم حقوقاً قانونية ومالية واجتاعية غير محدودة .
فهذه الامتيازات الأجنبية ، تخفي الشاطط السياسي ، وسط الأجانب ، حتى ولو لم يكن مرضياً عنه من جانب السلطة .

وهناك عنصر يضاف إلى ذلك وهو اللغة . فتحى نهاية الثلاثينات ، لم يكن الأدب الماركسي قد ترجم إلى اللغة العربية .. وكان دخول الكتب والمجلات والصحف الشيوعية إلى مصر متواضعاً .
وكان الشيوعيون الأجانب يملكون القدرة على استيراد الكتب والمجلات الشيوعية ، اعتماداً بالامتيازات الأجنبية . وبحكم احتكارهم الثقافي بأوروبا ، وترددتهم عليها .
وكانت السلطات البريطانية تتغاضى عن الميل الماركسي ، وتسعى للتحالف مع بعض التجمعات الشيوعية وخاصة في أثناء الحرب .

* * *

في كتابه يقول «اللواء المصليحي» : «إن اليهودي «هنري كوريل» أسس إحدى الملتقيين الماركسيتين الhamatim اللتين ظهرتا في الأربعينات . وهي «المجموعة المصرية للتحرر الوطني» ، عام ١٩٤٢ .

وقد أتى بعد ذلك مع الحركة الثانية التي أسسها يهودي ثان وهو «هيليل شفارتز» وهي : «بسكرا ، أو الشراة» .

وسميت المنظمة الجديدة «المجموعة الديموقراطية للتحرر الوطني» التي زاد نشاطها وتسالت إلى الطلبة والعمال المثقفين» .

روى الدكتور رفت السعيد قصة «كوريل» ، كما ذكرها له ، وهي أنه «افتتح بالماركسية في عام ٣٧ - ١٩٣٨ . وبدأ الاتصال بآخرين وتحذر مقرًا لنشاط إحدى الجمعيات الماسونية . وقد اتصل به مندوب من السفارة البريطانية لتوحيد التعاون ضد الفاشية ولكنه رفض .. فرفض ورأى ضرورة البدء بتأسيس تنظيم شيوعي يرفع شعار المتصير - أي أن يتول قيادة الحركة الشيوعية بمصر يون .

وقد رأى آخرون ضرورة تركيز الهجوم على الدين في حين يرفض «كوربيل» ذلك ورأى أن ينشط مع الشيوعيين في صفوف الأزهر ..

ويستمر «كوربيل» في نشاطه الشيعي سنوات طويلة ، ويقبض عليه عدة مرات . ثم يستقر بعد ذلك في باريس .

وقد قبض عليه عام ١٩٦٠ ، بعد أن وجدت لدى إحدى أصدقائه وثائق مسروقة من وزارة الخارجية الفرنسية ، واعترف الصديق بأن «كوربيل» سلمه هذه الوثائق .

ورفض «كوربيل» أن يتكلم أو يعترف فسجين عامين ثم أفرج عنه .

وفي ٤ مايو ٧٨ ، يطلق رجال الرصاص على «هنري كوربيل» في مصعد منزله الفاخر على ضفة نهر السين في باريس .

وتلفت الصحفية الأمريكية «كليير سترينج» كتاباً اسمه «شبكة الإرهاب» عام ١٩٨١ ، تقول فيه إن «هنري كوربيل» ، كان معروفاً لدى جهاز الأمن الداخلي الفرنسي خلال ٢٧ سنة . وقد أنشأ عام ٦٣ ، جمعية خيرية باسم «التضامن» تقدم المساعدة للكثيرين الذين يأتون إلى باريس .. ثم حلها وأنشأ بعد ذلك جمعية أخرى باسم «المساعدة والصدقة» .

واكتشف بعد ذلك أن «كوربيل» ، على علاقة بأحد أجهزة الأمن الفرنسية ، وعلى علاقة بمنظمات الإرهاب الدولية وجهاز المخابرات السوفيتية . وأنه أرسل سيدة شيعية للمشاركة في اغتيال السفير الأمريكي في جوانينا ، وبعث برجل أفريقي ثوري إلى جنوب أفريقيا لكشف القيادة الأفريقية الوطنية والإيقاع بها» .

فكوربيل الذي أنشأ وقاد جانباً هاماً من الحركة الشيعية في مصر ، والتي برع نشاطها في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، كان عميلاً لعدة جهات في وقت واحد ...

وما كشف من ماضي «كوربيل» يطرح عدة أسئلة ...

هل فرنسا هي التي جندته في مصر ، ليثير الفتن انتقاماً لوقف مصر في الجامعة العربية وتأييدها لاستقلال سوريا ولبنان ودول شمال أفريقيا التي كانت تحت الاحتلال الفرنسي . وهذا هو السبب في إقامته بعد ذلك في باريس .

أم هو الاتحاد السوفيتي لينشر الشيوعية في المنطقة ..

أم كان الرجل عميلاً مزدوجاً؟ ..

• • •

حاول «الدكتور رفت السعيد» أيضًا الدفاع عن تعدد وانقسام التنظيمات والجماعات الشيوعية في مصر وانقسامها . فقال إن الحركة الشيوعية نشأت في مجتمعات منفصلة يومناين وإيطاليين ..

وأن الأحزاب الشيوعية الأوروبية كانت منفصلة ومستقلة لظروف كثيرة أهمها الحرب العالمية الثانية .

وقد يكون هذا هو السبب ... وقد يكون السبب أن هذه الحركة ورثت عن الأحزاب المصرية روح الانقسام . أو سرت إليها - من الأحزاب - عدو الانقسام . وقد يكون هذا التفسير مقبولاً ومبرراً لقيام الحركة الشيوعية ، ولكنه يفسر أيضًا السر الأول في فشلها .

وهذا سبب آخر ، وهو أن معظم هؤلاء الأجانب كانوا من اليهود . ولا يوجد مبرر سوى أنه كان من أهداف الشيوعيين الوقوف ضد التحرك العربي المؤيد لفلسطين . برفع شعار وحدة الطبقية العاملة .

وكان مستحيلاً أن يحتوى اليهود الحركة المصرية المؤيدة لفلسطين .. ولكن بقى المد الشيوعي يزحف في عهد «التقراشي» بعد إلغاء الأحكام العرفية . وإطلاق حرية الصحف ، حتى جاء «إسماعيل صدق» ، رئيساً للوزارة فاعتقل في 11 يوليو ١٩٤٦ مئات الشيوعيين وأغلق ١١ منظمة و٨ صحف شيوعية .. وأطلق الشيوعيون على هذا اليوم اسم «المذبحة الشهيرة » .

ليس إنذاراً.. ولكنه تحذير

الغريب في التاريخ المصري الحديث . أن فصوله تتكرر حتى بالتفاصيل الصغيرة . برغم الفوارق الزمنية ...

والغريب أيضاً أن زعماء مصر ، لم يفطروا لذلك ولم يتعلموا منه .. مع أن الدرس أعيد عليهم .. أمامهم .. وفهم .. أكثر من مرة ..
في أغسطس عام ١٩٢٩ ، أجرى « محمد محمود باشا » رئيس وزراء مصر . ورئيس حزب الأحرار الدستوريين مفاوضات في لندن ، مع « أرثر هندرسون » . وزير الخارجية البريطاني . انتهت إلى مشروع معاهدة .

نشر مشروع المعاهدة في مصر ، يوم ٦ أغسطس ، فأصدر الوفد بياناً طالب فيه بإقصاء وزارة « محمد محمود » وإجراء انتخابات لتغيير الأمة عن رئتها في المشروع .
وكان مقرراً أن يعود رئيس الوزراء إلى مصر يوم ٢٣ أغسطس .

أعدت الحكومة البريطانية مراجحة « محمد محمود باشا » ...
أذاع « رامي ماكدونالد » رئيس وزراء بريطانيا ، بياناً في نفس اليوم - ٢٣ أغسطس - أعلن فيه :

« أن الحكم النهائي على مشروع المعاهدة ، يصدره مئلون منتخبون لشعب مصر .. »
وكان « محمد محمود » يحكم في ذلك الوقت بلا برلمان . واشتهرت حكومته باسم وزارة « اليد الحديدية » لأنها عطلت البرلمان نحو ٣ سنوات .

وعاد « محمد محمود » إلى مصر يوم ٢٩ أغسطس . ليجد هذا التصريح أمامه . وكان عليه في هذه الحالة إجراء انتخابات . ليقوم برمان يمثل شعب مصر ويدلي رأيه في المعاهدة . وكان الوفد في المعارضة فلم يهاجم مشروع المعاهدة ، ولم يهاجم حزب العمال البريطاني ، بل حمل على « محمد محمود باشا » رئيس وزراء مصر . وكان الوفد منتفقاً مع سياسة الخزينة في هذا الموقف . إنه لا يريد معارضة المعاهدة . وإلا فقد ثقته ، وصدقته ، حكومة العمال . التي تريد دائمًا التفاوض مع الوفد باعتباره مثلاً لشعب مصر منذ ثورة ١٩١٩ . ولا يريد الوفد تأييد المعاهدة إلا بعد قيام حكم نيابي . والمنطق الخزني غير المنطق القومي . المنطق الخزني في تلك الأيام يريد الحكم أولاً .. والمنطق القومي يريد مصلحة البلاد ولو جاء بها الخصوم !

* * *

وصل إلى مصر يوم ٢ سبتمبر ١٩٢٩ ، المندوب السامي البريطاني الجديد « السير بروسي لورين » ومعه تعليمات محددة ، وهي أن الحكومة البريطانية تريد إجراء انتخابات على أساس الاقتراع العام .

وكان هذا حكماً بالإعدام على نظام « محمد محمود » . ورحبت الحكومة البريطانية بقيام وزارة التلاف واسعة حتى تضمن أن تشارك الأمة كلها في بحث مقترنات المعاهدة . وافق « محمد محمود » على ذلك .

وعلى حد تعبير « السير بروسي لورين » في برقائه إلى لندن : « وضع « محمد محمود باشا » نفسه تماماً تحت تصرف بالنسبة لتأليف الوزارة القومية . وكان « محمد محمود » يريد إقرار مشروع المعاهدة بواسطة وزارة ائتلافية يتولى رئاستها أو يستقيل .

ونترك رئيس الوزراء المصري القرار النهائي في ذلك الشأن للمندوب السامي ... كما تقول الوثائق .

رفض « مصطفى النحاس » فكرة الوزارة الائتلافية لأنه يرى أن الوفد - وحده - يمثل الشعب .

وخلال عشرة أيام وجد «لورين» نفسه في طريق مسدود .
لقد حذره «رامزى ماكدونالد» رئيس وزراء بريطانيا . من التدخل في شئون مصر .
ومن ناحية أخرى لا يمكن قيام وزارة اثنلافية دون اشتراك الوفد الذى رفض المفكرة نهائياً .
وظل «برسى لورين» يكتب إلى لندن يطلب تعليقات محددة للخروج من حالة الجمود .
وأخيراً في ٢٥ سبتمبر ، تلقى المندوب السامي برقية من وزير الخارجية «أرثر هندرسون» يأن
عودة الوفد للحكم .. حتىمة .
دعا «لورين» .. «مصطفي النحاس باشا» للغداء .. وبدأت اتصالات الوفد بالمندوب
السامي бритانی .

وأيقن «هندرسون» للمندوب السامي يقول :
«إلى حزرين على «محمد محمود باشا» .. حان الأوان ليترك خشبة المسرح ». .
وهو نفس ما كان يجرى للوالى فى مصر ، عندما يقوم رجال السلطان بسحب السجاد الأحمر
الممتد أمام كرسى الوالى فيعلم أن عليه الاستقالة .. فوراً !
ووجد «محمد محمود باشا» نفسه في ذات موقف الوالى التركى القديم ..
وكان استمرار البقاء فى الحكم ، أو استمرار العذاب - على تعبير «السيد برسى لورين» - غير
محظى .

ومرة أخرى وضع «محمد محمود نفسه» بين يدى «لورين» بلا تحفظ .. كما تؤكد الوثائق
وعرض استقالته في الوقت الذى يشير به «لورين» . .
وفي تقريره قال المندوب السامي .
«أخبرت «محمد محمود» بصراحة ، يوم أول أكتوبر ، أن اللحظة حانت لاستقاليل .. فقبل
مشورفى بصورة مهذبة للغاية .. وقدم استقالته يوم ٢٦ أكتوبر ». .
.. وأحسن «محمد محمود» وهو يستقيل بالعبارة ، وأرادت بريطانيا تعريفه ففتحته ..
وسائلاً . .
وجاء «عذلي يكن باشا» ليهدى لعودة الوفد إلى الحكم ..

* * *

وفي يناير عام ١٩٤٦ ، كان «كلبىمنت أتل» رئيساً لوزراء بريطانيا .. «وارنست بيفن»
وزيراً للخارجية .. والوزارة كلها من حزب العمال ..
وكان «القراشى» يرأس الوزارة المصرية ، والوفد خارج الحكم ...

وبريطانيا وافقت على مبدأ التفاوض مع الحكومة المصرية ...
ونذكر رجال وزارة الخارجية البريطانية درس « محمد محمود » .. ودرس مفاوضات عام
١٩٣٩ .

لقد سقطت وزارة « محمد محمود » لأن الوفد لم يشترك فيها ، ولم يشترك في مفاوضات
المعاهدة ، ولم توقع المعاهدة إلا بعد ذلك بـ ٧ سنوات .
وتحتت مفاوضات عام ١٩٣٦ والوفد خارج الحكم ، ولكن « النحاس باشا » كان يرأس
وفد المفاوضات ، الذي يضم كل أحزاب مصر ...
وأرادت بريطانيا ألا تكرر ثغرة « محمد محمود » وأن تعيد - في تعديل المعاهدة - ثغرة توقيع
المعاهدة !

ظل السفير البريطاني يضغط على حكومته لتضغط بدورها على إشراك الوفد في الوزارة أولاً في
وفد المفاوضات مع بريطانيا .

* * *

بعد تشكيل وزارة « النحاشي باشا » بشهر واحد ، التي « كيلرن » ، بعد الفتاح عمرو » وقال
له :

- أقول بشكل غير رسمي تماماً إنه من الأهمية بمكان ، إعادة النظر في الخطأ الذي ارتكبه
« النحاشي » عندما استبعد حزب الوفد ، من عضوية وفد مصر في (مؤتمر سان فرانسيسكو)
الخاص بتوقيع ميثاق الأمم المتحدة .
وإن أسم رائحة في الأفق عندما يعود وفد المفاوضات من سان فرانسيسكو إلى مصر في حين أن
حزب الوفد - الذي يمثل الأغلبية - مطلق الحرية ، يطلق لسانه نفذاً وتجربة .
وبعد « كيلرن » ينص الحديث إلى حكومته يوم ١٥ مارس ١٩٤٥ للإيجاء .. والإفشاء ..
وتكررت بعد ذلك برقيات « كيلرن » ، عن أهمية الوفد في إثارة الاضطرابات ، والميل لروسيا
وضرورة إشراكه - أي الوفد - في الحكم أولاً في المفاوضات .
وتأثير رجال وزارة الخارجية البريطانية .. واستطاعوا إقناع « أرنست بيفن » وزير الخارجية .

* * *

استدعي « أرنست بيفن » وزير الخارجية سفير مصر « عبد الفتاح عمرو باشا » مقابلته بوزارة
الخارجية - يوم ٢٦ يناير - وسلمه رد بريطانيا على مذكرة مصر ، التي قدمتها في ٢٠ ديسمبر
بتطلب تعديل المعاهدة .

قال «بيفن» :

«إن المبادئ الأساسية التي قامت عليها المعاهدة المصرية الإنجليزية المنعقدة سنة ١٩٣٦ ، سليمة في جوهرها .

وسياسة الحكومة ، تدعم التعاون على أساس المشاركة الحرة الكاملة ، وهي على استعداد لأن تعيد النظر في أحکام المعاهدة الثالثة .. ، وسترسل إلى السفير البريطاني في القاهرة ، قريباً ، تعليمات لإجراء محادثات تمهدية مع الحكومة المصرية لهذا الغرض » .
ويجد الشعب المصري في هذا الرد البريطاني ، الذي أذاعه «النقراشي» ، تمثلاً بريطانياً بمعاهدة ١٩٣٦ ، كأساس للعلاقات مع مصر .
ولم يحدد الرد البريطاني موعد بهذه المفاوضات ، بل ترك للسفير البريطاني أن يجري محادثات تمهدية ...

ويكون الرد البريطاني الذي تلقاه «كيلر» يوم ٢٦ يناير ، مقدمة لما جرى في حريق القاهرة في نفس اليوم - أى ٢٦ يناير ١٩٥٢ - بعد ٦ سنوات .

في نفس اليوم - السبت ٢٦ يناير - الذي وافقت فيه بريطانيا ، على الدخول في مفاوضات مع «النقراشي» .. ، تلقى «اللورد كيلر» تعليمات محددة من لندن تشمل :

١ - كيف تجرى المفاوضات ؟
٢ - ومن يجرها ؟

وفي مذكرة كتب «كيلر» :

قالت المذكرات :

«في وقت تأخر من المساء وصلت برقية طوليان من وزارة الخارجية بهما القرار الذي اتخذ بشأن إعادة النظر في المعاهدة :
والإجراء ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

هناك أولاً المذكورة الموجهة إلى «عمرو باشا» (السفير المصري في لندن) ، التي تعلن فيها - برغم المادة ١٦ من المعاهدة الحالية - قبولنا مبدأ إعادة النظر في إجراءات المعاهدة على ضوء الخبرات المتبدلة ، نظراً لميثاق الأمم المتحدة .

وسيتم إرسال هذه التعليمات ليأخذوا موافقة تمهدية مع الحكومة المصرية .
أما الجزء الثاني من التعليمات فيشرح له السبب في عدم إمكان إجراء مفاوضات في لندن حتى

ينصح أساس للاتفاق .. ، وعندئذ فقط ستكون لندن مستعدة لاستقبال وفد مصرى .
وأضافت التعلیمات ، أن برقية موجزة في الطريق للإشارة للخط الذي يجب على تبنيه في
الحوار التمهيدى المقترن . وللسؤال عن تعليق أنا « وهلسون » حاكم السودان على هذا الخط .
أما الجزء الثالث فيبحث ، ماذا كان علينا أن نشرع في هذا الحوار مع الحكومة الحالية أم لا .
وأضافت البرقية ، إنه في حالة موافقتي ، فلا بد من رؤية « الملك فاروق » على الفور ،
وتحذيره من قلقنا من الشكل الذى تسير به الأمور بطريقة خاطئة مثلما حدث مع « محمد محمود
باشا » عام ١٩٢٩ ، وبعد أن أوضح له تماماً تصميمنا على عدم التدخل في السياسة الداخلية .
ويجب أن أشير عليه بشدة ، بوجوب العمل لإقامة حكومة على قاعدة أوسع من الحكومة
الحالية . أو على الأقل ضمان اشتراك حزب الوفد في وفد المفاوضات المصرى . لإنقاذ مصر من
كارثة مماثلة في هذا الموقف .

ويجب أن أوكد « للملك فاروق » ، أن هذه مشكلة يجب أن يحلها هو ومستشاروه ، لأنه
ليس بقدورنا أن نحلها ، دون تدخل صارخ من جانبنا في الشؤون الداخلية .
وأضافت البرقية أن « الملك فاروق » ، يجب أن يتعامل بنفسه مع مشكلة « النحاس باشا »
الشخصية . وأقصى ما يمكن أن نعمله ، عدم إعاقةه عن ذلك بأى شكل من أشكال التدخل
لصالح « النحاس » .

وتستمر مذكرة « كيلون » قائلة :

« هذه عملية بارعة حقاً . ومن الواضح أنه لابد من فصل الإجراء الذى سيتخذ مع « الملك
فاروق » ، عن عملية بهذه الحوار التمهيدى .

وعلى أية حال ، فذلك الحوار يعتمد على ما تقرره تعلیمات وزارة الخارجية القادمة .
وتقرر وزارة الخارجية شيئاً آخر ، وهو أن هذا الحوار ، يجب أن أقوم به بنفسي ، أو يقوم به
قادة الجيش البريطاني في مصر باعتبارهم مستشارين .. لي .

والآن إذا تحدثت إلى « الملك فاروق » ، بالشكل الذى يطرونه بشأن « النحاس » بالذات
فإننا نترى إلى مياه عميقة وملبدة بالصاعب .

لتفترض أن الوفد « والنحاس » سيعودان في نهاية المطاف ؟ إذا حدث ذلك فسيكون واضحاً
أنه سيعود في موقع المواجهة والخصومة الكاملة مع الملك .

وأكثر من ذلك فإن « الملك فاروق » سيرى - في إشارته « للنحاس » - إطلاقاً كاملاً ليده في
النار معه .

أتفعل أن تكون الأسابيع القليلة القادمة محومة وملينة بالصعب .
إن لندن تقترح استخدامي أنا والسفارة كمحفظ للصدامات . وكتت آمال - ربما بشيء من
الجن - التوصل من هذا العبث .

• • •

كانت التعليمات واضحة « للورد كيلون » بشأن تشكيل وفد مصر في المفاوضات ..
إن ييفن لا يريد تجربة ما جرى مع « محمد محمود باشا » ، عندما اضطر « محمود باشا »
للاستقالة .

إن « ييفن » يريد إعادة تشكيل حكومة « النراشي باشا » لتضم وزراء وفديين .
أو يريد ، إذا بقيت حكومة « النراشي » كما هي ، أن يضم وفد المفاوضات مع بريطانيا
أعضاء من حزب الوفد .

وكان نص رسالة « ييفن » بالحرف الواحد :
« إبلاغ الملك أنه في الوقت الذي لا أرغب فيه - أي « ييفن » - التدخل في شؤون مصر
الداخلية ، إلا أنك توجه إليه في نفس الوقت شكلاً من أشكال التحذير يفيد بأن لا أرى أن
ادارة مصر قد عهد بها لأفضل المصريين .

وبصرف النظر عن أي شيء آخر ، فإن الموقف الخاص بالأمن العام أظهر تدهوراً ملحوظاً في
ظل الإدارة الحالية ، كما يتعين على الملك ، أن يدرس مفاوضات « محمد محمود » في عام
١٩٤٩ .

ويجب على الملك ، أن يتعامل بنفسه مع مشكلة « النحاس باشا » الشخصية . وأقصى
ما يمكن أن تتعهد به ، هو ألا تقف في وجه صاحب الجلالة بأي شكل من أشكال التدخل ،
لصالح « النحاس » .

• • •

وجد الورد « كيلون » نفسه في مأزق .
لقد جاء « بالنحاس » إلى الحكم في ٤ فبراير ١٩٤٢ .
وعندما أقاله « الملك فاروق » ، تدخل « كيلون » لمنع المحاكمة « النحاس » ..
ولم يتدخل « كيلون » وحده .. ، بل تدخلت الحكومة البريطانية كلها لمنع المحاكمة .

• •

في فبراير ١٩٤٥ ، انتهت اللجنة الوزارية المشكلة برئاسة « مكرم عبيد » ، من تحقيق تهم الفساد التي وجهت « للنحاس » .

أيامها ، وبناء على تعلیمات وزارة الخارجية البريطانية ، حذر السفير البريطاني كلًا من « أحمد ماهر » رئيس الوزراء ، « وأحمد حسين » رئيس الديوان ، « والملك فاروق » نفسه من محاكمة « النحاس » .

وبعد أيام زار « أنتوف إيدن » مصر ، فأكمل « لأحمد ماهر » أن محاكمة « النحاس » سيكون لها تأثير سلبي ، على الرأي العام البريطاني لأن ذلك يعتبر عملاً انتقامياً من « النحاس » ووقف « أحمد ماهر » في مجلس التواب المصري ، يعلن أن الحكومة ، تعد مشروع قانون بمحاكمة الوزراء ، طبقاً للدستور ، وأن هذا القانون لن يكون له أثر رجعي .. ومعنى ذلك أن « النحاس » لن يحاكم .

وأكمل « التوره كيلر » ، « التقراشي » بعد توليه رئاسة الوزارة موقف بريطانيا من محاكمة « النحاس » .

ولكن « التقراشي » تفادى الالتفام بشيء ..

وفي ١١ يونيو ١٩٤٥ ، تناول « التقراشي » طعام الغداء مع السفير البريطاني . ولم يبلغه شيئاً . وفي اليوم التالي أعلن أن مجلس الوزراء المصري ، أحال تقرير اللجنة الوزارية الخاصة بمحاكمة النحاس إلى البرلان .

وشكل البرلان لجنة لهذا الغرض ، مما أثار عاصفة من الحملات المتبادلة ، بين صحف الحكومة والوafd ، هبطت إلى مستوى منخفض لعنف الاتهامات المتبادلة .

ولكن تقرير اللجنة الوزارية ، ظلل مودعاً في ملف اللجنة البرلمانية لا يتحرك . فقد أدرك الجميع أن الحكومة البريطانية ستتدخل بجسم ، لمنع محاكمة النحاس ..
 الآن مطلوب من « كيلر » بتعلیمات صريحة ومحددة من « أرنست بيفن » وزير الخارجية أن يبلغ ملك مصر « فاروق » أن بريطانيا لن تخمي « النحاس » .. ، وكل ما تريده أن يكون للوafd دور في الوزارة ، أو في وفد المفاوضات .

* * *

رأى « كيلر » أن يحاول أولاً مع وزير خارجيته .. لصلاحية « النحاس » .

١ - كتب إلى « بيفن » - يوم ٢٨ يناير في البرقية رقم ١١٧ - يطلب الرأفة والتحفيف ،

وألا يذكر «النحاس باشا» بالاسم وأن يكتفى بأن يقول للملك ، إن بريطانيا لن تتدخل ضد الملك ، لصالح الأشخاص ..

قال النحاس «كيلر» .. «ليفين» بعد المقدمة ..

٢ - فيما يتعلق بالتشكيك الوارد في برقيتكم لاستخدامه مع «الملك فاروق» اتفق معكم .
باستثناء شيء واحد ، وهو أنه لن يكون من الحكمة ذكر اسم «النحاس باشا» بالتحديد .
إن «الملك فاروق» سيعتبر هذه الإشارة «للنحاس باشا» . بمنابع إطلاق يده ليفعل ما يشاء
مع «النحاس» .

ومن المحتمل أن تكون نتيجة ذلك أن يتشدد الملك أكثر ، ضد أية محاولة لترتيب أي مشاركة
وفدية ، في الحكومة من أجل مفاوضات المعاهدة .

ومثل هذه المشاركة لن تكون عملية دون بعض المساومة مع «النحاس باشا» ، على أساس
تنحية عن رئاسة الوزارة ، وقبول رئاسة مجلس التواب ، أو شيء من هذا القبيل .
وبالإضافة إلى ذلك فمن الأفضل أن تزورى قليلاً فيما تقوله عن «النحاس باشا» . لأنه .
سواء عاد إلى الحكم أم لا ، سيظل دائمًا ، نظرًا لرؤاسته للوقف ، قوة يمكن الرجوع إليها .
وسيعرف «النحاس» بياننا بالتأكيد . وسيعتبر أننا تخلينا عن الرجل ، الذي وقف معنا في أيام
١٩٤٢ العصبية .

ومن الممكن تلقي أية مخاطر ، بأن توضع المبدأ العام «للملك فاروق» ، دون ذكر أسماء :
وهذا ما سأحاول أن أفعله . وإن على ثقة من أنكم سوف تقررون هذا الاحتياط .

٣ - اللحظة الحالية قد لا تكون مواتية بوجه خاص ، نظرًا للأزمة الوزارية ، ولكن آخر
الأنباء التي وردت في الليلة الماضية ، تفيد أن هذه الأزمة ستحل نفسها في الوقت الذي سأتمكن
فيه من مقابلة «الملك فاروق» ، وهو ما يجعل الأمر أكثر سهولة دون إثارة شكوك حول
التدخل في السياسة الداخلية .

٤ - إن لحظة البدء في محادثات تمهيدية مع رئيس الوزراء المصري يجب بالضرورة أن تنتظر
وصول تعليماتكم .

ومن المحتمل أيضًا أن تنتظر نتيجة محادثتي مع «الملك فاروق» ، التي سأحاول أن تم يوم
الثلاثاء ٢٩ يناير .

٥ - سأقابل رئيس الوزراء يوم ٢٨ يناير بشأن مسألة سندات القناة التي تدفع بالذهب ، ولن
أشير لمسألة تعديل المعاهدة مالم يثرها بنفسه .

وفي هذه الحالة سيكون موقفاً متفقاً مع رسالتكم للسفير المصري في ٢٦ يناير».

٠ ٠ ٠

تعمد كيلر أن يؤخر إرسال البرقية يومين ..

بعث بها يوم الاثنين ٢٨ يناير .. وكان قد حدد اليوم التالي - ٢٩ يناير - موعداً لاجتئاعه «بالمملكة فاروق».

وبالفعل قدم «السير روبرت هاو» ، الوكيل المساعد للمخارجية البريطانية ، المذكورة التالية إلى «بيفن» يوم ٤ فبراير :

«مذكرة

من «السير روبرت هاو»

الوكيل المساعد للمخارجية

إلى «أرتست بيفن»

في ٤ فبراير ١٩٤٦.

عندما أصدرنا توجيهاتنا «للورد كيلر» ، بأن يثير مع الملك ، القضية الخاصة بإمكانية إعادة تشكيل الحكومة الحالية . أبلغناه أنه يجب على الملك أن يتناول مشكلة «النحاس باشا» الشخصية . وأقصى ما يمكن أن نتعهد به هو ألا تقف في وجه صاحب الجلالة «بأى شكل من أشكال التدخل لصالح «النحاس».

والمسألة تكمن في أن «النحاس» يتوقع أن يرأس أية حكومة جديدة .. والملك لن يتحمل على الإطلاق وجوده مرة أخرى كرئيس للوزراء . هي مسألة ترجع إلى التعارض السياسي والكراءية الشخصية بينها .

وقد استنكر «الورد كيلر» أن يذكر «النحاس» بالاسم على أساس :

- ١ - القيام بذلك سيشجع الملك على أن يكون شديداً مع «النحاس» بشكل غير ملائم .
- ٢ -سيعتقد «النحاس» والشعب بأننا «تخل عن الرجل الذي وقف إلى جانبنا» بفرض أن الأمر سيتسرب إلى الناس .

ونحن لا نتعرض على اقتراح «الورد كيلر» إلا أن الأسباب التي عرضها لم ترق لنا والأكثر من ذلك أن الجميع في مصر - سواء عن صواب أم خطأ - يعتبرون أن اللورد كيلر ، بطل لصالح «النحاس» وضد الملك

ويعنى هذا فإن مشروع البرقية الحالى ، يستهدف وضع النقاط على الحروف في حالة ما إذا كان هناك أى لبس .

ووافق « بيفن » على البرقية التي اقترحها « السير روبرت هاو » وهى :

« برقية رقم ٢٠٨

من « أرنس بيفن »

إلى « اللورد كيلرن »

بتاريخ ٨ فبراير ١٩٤١

إن ذلك بالطبع حرية التصرف ، في تفسير هذه التعليمات ، على صورة المقتضيات المحلية . ولكنني أرغب أن يكونرأي واضحًا ، وهو أننا دفعنا الدين الذي علينا « للنحاس باشا » بمحنة تأييدها عندما ، كان يرأس الوزارة حتى آخر عام ١٩٤٤ . ونعن على استعداد لأن تكون « للملك فاروق » اليد العليا ، طالما أن الأمر يتعلق بال موقف الداخلى . وكما تعلم ، فقد أعلنت سرًا علينا ، أن حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا ، لن تتدخل في الشؤون الداخلية لمصر .

ولتكن البرقية ، لم تصل إلى السفير ، إلا بعد أن كان قد قابل « الملك فاروق » وأبلغه رسالة « بيفن » ، لا كما أرادها وزير خارجية بريطانيا .. ، بل كما أرادها « كيلرن » ! لقد ظل اللورد يسمى « النحاس » .. حتى اللحظة الأخيرة .

* * *

استقبل ملك مصر « اللورد كيلرن » يوم الثلاثاء ٢٩ يناير .. ، وبعث اللورد ببرقية سريعة قال فيها :

« في أثناء مقابلتي مع « الملك فاروق » اليوم أشار إلى الأزمة السياسية الأخيرة . سألني هل رأيت خطأ فيما قاله « بدوى باشا » في لندن ؟ أجبت « بانى لم أر شيئاً من ذلك .

استطرد جلالته قائلاً :

ـ إن الأمر « زوبعة في فنجان » ، بسبب العداوة الشخصية بين الرجلين .. « يقصد « مكرم ، بدوى » .

وقال جلالته ضاحكًا ، وهو يطرق الزجاج الذى يغطى المكتب ، الذى نجلس إليه ، إنه مندهش لأن الزجاج لم يتحطم .

قال جلاله :

ـ هذه ميزة الأشياء المصنوعة قبل الحرب ، فهي تحمل قدرًا من الدف العنيف أما الشجار نفسه فكان ... أشياء صبيانية » .

ثم كتب السفير تقريرًا طويلا يصف فيه اللقاء .

ـ «برقية رقم ١٣١

ـ من «اللورد كيلرن»

ـ إلى «أرنست بيفن»

ـ بتاريخ ٢٩ يناير ١٩٤٦

ـ ١ـ قابلت «الملك فاورق» بعد ظهر اليوم ، وتصرفت حرفياً وفقاً لنص الفقرة ٤ من

ـ برقتيكم رقم ١٣١ .

ـ ٢ـ نقل جلاله ذلك ، بصورة طيبة للغاية .

ـ وكان يبدو ميلاً لاعتبار ذلك مفيداً وبناءً .

ـ لم يظهر ميلاً للشكك أو للاعتراض على النص . وكان يعتقد أن لدى رئيس وزراه بالفعل ، أنكاريًا معينة حول إدخال الوفد في الحكومة . وكان يتفهم الحاجة لإدخالهم ، وكان مدركاً للأحداث ١٩٢٩ جيداً .

ـ ٣ـ غيرت من لغة الجملتين الأخيرتين لتصبحا كالتالي : « وعلى وجه المخصوص فإن جلاله يجب أن يعالج أية مسائل خاصة بالأفراد ، وفي ذلك ، ليس بمقدورنا مساعدته .

ـ وأقصى ما نستطيع فعله هو أن نتعهد بعدم عرقائه ، بأى نوع من أنواع التدخل » .

ـ أدرك جلاله على الفور هذا المغزى الضمني . برغم أن اسم «التحاس باشا» لم يذكر مرة واحدة .

ـ ٤ـ وفي سياق المناوشات العامة التالية . ذكرت أني لست في الوضع الذي يمكنني من بده المناوشات التهديدية ، وإن كنت أتوقع أن أفعل ذلك قريباً برغم أن ذلك قد يتاثر بما يقرر جلاله أن يفعله ، بشأن الرسالة التي نقلتها إليه لتوى .

ـ وللرهلة الأولى ، فإن أفضل أسلوب لتناول الأمر بصورة مبدئية السعي ، لإقرار بعض المبادئ العامة الحاكمة ، وعلى سبيل المثال :

(١) أن تهدف المعاهدة المعدلة ، لأن تقوى ، عن طريق التعاون المتبادل ، مساهمتنا المشتركة في نظام الأمن العالمي الجديد ، في ظل منظمة الأمم المتحدة .

(ب) أن يستمر سريران التحالف ، بالشكل القائم في المعاهدة الحالية .
وإذا أمكن الاتفاق على هذين المبدئين العريضين ، فسيكون ممكناً تطوير المشكلات التالية .
المتعلقة بالتفصيلات العسكرية ويلورتها .

هـ - أشار الملك بوجه خاص إلى هذه الروح من المساواة والمشاركة القائمة التي وردت بشكل ،
لأنزعاف به ، في مذكوريكم للسفير المصري بتاريخ ٢٦ يناير ، وفي كافة نصريخانكم منذ توقيع
منصبيكم .

وأعرب عن اعتقاده أن ذلك يشكل سبباً طيباً لإقامة العلاقات الإنجليزية - المصرية على
أساس سليم ودايم .

١ـ - وذكر أنه بعد - منذ وقت طويل - بياناً يقارنه الأساسية حول العلاقات مع بريطانيا
العظمى ، وهو بيان يقوم على ما ورثه عن والده ، ويمثل قناعته الشخصية أيضاً .
وربما تقترب اللحظة ، التي قد يتطلب مني فيها ، نقل هذا البيان إلى لندن . وسيكون ذلك
تعبيراً شخصياً وسريعاً عن معتقداته الأساسية .

رسيكون الأمر محاججاً له ، أقصى الخرج ، إذا أذيع .
أكيدت له أنني ، دوماً ، في خدمته ، وليس بمقدمة مطلقاً لأن تساوره الخاوف فيما يتعلق
بالسرية الكاملة .

انتهزت هذه البداية المواتية للإشارة إلى محادثتي مع « الملك ابن سعود » .
قال « فالروق » إن « سعود » أبلغه بها وهو - فالروق - يشعر بالامتنان للخط الذي اتخذه .
٧ـ - سأله إذا كان يقدرني أن أتوقع منه ردًا على الرسالة التي حملتها له اليوم . قال بأن من
ال الطبيعي أن يضطر إلى إمعان الرأي فيها . وهو يتفهم تطلعى لرد ما . وسيستشير « حسين » . ولكن
لن يستشير رئيس وزرائه ، أو رأى شخص آخر .

٨ـ - قبل انصراف الححت أن يظل موضوع حديثنا قاصراً علينا بصورة محكمة وبشكل خاص
متوافق عن طيب خاطر .

وأعربت عن أمل أن تستمر في الاعتقاد على مساعدته التي لا تقدر في حالة الصعوبات
المقرضة ، في الحالات المقبلة .
وعد بذلك .

وقال إن لديه آراء ، فيها يتعلق بالتعديل . ويجب الاشطب عزيتنا إذا رد الساسة والصحافة
المحلية ، مزاعهم بصوت عال للغاية .

سجلت ذلك بالشكر والإعجاب عن أمل في أن تسود هذه الآراء ، فيما يتعلق بالضجة الحالية حول ضرورة رحيل القوات البريطانية عن البلاد ، الأمر الذي سينتهي بنا جميعاً إلى المستنقع » .

* * *

بعد ٤٨ ساعة ، يلتقي « كيلرن » مرة أخرى « بفاروق » ليقدم إليه « اللورد هانكى » الوزير البريطاني السابق وعضو مجلس إدارة شركة قناة السويس .
انهز السفير الفرصة لسؤال الملك .

- هل وصلت إلى قرار في الرسالة التي أبلغتك إياها قبل يومين .
أجب الملك :

- ليس عندي جديد أحيرك به ، وأأمل أن يكون لدى شيء فريئاً .
وبلغ اللورد « كيلرن » قائلاً :

- ما هي الخطوة القادمة من جانب مصر !
قال « فاروق » :

- لم يستقر رأي على شيء ، ولا يوجد ما نفعه ، حتى تسمع من الحكومة البريطانية أو المصرية .

ولم يفهم « كيلرن » مضمون حديث الملك أو ما يقصده إلا بعد حين

* * *

العداء بين « فاروق وكيلرن » قد يم ..

وفي مذكرة اعترف « اللورد » بذلك .. وقال إنه حمل حاشية الملك رسائل كثيرة فيها إهانات متعددة للملك الشاب ..

وتدخل اللورد في شؤون الحكم في مصر أكثر من مرة ..
حاول إبقاء « النحاس باشا » رئيساً للوزراء عام ١٩٣٧ فرفض الملك .. وعزل « النحاس » .
وأصر اللورد عام ١٩٤٠ ، على إقالة « علي ماهر » من رئاسة الوزراء ، وقدم السفير إنذاراً
بذلك إلى الملك فأرغم « علي ماهر » على الاستقالة .

وحاصر « كيلرن » قصر عابدين بالدبابات في ٤ فبراير عام ١٩٤٢ . وعرفت مصر كلها أن
بريطانيا فرضت « النحاس » رئيساً للوزراء برغم اعتراض الملك .
وأنجس « فاروق » أنه أنهى .

كتب « كروسمان » الوزير البريطاني العالى أن « كيلرن » كان يجب عليه أن يضمم على تنازل

«فاروق» عن العرش في ٤ فبراير ١٩٤٢ ، مadam العداء بين الرجلين قد وصل إلى قتله . ولأن «كيلون» لم يعزل الملك ، فإن الكراهة استمرت بين الملك والسفير ، وكان مستحilla التغلب عليها من الطرفين .

وأراد «فاروق» تغيير «النحاس» أكثر من مرة في أثناء الحرب العالمية الثانية ، فجاءت التعليمات من لندن في أبريل ١٩٤٤ بناء على توصية السفير بأنه «لا تغيير» . ثنيق رئيس وزراء مصر في منصبه ، لا بناء على ضغط الشعب ، بل بناء على الضغط البريطاني ، وحاجة بريطانيا إلى تعاون الحكومة المصرية معها في أثناء الحرب .
وعندما سافر «كيلون» إلى جنوب أفريقيا في أجازة ، أسرع الملك بإقالة النحاس في أثناء غياب السفير .

وظل «كيلون» في مصر منذ عام ١٩٣٤ يحكم ويفرض إرادته .
وبعد انتهاء الحرب ، وسقوط حزب المحافظين في الانتخابات البريطانية واستقالة تشرشل رئيس الوزراء ، وخروج إيدن وزير الخارجية ، وجد ملك مصر أن الوقت قد حان ليتخلص من «كيلون» .

وبدأ الملك يظهر كراهيته للسفير .

التق «الملك فاروق» يوم ١٠ ديسمبر بالوزير الأمريكي المفوض «بتكتنى تاك» ...
... وفي برقية «تاك» رقم ٢٢٩٣ إلى وشنطن قال :
«كانت المراة شديدة لدى «الملك فاروق» فيها يتصل بالسفير البريطاني ..
إن السفير لم يأل جهداً في نشر الانطباع بأن علاقته بالملك تعتبر في أفضل أو قاتتها .. على حين
قال لي الملك إن «اللورد كيلون» عدوه .

وبدا على فاروق الاقتناع بأن السفير على استعداد ، لتخريب أية محاولات مصرية لتعديل المعاهدة مع بريطانيا ، أو تحقيق التطلعات الوطنية لمصر» .
وفي يوم ٢٩ يناير رأى «فاروق» أن الفرصة الذهبية هبطت عليه من السماء ، لاقلاع اللورد إلى الأبد من أرض مصر .

كان «أحمد حسين باشا» قد عرف بسر اللورد .. وبرقية لندن التي تطالب فيها بادخال الوفد .. الوزارة أو وفد المفاوضات .
وربما يكون «حسين» ، قد عرف ذلك من «عبد الفتاح عسر» الذي ، قابل «بيفن» يوم

٢٦ يناير ، وفهم من خلال الاجتماع نواباً بريطانياً .. ، و « عمرو » يعرف أن « بيفن » لا يريد التدخل في شؤون مصر.

وربما يكون « اللورد كيلرن » . قد أشاع أنه سيكرر حادث ٤ فبراير ولكن بلا دبابات . ولأنها ما يكون المصدر ، فإن « حسين باشا » ، أبلغ « الملك فاروق » بالأمر ، واتفق معه على اللحظة ..

« وحسين باشا » كان لديه خنجر من الذهب أهداه إليه « الملك عبد العزيز آل سعود » ، وأصدقائه « حسين » رأوه مراراً وهو يمسك بهذا الخنجر ويطعن به شيئاً أمامه .. وكانوا يسألونه :

ـ من هذه الطعنة ! .

فكان جوابه الوحيد :

ـ « لورد كيلرن » .. أريد قبل أن أموت أن أطعنه لأنتقم له فبراير .. أريد أن أراه يغادر مصر مخلولاً .. ومهاناً ..
وتحققت أمنية « حسين » ..

الفح الملكي

قال «حسن باشا يوسف» وكيل الديوان الملكي المصري، إن «الملك فاروق» تصرف بذكاء، «مع اللورد كيلر» في هذا اللقاء.

وبعبارة أخرى خدعاً الملك «كيلر» ..

تحدث الملك بود مع السفير البريطاني كما قالت البرقية ..

وصح «فاروق» السفير على أن ينادي في مطالبته وأن يسأله النصوح إلى حد أن السفير أبدى عدم ارتياحه لبقاء «القراشي»، وأنه - أي السفير - لا يستطيع التعاون مع رئيس وزراء مصر.

وقال «فاروق» :

- أريد أن أدرس الاقتراح البريطاني بهدوء.

وأضاف :

- أرجو أن تقدم لي مذكرة مكتوبة.

ووقع «كيلر» في الفخ، وقدم مذكرة مكتوبة - كما رغب «فاروق» - بعد ٤٨ ساعة من اللقاء، أي يوم ٣١ يناير.

بل إن «كيلر» كتب في نفس اليوم - ٣١ يناير - يفضح نفسه في البرقية رقم ١٤٥.

قال :

«هل أنا على صواب في لا أقوم بأى اتصال بالمصريين، بل أنتظر اتصالاتهم لفتح المناقشة.

كما أشرت على «الملك فاروق» .

وهل أدخل في مفاوضات مع الحكومة المصرية بتشكيلها الحالى .

• • •

بعد أن تسلم « فاروق » المذكورة أبقى إلى « عمرو باشا » في لندن يمتنع على تدخل السفير البريطاني في شؤون مصر الداخلية .

« عمرو باشا » على اتصال لاسلكي مباشر بالقصر الملكي المصري .

« عمرو باشا » أيضاً معروف بصلاته الوثيقة بالمسئولين البريطانيين .. جميعاً .

طلب « عمرو باشا » موعداً عاجلاً جدأً مع « يقين » ، فوافق الوزير البريطاني ، وتم اللقاء في نفس اليوم الأربعاء ٣١ يناير ..

قال « عمرو باشا » لست « أرنسست يقين » :

ـ صاحب الجلالة ملك مصر يعتبر رسالتكم إليه ، بخصوص تعديل الوزارة . وتشكيل حكومة أوسع عملاً غير ودي .. وأن جلالته شديد الاضطراب لما جرى .
وما حدث بين السفير والوزير شرحه هذه البرقية :

ـ برقية رقم ١٦٨

من « أرنسست يقين » وزير الخارجية
إلى اللورد « كيلر »

بتاريخ ٣١ يناير ١٩٤٦

١ - عندما التقى اليوم بالسفير المصري . أبلغني أنك طلبت مقابلة فورية مع الملك ، وأخبرته أنك مكلف بنقل رسالة مني .

وكانت رسالتي تتضمن إبلاغ الملك أنه في الوقت الذي لا أرغب فيه في التدخل في شؤون مصر الداخلية ، إلا أنك توجه إليه في نفس الوقت تحذيراً رسميًّا (وأكرر : رسميًّا) . يفيد أنك لا أرى أن إدارة مصر ، عهد بها لأفضل المصريين .

وبصرف النظر عن أي شيء آخر . فإن الموقف الخاص بالأمن العام أظهر تدهوراً ملحوظاً في ظل الإدارة الحالية ، كما يتغير على الملك أن يدرس مفاوضات « محمد محمود » في عام ١٩٢٩ .
البعـ .

٢ - وقال السفير المصري إنه تلقى برقية من الملك تفيد بأن جلالته تلقى رسالة غير ودية للغاية .
وأن جلالته انزعج للغاية من تلقيه تحذيراً رسمياً .

٣ - لقد قلت في برقتي رقم ١٣١ « شكلاً ما من أشكال التحذير » يعني بعض النصح .

وما كنت أعتبر نفله ، إنه يجب أن تكون هناك مناقشة ودية ، يكون واضحاً خلافاً إلى لا أتدخل في الشؤون المصرية ، وإن كنت أرى صعوبات مقبلة ، أوضحها للملك ، وأأمل أن يساعدني في التغلب عليها .

٤ - الرجاء إبلاغي على الفور بما إذا كان هناك أي أساس لهذا التقرير الذي تلقاه السفير هنا من الملك .

إن برقتكم رقم ١٣١ توضح أن المنشقة كانت ودية للغاية . وإنني لقي حيرة من أمرى لهم ما حدث .

إن السفير المصرى هنا متزوج . ويرى أن هناك خطأً عظيماً يحدق بالعلاقات الودية التي نشأت بيننا .

أريد أن أتأكد من الأرض التي أقف عليها .

وسيسرنني أن أطلق تقريراً كاملاً عن الأسلوب والمبرر الذى دارت فيه المقابلة .

وإذا حدث في أثناء نقل الرسالة أن قمت بتوجيه تحذير رسمي . وهى خطوة دبلوماسية خطيرة بطبيعة الحال ، فسيكون من دواعى سرورى إذا اتخدتم خطوات لتوضحوا بجلالته أن مثل هذه النية لم تطرأ على ذهنى للحظة واحدة . وهناك إمكانية بالطبع حدوث خطأ في النقل .

أسرع «كيلون» بالرد مدافعاً عن نفسه :

برقية رقم ١٥١

بتاريخ أول فبراير

شخصى إلى وزير الخارجية

١ - إننى - بالمثل - في حيرة من أمرى .

ولا أذكر أنى أجريت من قبل مقابلة ، تسم بالود بشكل واضح ، مع صاحب الجلالة «الملك فاروق» كتلك المقابلة . وكما سجلت في برقتي رقم ١٣١ بتاريخ ٢٩ يناير التي ذكرت فيها أنى تصرفت «حرفيًا» وفقاً لتعليماتكم .

٢ - وبطبيعة الأمر فإن الانطباعات قد تكون مضللة . غير أنى ما زلت أحمل نفس الانطباع .

وقد أشار الملك إلى موقفكم الودي حيال مصر .

وتجدر بالذكر أنى عندما قدمت «اللورد هانكى» إلى جلالته أنس فإنه كان ودياً للغاية .

وربما كانت مبالغة منه ، وإن صحت فهو مثل مجيد بشكل غير عادى .

٣ - وفيما يتعلّق بطلب عقد اجتماع عاجل مع الملك ، فقد ذكرت في برقىتي أنّ أُسعي جاهدًا إلى مقابلة « الملك فاروق » يوم الثلاثاء ٢٩ يناير ، أي بعد ثلاثة أيام من تلقى تعليماتكم .

٤ - وإنّ على ثقة بأنّ هناك سوء تفاهم كامل .

ولم يجدر مطلقاً أنّ أمحى إلى تحذير رسمي مع روح الرسالة ، التي أبلغتها بخلافه .
وهناك احتمال بأنّ الفقرة التي تقول « إنّي لا أعتقد أنّ بأمكاننا تفادي شكلًا من أشكال التحذير « شوهدت ، وحرفت » .

٥ - وأذكر أنّ اللقاء كان ودياً للغاية . وأفترض أنّ بعض مستشاريه أقنعواه بالنظر إلى المسألة من زاوية مختلفة . ومازالت على افتتاح كامل بأنه أخذ الرسالة على أنها لفترة ودية من جانبنا في صورة الروح التي قصدتموها .

٦ - هل تودون منّي إيضاح المسألة مع « حسنين » .. ، إنّي لا أجد ذلك فلا أثق فيه على الإطلاق وسوء التفاهم الدائم لا يقلّ من عدم اللقاء » .

• • •

... نجحت اللعبة الملكية .. على أية حال .

إن « بيفن » لم يقل لسفيرة ، قدم إنذاراً رسميّاً « لفاروق » ، لإقالة النراشى ، وتشكيل حكومة تضم الوفد .

ولم يقل « بيفن » لسفيرة ، إن بريطانيا تطالب بطرد « النراشى » لأنّه لم يحفظ الأمان .
إن حكومة العمال أوصت السفير - فقط - أن يذكر للملك أنه من الأفضل « للنراشى » أن يحفظ الأمان ... ، ومن الأفضل للملك أن يشجع الوفد كحزب - لا « التحاس باشا »
بالذات - على الانضمام للوزارة والانضمام لوفد المفاوضات .

وخف « بيفن » أن يستغل الملك إنذار السفير ، خطأً أو عمداً . فيثير « فاروق » حملة ضد بريطانيا ، تستفيد منها القوتان الكبيرتان ، أمريكا أو روسيا ، أو يستغل الوطنيون ذلك فتزداد مشاعر الشعب التهاباً ضد الإنجليز .

ومن ناحية أخرى هذا الإنذار قد يستفيد منه الوفد ، فيتطوّر ضد الإنجليز ، أو قد يقضي على الوفد باعتباره تكراراً لحادث ٤ فبراير .. ، وإذا قضى على الوفد - شعبياً - فإن أحداً لن يستطيع تأييد المعاهدة ..

وأخيراً فإن « النراشى » سيخرج من الوزارة بطلما ، يستعيد الناس بطولته في أحداث اختيار السردار « السير لستاك » عام ٢٤ (ومحاكمة النراشى) عام ١٩٢٥ ..

.. باختصار وجد « بيفن » أن السفير أخطأ ، وأن الملك عرف كيف يستغل الموقف . وبالإضافة إلى هذا كله فإن « كيلرن » أمضى فترة طويلة في مصر . ومن الأفضل أن يذهب حتى تتحقق معه ذكريات غطسته .

ولا يمكن أن يعرف أبداً لماذا اختار « بيفن » يوم ٤ فبراير عام ١٩٤٦ لنقل السفير البريطاني .. هل جاء ذلك مصادفة .. ، أم أنه خطة مرسومة لترضية الملك والاعتذار عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، عندما حاصر « كيلرن » قصر « الملك فاروق » بالدبابات . لإرغامه على تعيين « النحاس » رئيساً للوزراء ..

* * *

كتب كيلرن في مذكراته يوم ٤ فبراير ١٩٤٦ ...
« أصابني صاعقة حقيقة هنا الصباح ..

وصلتني برقية شخصية من « أرنست بيفن » تفيد أن مجلس الوزراء قرر تعيين مندوباً خاصاً : في جنوب شرق آسيا ، لأضطلع بهممة التحوال في الملايو ، وسيلان ، والهند الصينية ، وهو نج كونج ، وأخيراً لتنسيق الأمور الاقتصادية ، وبذل المشورة للحكام وغيرها من المسائل . وقال أيضاً إنه يأمل أن يلقى هذا التعيين قبولاً مني . وأن أثبت فائقني فيه . مثلاً أثبتها في أثناء وجودي في القاهرة .

وقال « بيفن » إنه عاجلاً أو آجلاً « ستائى اللحظة التي أخادر فيها القاهرة .. ، ومن المناسب أن أفعل ذلك قبل بدء محادثات المعاهدة ، خيراً من أن يتم ذلك في منتصف المفاوضات .

عظيم في الواقع أن ألتقي مثل هذه الرسالة الآن ...
للرهلة الأولى يعتقد المرء أنها تهنة .

ولكن عند تأملها يتضح أنها مكيدة تلقائية صغيرة دبرها القصر دون شك ، عن طريق « عمرو » الصغير لإبعادى عن مصر قبل بدء المفاوضات .
ويحس داخل شخصى . فإن ذلك سيكون راحة عظيمة لأن أشهر بأمانة تامة . أن أحمال نجاح مفاوضات المعاهدة ، هو واحد في الألف ، وأن قرار لندن ، باستخدام سفيرها هنا كمهدي للصواعق في حالة الفشل لا يبدو جذاباً لي .

وفي نفس الوقت إن تلقيك « شلوتاً » إلى أعلى ، له جانب الشخصى المزير ، وبغض النظر عن كل ذلك ، فلا يمكننى بأمانة أن أرى شيئاً - أكثر من هذا - تدميراً لميتنا في مصر .

إن الرأى العام سينظر - عن حق - إلى ذلك ، باعتباره انتصاراً كاملاً للقصر ، على السفارة أو أعتقد شخصياً أن ذلك سيكون بمثابة كارثة .
ولما كان من الواضح أن الأمر سرى فقد استدعيت « جيم بوكر » ، الوزير المفوض بالسفارة البريطانية « وولتر سمارت » - المستشار الشرقي - وبخت معها الأمر من كل جوانبه .
وهكذا كتبت برقتيين للرد أعرت في أولاهما ، عن امتناف البالغ ، واستعدادي لأن أخدم على الدوام .

ولكني طرحت بعض النقاط الأساسية المقيدة التي تحتاج إلى إيضاح مثل مجال الوظيفة الجديدة .. وتحديد واضح للصلاحيات إزاء الحكومة المحلية هناك ، وما إلى ذلك ، بالإضافة إلى بعض الأمور البسيطة ، مثل المنافسات ، وكفاءة الإدارة ، والسكن المناسب .

وفي رسالي الثانية ، ذكرت أنني أشعر بالتزامى بتسجيل التأثير السياسي ، الذي سيتركه هنا النقل على المصريين » .

ولا يطلق « كيلن » ردًا على رسالته أو الملاسه باللغاء قرار النقل .
بعد أسبوع يستدعي « كيلن » صديقه « والتر مونكتون » ، الذي وصل من لندن ، ليستشيره في الأمر ...

وفي مذكرةاته كتب اللورد يقول :
« لدى عودي إلى السفارة صحبت » والتر مونكتون « النس إلى مكتبي ، وأطلعته على البرقيات الخاصة بوظيفي الجديدة .
سألته عن رأيه :

- قال إن التوقيت اختيار بشكل بالغ السوء . مثل هذا النقل عشية محادثات المعاهدة .
ويعتقد أن وزارة الخارجية البريطانية أصابها الجنون حقاً .
وفي نفس الوقت فإنه لم ينظر إلى الوظيفة الجديدة باعتبارها ترتيباً في الدرجة ، بل على العكس يعتقد أنها شيء كبير حقاً .

ورجافي ألا أفكر بحال من الأحوال في ترك العمل .. أو الاستقالة .
وفي حديثه معى ، بشكل بالغ السرية ، وهو بطبيعة الحال من المقربين جداً لمليكتنا ، قال :
إنه سيخبرني بشيء لا أعرفه . وهو أنني كنت مرشحاً لمنصب نائب الملك في الهند ، ويعتقد أن عدم حدوث ذلك بمثابة مأساة .

وبالرغم من أن «الجنرال ويغل» - الذي اختير للمتصب - كان ممتازاً بما فيه الكفاية . فإنه لا يملك لسوء الحظ التقدير السياسي الصحيح .

وقال إن الأمور الآن في الهند ، في حالة مؤسفة للغاية .. ، فقد انخل كل شيء من عقاله . والله وحده يعلم متى يتنهى ذلك .

وعلى أية حال ، فقد فاتني هذا المنصب ..
وكان «مونكتون» يعتقد أيضاً ، مثل كثيرون الآخرين ، أنهم قد يرسلونني إلى واشنطن ، وهو تعيين ممتاز في تقديريه » .

لا يستمع «بيفن» إلى توصيات اللورد ، بل يفاجئه ببرقية أخرى يقول فيها : «إن الموقف في الشرق الأقصى أصبح يدعو للتأسف . وأن مجلس الوزراء البريطاني درس الموقف ووجد أنه يجب عدم إضاعة دقيقة واحدة» .

وكانت هذه البرقية تحمل تفسيراً واحداً .. وهو أن مجلس الوزراء رفض إلغاء نقل «كيلن» .. وأنه مصر على إبعاده عن القاهرة .

وتعزز «جاكلين» زوجة «كيلن» بالأمر فتزداد اضطراباً لأن زوجها مضططر للسفر بسرعة إلى سنغافورة على أن تتحقق به فيما بعد .

ويخدع «كيلن» نفسه قائلاً - في مذكراته - «إن هذه البرقية جعلتني أحس بشعور أفضل .. لأن هناك موقفاً وطنياً عاجلاً يحتاج إلى ... وأن هناك مهمة وعملأ حيوياً عهد به إلى ، ويجب أن أحسن القيام به» .

ومع ذلك يطير إلى لندن يدعوى الشاور كما يقول ... ، ولإجراء محاولةأخيرة لإلغاء قرار النقل كأى موظف صغير .

ويحسن «بيفن» استقباله - يوم ١٨ فبراير - ولكنه يقول له :

- هذه أكبر وظيفة في حياتك يا طفل العزيز !

ومن هذه الكلمات يعرف «كيلن» أنه لا قائدة ولا جدوى من الإلحاح .

ويستقبله ملك بريطانيا في القصر الملكي . ويدعوه للغداء مع الملكة وحدهما .. ولكن ملك بريطانيا وملكتها لا يتدخلان في شؤون الحكم .. ، ولا يوصيان «بيفن» باللورد .. خيراً !!

* * *

بعد أسبوع من اغتيال «أمين عثمان» .. ، ماتت السيدة «صفية زغلول» التي عاشت ١٩ سنة عقب وفاة قريتها «سعد زغلول» .

توجهت في الصباح الباكر - كعادتها كل يوم - لزيارة ضريح زوجها .
وتناولت طعام الغداء مع أفراد أسرتها ، التي تدعوهن ظهر كل سبت ، وأمضت بعض الوقت
في مكتب سعد .

وفي الرابعة بعد الظهر شعرت بألم . ففحصها قريبا « الدكتور أحمد شفيق باشا » . ثم
صعدت إلى حجرتها لتستريح .

خافت الأسرة فدعت « الدكتور سليمان عزمي باشا » . ليجد هبوطاً في القلب فأعطاهما
حقنة ، ولكنها أسلمت الروح في الخامسة مساء .

رأى الأسرة إلا تتعى « أم المصريين » . وهذا هو الاسم الذي أطلقه عليها المصريون بعد وفاة
زوجها .. لأن « صفيحة زغلول » كانت تعد نفسها أم مصر كلها ..

٠ ٠ ٠

قصد « القراشي » إلى (قصر الزعفران) ليحضر مأدبة العشاء التي أقامها « الملك عبد العزيز
آل سعود » وليطلب إعفاءه من الاشتراك في المأدبة ليشرف على تدابير الجنازة التي شيعت في وقار
لتدفن بجوار سعد .

وتحتفل « مصطفى النحاس » عن موكب الجنازة وأوفد نائباً عنه « عثمان حرم باشا » ، عضو
الوقف ووزير الأشغال السابق .

وقيل إن « صفيحة زغلول » اختلفت مع « النحاس » عندما اختلف مع « مكرم عبيد » عام
١٩٤٢ .

وقيل إن « النحاس » ذهب يزورها بعد تعيينه رئيساً للوزارة يوم ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ،
فرضت استقباله ..

والغريب في الأمر أن « صفيحة زغلول » هي التي أيدت ترشيح « النحاس » لرئاسة الوقف عام
١٩٢٧ بعد وفاة « سعد » .

ووقفت أرملة « سعد » ضد ابن شقيقته ، « فتح الله برؤوفات » الذي كان يطمع في رئاسة
الوقف .

وكان تأييد كل من « صفيحة زغلول » وأحمد ماهر ، ومحمود فهمي القراشي ، للنحاس « من
العوامل الأساسية والرئيسية لفوزه برئاسة الوقف في سبتمبر ١٩٢٧ » .

٠ ٠ ٠

كانت أم المصريين في السبعين من عمرها وهي صغيرة بناة « مصطفى باشا فهمي » الذي

تولى رئاسة الوزارة المصرية ٥ مرات ، ويقى رئيساً للوزارة ١٣ سنة دفعة واحدة .
تكلم العربية والتركية والفرنسية .

تزوجها سعد - في أثناء اشتغاله بالمحاماة - وهو في السادسة والثلاثين . وهي في الثامنة عشر .
ولم يرزقا بأولاد .

روى العقاد دور « صفية زغلول » في ثورة ١٩١٩ فقال « إن سعدًا جاءها في فجر الثورة
يقول :

- يا « صفية » إني وضعت رأسي على يدي هذه .
وبسط لها يمناه
كان جوابها :
- وضع رأسي هنا على يسارك .

• • •

بعد نفي « سعد » إلى مالطة ، فكرت في السفر واشتربت تذكرة الباخرة ، ثم فضلت أن تبقى
لتزور جرجى الثورة .

وجعلت من بيته مسكنًا للجهاد الوطنى تصدر البيانات الثورية والنداءات الوطنية ، وترأس
اجتماعات أنصار الوفد ، وتجتمع بقادة الحركة وتثير حماسهم .
وقيل أيامها . إنها لو كانت رجلا .. لقادت الأمة .

وكتب إلى المعتمد البريطاني « السير رونالد وينجت » طلب أن تمر رسائلها إلى « سعد »
بلا رقابة ، مقابل وعد منها بأن الرسائل لن تحتوى على شيء من نوع .
وقيل أن يحيى « وينجت » على رسالتها . فكرت في أن هذا العمل ، لا يناسب الرجل الذى
أحبته ، ولا يناسب مصر أيضًا ، فأمسكت التليفون لتكلم المعتمد البريطاني ، فقيل لها إن
« وينجت » لم بعد من لعنة الجولف .

سألت عن الضابط التوباتشى فقال لها :

- أية خدمة أستطيع تقديمها لك « يا مدام زغلول باشا » .
قالت بالفرنسية :

- قل لسيدك إن أسحب طلبى الذى قدمته هذا الصباح .
لا أريد جميلا منه أو من بلاده .

وأريده أن يعرف أنى عازمة على تخصيص كل فكري ، وكل قوى ، لخارية بلاده حتى تخضع وتحل مصر استقلالها .
وإذا كان قرارى ، يعتبر حكما بالإعدام على ، وعلى زوجي ، فإننا سنبثت فى سبيل مصر ..
وستحيى مصر لتنعم لنا .

وبعد نفي « سعد » إلى (سيشل) عام ١٩٢٢ ، طلبت إلى المندوب السامي البريطانى « اللورد النبى » ، أن يسمح لها بالسفر مع زوجها إلى هذه الجزيرة النائية فرفض .
.. أخذت تفود الحركة الوطنية ، فرأىت الحكومة البريطانية أن توافق على سفرها لتقصيها عن مصر ، وأبلغتها ذلك ولكنها أبى قائلة :
- ذهب « سعد » وسأبق مكانه .

وظلت في القاهرة حتى نقل « سعد » إلى جبل طارق ، بعد أن اشتد عليه المرض فسافرت لتكون إلى جواره .

وبعد وفاة « سعد » عام ١٩٢٧ ، فتحت بيته للوفد يجتمع فيه ، كما كان في عهد « سعد » حتى تم توقيع المعاهدة المصرية الإنجليزية ، فقررت اعتزال السياسة . ولكنها بقيت الأم الوطنية للزعماء جميعا ، تصلح ذات بينهم ، وترشدتهم ، وتشير جامسهم . ووطنيتهم ، وتشد من أزرهم .
وبقيت ملهمة للحركة الوطنية ١٩ عاما ، تدعى للحركة الوطنية وللوحدة قائلة : إن مصر في حاجة إلى الوحدة الوطنية » .

وطلبت إلى أجنحة الوفد . التقارب والاتحاد . ولكن حزب زوجها خيب أملاها ، ولذلك أخذت تتصفح الجميع .
وقالت :

- إن مصر تتضرر قاتلاً وطنياً يضع مصالح مصر أولاً .
ورأى « الملك فؤاد » أن يجعل مقامها في البروتوكول بعد الأميرات .
وهما يحدون بالذكر ، أن مجلس الوزراء أصدر عقب وفاة « سعد » قراراً بشراء بيت الأمة ليكون متحفاً وطنياً بعد وفاتها ، وقد تبرعت وقذائف باثاث البيت للحكومة .
وكان « سعد » قد أوصى بأن تدفن أم المصريين معه في ضريح واحد : فلما نقل جثمانه إلى الضريح الحالى قرر مجلس الوزراء أن تدفن أم المصريين إلى جوار زوجها .
زارها - قبل وفاتها بشهر - صحنى بريطانى وسألها وهو يشير إلى ضريح « سعد » الذى يجاور دارها عما تشعر به عندما تطل كل صباح على ضريح زوجها .

فقالت أم المصريين :

- « أعرف أنى سأدفع هنالك .. وكلما استيقظت فى الصباح ونظرت إلى الضريح من النافذة .. أحس فى نفسي بأن المسافة التى ساقطتها بين الحياة والموت ، قصيرة جدًا » .

• • •

وبموت « صفيحة زغلول » تزداد خلافات الوفد .

ولكن « النحاس » ، يقررضم أعضاء جدد إلىلجنة الوفد الت椿بية .. « فؤاد سراج الدين » .
ومحمد سليمان غمام ، وأحمد حمزه ، ومصطفى نصرت » .
ويكون هؤلاء الأعضاء علامه على اتجاه جديد في حزب الوفد لضم أصحاب الأملاكه إليه .
وكان من الطبيعي أن يزداد جناح الشباب المثقف في الوفد .. تعريفاً إلى البصار ..

أصدر الوفد بياناً عنيفاً قال فيه : « إن المذكرة المصرية ، تساوى الاعتراف بأن المعاهدة الجديدة ستفرض قيوداً عسكرية دائمة ، بالرغم من الضمانات التي حصلت عليها مصر من اشتراكها في منظمة الأمم المتحدة » .

وقيل إن الإشارة إلى السودان في رد بريطانيا ، توجى بأن الحكومة المصرية الحالية ، قدمت تنازلات كبيرة للإمبريالية البريطانية في السودان .

ووجه الإخوان المسلمين بياناً إلى أبناء النيل قالوا فيه : « إن المذكرة المصرية كتبت بأسلوب الشحاذين .. ، والرد البريطاني تجاهل مطالب المصريين الاجتماعية .. ، ويعجب إلغاء المعاهدة » .
وتبرأ « علي ماهر » من هذه المذكرة وقال : « إن الهيئة السياسية ليست مسؤولة عنها » .

وقال « صبرى أبو علم » سكرتير عام الوفد : « إن بريطانيا وافقت على التفاوض مع « التقراشي » ، مقابل تصريح « عبد الحميد بدوى » بعدم الاتجاه إلى مجلس الأمن » .
وقال : إن بريطانيا عجلت بالتفاوض حتى لا تثير روسيا القضية المصرية في مجلس الأمن .
وقال إن التحالف مع بريطانيا جريءة .

لوجه إليه « إبراهيم عبد الهادى » وزير الصحة - الذى أصبح رئيساً للوزارة بعد ذلك -
سؤالاً :

- « هل أنت ضد التحالف المصرى البريطانى » ! .
رفض « صبرى أبو علم » الإجابة ! فإنه كان يخشى التزام الوفد بهذه السياسية ، مما يقطع أمل الإنجليز في أن الوفد سيعقد معاهدة .

وكتب « إسماعيل صدق » في « الأهرام » : « إن المذكرة البريطانية لم تهتم بالتغييرات الناشئة عن الحرب ». .

وقال : « إن عصر السيطرة والتقويد قد انتهى ». .

وقال : « إن المفاوضات يجب أن تكون في لندن ، لا في القاهرة ، وإن ما فعلته بريطانيا يعتبر محاولة للتسويف ». .

وخطب « مكرم عبيد » في حفل أقيم لتكريمه في فندق « شيراد » ، فقال : « إنه يؤيد الصداقة مع بريطانيا لا المشاركة ». .

وهاجم المشاركة المصرية (الكوميدية) في حكم السودان .

وهاجم السفير البريطاني ووضعه الدائم كعميد للسلوك السياسي الأجنبي في مصر . وقال إن ذلك احتكار لا امتياز .

وقال « مكرم عبيد » : « إن مصر لا تقبل مبدأ المشاركة ، ولكنها توافق على التحالف ». .
وخلال « التقراشي » أن يرد على كل الاتهامات الموجهة إليه .

خطب في الحزب السعدى فقال : « تقطع يدي ولا أسمح ببقاء ، ولو قوة بريطانية صغيرة ، في مصر ، وأستمك بسياسة الصمت ، لأن من المخافة أن تنعكس في دعاية عنيفة ، في مسألة لها هذه الأهمية العظمى ». .

وأكمل من جديد شعاره ، وهو « الصمت الوقور والصبر ». .

• • •

أعلن « التقراشي » أنه اتخذ خطوة لتحقيق الأمنى الوطنية .

ردت صحف الوفد ، فسمتها ساخرة . بأنه « أبوخطوة » و« رجل الوقت المناسب » ...

وجعلت من « سياسة الصمت » التي انتزمه « المحروكة » .
واستمرت صحف المعارضة تتندد « التقراشي » ، لأنه لم يطالب إلا بتعديل المعاهدة ، ولم
تحدد مواعيد لبدء المفاوضات أو نهايتها .

صحيفة مصرية واحدة . هي التي وافقت على الرد البريطاني وهي « الإنجيшиان جازيت » .
التي تصدر باللغة الإنجليزية .

كتبت تقول :

« لو أن بريطانيا بقوتها البحرية ، لم تطرد نابليون من مصر ، لما انتصر « محمد على باشا » ، ولما
قامت مصر الحديثة ». .

وصف «كيلرن» في تقاريره ، خيبة أمل مصر من الرد البريطاني ، وفشل لندن بمعاهدة عام ١٩٣٦ ، كأساس للمفاوضات والمشاركة بين مصر وبريطانيا في الدفاع .

قال :

«كان استقبال المذكرة البريطانية فاتحاً بصورة عامة» .

ووجهت الصحف المستقلة - برغم أنها أكثر تحفظاً من الصحف الوفدية - انتقادات شديدة . أعلنت «الأهرام» ، بصورة قاطعة أن على مصر المطالبة بتعديل نسخ التفاوض . ومن الأفضل للحكومة إجراء المفاوضات في الوقت الحاضر» .

وتبيّن صحيفة «مكرم عبيد» ، «الكتلة» خطها المتشدد المعاد . انتقدت الكتلة ردنا . ولكن «مكرم عبيد» . كان أكثر تحفظاً في البيان . اكتفى بالقول بأن «على المفاوضين المصريين دخول المفاوضات دون آية تبرير» .

وشن «الإخوان المسلمين» أيضاً هجوماً على المذكرة البريطانية بخط مشابه لخط الوفد . وجرت المظاهرات ضد مذكورة في المعاهد الدينية وفي مدرسة الأقباط بطنطا ، وفي الأزهر ،

ويتوقع البوليس ، حدوث مظاهرات - ينظمها الوفد - أساساً من طلبة الجامعة . عند عودتهم للدراسة عقب الأجازة .

- وذكرت التقارير أيضاً أنه يتم تنظيم إضراب احتجاجاً على القرار البريطاني بالسماح بال مجرة مؤقاً للفلسطينيين .

وقال مدير الأمن العام بأن البوليس تلق الأوامر بمنع بالقوة أية مظاهرات .

- وفي مجلس الشيوخ اتّقد «صبرى أبو علم» - سكرتير عام حزب الوفد - قبول الحكومة المصرية لرأى بريطانيا في مبدأ التحالف . وقال «صبرى أبو علم» إن ذلك غير ضروري . نظراً لميثاق الأمم المتحدة .

واقترح على المجلس ، أن يصدر قراراً بأن المذكرة المصرية والرد البريطاني - لا يصلحان كأساس للمحادثات أو المفاوضات .

- تتزايد المشاعر المتطرفة المعادية لبريطانيا ، حول موضوع هذه المعاهدة . دون أن تبذل الحكومة محاولة فعالة ، للسيطرة عليها في الرأي العام ، أو في الصحافة .
وتبدو الآمال حول نجاح «المفاوضات» ، في مثل هذا الجو ، ضئيلة» .

النراشى .. مقابل كيلون

بني « محمود فهمي النراشى » بين نارين ...
نار الإنجليز ...
ونار المعارضة

قالت « البلاغ » إن « النراشى » . طرف في المؤامرة مع الإنجليز .

وهاجم « صبرى أبو علی » - في مجلس الشيوخ - الهيئة السياسية قائلاً : إنها هيئة لا مثيل لها ، فرد « النراشى » معتبراً عن حيرته :
- إذا لم نأخذ بآراء السياسيين القدامى ، يقال إننا أهملناهم .. إنها هيئة استشارية والحكومة هي المسئولة .

ويكتب « أحمد حسنين » . زعيم حزب مصر الفتاة . في جريدة الجزب . تحت عنوان (فليسقط عدو الوطنية .. فليسقط عدو الحرية) :

« .. أجل فليسقط هذا « النراشى » عدو الحريات جميعاً . وعدو الوطنية في كافة أشكالها ومتظاهرها .. »

وقال الكاتب :

لكن لا ننسى . وينسى « النراشى » . وينسى الإنجليز . قاتل الأمة قومة رجل واحد تطلب إخراج الإنجليز . ولكن « النراشى » أراد أن يقف في وجه الأمة . وأن يقتل شعورها

وإحساسها . يدعوى أنه سيتولى عنها إرسال الخطابات إلى إنجلترا . وقد ظل هذا العاجز عاماً كاملاً يضلل الشعب ويطاؤه ، يده وينبه . وهو في كل ذلك يضغط ويخيف ويرهب وبخدع » .

وحملت صحيفة « الوفد المصري » على « التفراشى » بطريقة أعنف .. قالت : « هذه الحكومة علام تستند ؟ إن العهد الحاضر انتهى إلى فشل ذريع وأصبت البلاد بأضرار جسيمة .

وكتب الدكتور « محمد مندور » رئيس تحرير الوفد المصري تحت عنوان « الحكومة واضطراب البلاد » : لم يعد هناك شك في أن البلاد في حالة اضطراب الآن .. والحكومة هي المسئولة عن هذه الحالة بسبب سياساتها التي عجزت عن أن ترضي مشاعر الأمة . وتحقق مطالبيها سواء في الداخل أو في الخارج .

إنها حكومة تستند إلى أحزاب الأقلية ، وتضعف في المطالبة بحقوق البلاد ، ثم لا تصرف عنها إلا إلى التضييق من الحريات المبدئية ، والتجسس على الشرفاء .. ، حكومة هذا شأنها يجب أن تزول » .

ولم يختلف كاتب وفدي عن الحملة على « التفراشى » ...
قال الدكتور « عزيز فهمي » :

« هذه الحالة أصبحت لا تطاق .. أقلية عابثة مستهترة بالأمن العام ، تساوم في حقوق البلاد ، وتحكم في الملاليين .. وحكام عابثون ، لا يزعهم وازع ، ولا يردهم ضمير ، يتهددون القوانين .

إن حالتنا هذه أصبحت (ج) ، ومصر مشرفة على الطاوية .. فليعلن الشعب قيام الحالة (ج) ، وعليينا أن نتولى حماية أنفسنا .. بأنفسنا .. ، وعليينا أن ندافع عن حقوقنا بأيديينا ، فالوطن وطننا والمصير مصيرنا » .

ويقول « عزيز فهمي » تحت عنوان آخر « الميت حى » : « ولد النظام الحاضر ميتاً .. ، وأشباح الشعب عنه يوم يشر بعولده .. ، وصاحب الدولة يعلم .. ، كما يعلم أصحاب المعال .. أنهم في واد .. ، والأمة في واد » .

وتتشدد مقالات « عزيز فهمي » ..

كتب تحت عنوان « عود إلى الحياة » :

« سيسجل التاريخ أن الوزارة المصرية طالبت في ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ بإعلان الحياة على

مصر، وشطر وادى النيل، لتضمن البقاء في الحكم. وأن الحكومة البريطانية أجبتها إلى ما تريده».

ويكتب «الدكتور محمد متول» في «الوفد المصري»، تحت عنوان (دولية القضية المصرية) .

«حكومة المحاملة لازال صابرة صبر أيوب، وللإنجليز أن يماطلوا كما يشاءون.. وحكومة العجيبة أن تنتظر حتى تجد من وقتها متسعًا للمحدث معها».

ويرغم أن «القراشي»، كان يعاني من القصر والسفارة البريطانية ، فإن صحف المعارضة بقيت تهمه بالتواطؤ مع الإنجلizer، كما كتب «الدكتور عزيز فهمي» .. قال :

«وزارة منهملة . وأدلة الاتهام أن الوزارة التي تريد أن تبدأ محادثات مع السفير البريطاني .. هي الوزارة التي تأمرت على إقصاء قضية الوطن عن مجلس الأمن ، لتتنفس شخصوص وقد مصر إلى لندن ، يفاوض الحكومة البريطانية في عقد معايدة عسكرية جديدة ، توسيع بقاء الاحتلال» . وهي أول وزارة مصرية في عهد الحياة . أوفى عهد الاستقلال . تسلم للإنجلizer بحق من الحقوق في السودان ، جل أو هان ..».

ويخرج السفير على جريدة مصر الفتاة وهجومها على بريطانيا . ويصدر أحد أعداد روزاليوسف ، وتعطل صحيفتنا البلاغ والوادى شهراً.

ويقول «كيلر» إن الوفد يلعب لعبة أمريكا بعد أن قال : إنه يلعب على الورقة السوفيتية . نشرت صحيفة «الدليل تلغراف» إن الوفد يتطرف في المعارضة لإحياء شهرته باعتباره البطل الوحيد للوطنية المصرية .. ، أما «القراشي» فإنه نفر من إخراج الحكومة البريطانية ، مما جعله عرضة للاتهام بأنه خاضع للمصالح الأجنبية .

وقال الدكتور محمود عزمي «إن مصر ستواجه مصاعب في عام ١٩٤٦ ، ويجب أن تستعد لها . وسيأتي يوم ، علينا أن نختار فيه ، بين العبودية ، والفضل في سبيل الحرية .

• • •

أغلق الزمام ...

طرح الطلبة خلافاتهم جانباً ، بعد استئناف الدراسة عقب عطلة نصف السنة .
أثار الرد البريطاني ثائرة الطلبة ، واعتبروه إهانة وقحة للسيادة المصرية ، وكل تصريحات مصر في أثناء الحرب .

وزع الطلبة الوفديون استفتاء داخل الجامعات والمدارس ، عن الطريقة المثالية لحل القضية

المصرية ، وهل هي التعاون أو التفاوض أو استعمال القوة .

التي «بنكتى تلك» الوزير الأميركي المفروض في مصر «بأحمد حسين باشا»، رئيس الديوان الملكي يسأله عن الأسباب الكامنة وراء موقف الشعب المصري.

أشار «حسنين» إلى ظهور الوطنية المصرية وقال :

« أخشى إذا لم يستجب للتطلعات الوطنية ، رد فعل خطير ، في جميع أنحاء البلاد واضطربات نوازى . بل تهوق ، أفعال العنف التي جرت عام ١٩١٩ » .

وكتب «بنكني تايك» إلى وشنطن:

«يعترف المراتبون السياسيون المحنكون أنفسهم ، أنهم لا يستطيعون بصورة واضحة تحديد الأسباب الكامنة وراء اضطرابات القاهرة الأخيرة . وهناك اتفاق على وجود شعور وطني عام واسع النطاق ... ، يجب قبوله كعامل هام في العلاقات المصرية البريطانية مستقبلاً . ولا يوجد شك في أن هذا المد الوطني ليس فاقداً على مجموعة بعينها ، بل تشارك فيه ، تسانده الأمة كلها .

ومن المؤكد أن أهم قضية تسهم في الميادين ، هي المفاوضات المقبلة لتعديل معاهدة التحالف الأنجلو - مصرية .

وقال (مالك) :

«إن العوامل التي يعزى إليها ظهور الوطنية تأتي بترتيب أهميتها :

* الرغبة في جلاء القوات البريطانية.

والمطالبة بوحدة وادي النيل.

• والمطالبة المتكررة بتحسين أحوال معيشة الجماهير.

وبنيل محاولات لإدخال ممثل وفدى في المفاوضات وربما «النحاس» نفسه .
وهذه المفاوضات ، وتمثيل الوفد ، تعتبران أهم عامل ، يجب الاعتراف به في التطور
السياسي في مصر في المستقبل العاجل .
والعامل الوطني هو العامل الأساسي » .

أخذت الأحزاب ، والإخوان المسلمين ، والملك ، يستغلون الطلبة ، ويستغلونهم للتظاهر .. ضد الإنجليز .. ضد حكومة « التقراشي » ..

الملك ، يريد أن يغير صورته ، التي استقرت في أذهان الشعب ، بعد حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ عندما استسلم للإنجليز ..

بعد ٤ فبراير ، كانت عواطف الشعب والجيش مع الملك .. . وبعد حصار قصر عابدين . عرف الجميع أن الملك قد أهين ولم يقاوم .

ومن ناحية أخرى ، فإن الفضائح الشخصية « تفاروق » جعلته موضع .. كراهية الشعب . وقد فشل الملك منذ أكتوبر ١٩٤٤ . أي منذ إقالة النحاس . في أن يسترد صورته القديمة في أذهان الناس ، ولذلك أراد أن يقف مع الطلبة ، ضد الإنجلiz .

أما الوفد فإنه فقد موقعه في قيادة الشعب . بعد تعاونه مع الإنجليز . ولذلك رغب في التطرف ضد بريطانيا .. وقد اعتاد الوفد ذلك ، عندما يكون خارج الحكم .

وساعد على تراجع الوفد الفساد الذي انتشر فيه ، والذي دفع « مكرم عبيد » إلى تأليف (الكتاب الأسود) ، ليروى فيه فضائح الحكم .

وانطلق الوفد يتطرف مدفوعاً بالجنوح اليساري فيه . الذي رفع صورته - « الدكتور محمد متولى » ، « والدكتور عزيز فهمي » .. الخ - وأصبح هؤلاء هم الناطقون باسم الوفد . والمعروفة عنه .

يضاف إلى ذلك ، زيادة نفوذ الإخوان المسلمين . وانتشارهم في المعامل التي كان يسيطر عليها الوفد . فرار الوفد أن يدخل معركة التحدى ضد الإخوان والإنجليز وأحزاب الحكومة .

كان ميدان المركبة .. الجامعة وبالذات جامعة فؤاد الأول .. . أو جامعة القاهرة . شكلت في الجامعة « اللجنة التنفيذية » . التي تضم طلبة من جميع الأحزاب والاتحادات نالت تفريضاً من طلاب الجامعة . وأصبحت تتحدث باسمهم وتقودهم إلى الإضراب والتظاهر من أجل مطالب البلاد .

ولم يكن هناك من يستطيع الوقوف في وجه هذا الإعصار الحزبي الملكي الدين العنيف . الذي انضم إليه الشيوخون أيضاً !!

السفارة البريطانية لم تعد قادرة على تهدئة الوفد . الذي أراد أن يظهر لبريطانيا قوته . « والتراشى » لم يعد قادرًا على قمع المظاهرات . لأن الوفد ، والحزب الوطني . والإخوان المسلمين ، والشيوخين ، وحتى حزب الكلمة ، - برغم اشتراكه في الوزارة - ضده . والصحف رفعت عنها الرقابة . ولذلك انطلقت في الهجوم على « التراشى » بعنف ..

هذه مجلة « رابطة الشباب » - مثلا - تصف « النهارى » بأنه « المتهم الأول في قضية مصر الكبرى .. ، قضية أمانها القوية وأهدافها الوطنية .. ، إنه أضاع على مصر سمعة الماضي المجيد .. في الوطنية ، والكرامة ، والعزة ، وجهاد السنين الشاق ، في سبيل الحرية والاستقلال » .. والزعماء ينافسون الصحف في الحملة على « النهارى » ..

... « حسين سرى باشا » ، الرجل الذى ينافق السفير البريطانى ، وينقل إليه أخبار مصر وأئمرارها يدل بمحدث بحثة « آخر ساعة » ، يقول فيه : « الرد البريطانى كارثة . وكل جملة منه قطرة من السم .. والخطأ خطأ الحكومة المصرية » .

و« إسماعيل صدق » يهاجم « مؤامرة الصمت والسرية التى تلتزمها حكومة « النهارى » . قال : إن العرب لا يؤمنون بسياسة (انتظر حتى ترى) ، فإن كل دولة تريد لفت الأنظار لقضيتها ، كما حدث فى سوريا ولبنان وإيران وتركيا » .

ويتساءل « صدق » في عجب :

« لم لا تفعل مصر ذلك . فإن سياسة الصمت ، لم تأت إلا بالوعود الخلوة .. فحسب » . وتكون مقالات « صدق » ، عملا يضاعف الأزمة الوزارية ، ويضاعف الأصوات حول « صدق » نفسه .

ولكن « طه حسين » ، يكتب قائلا إن « النهارى » تجاهل « صدق » ، وهذا هو سر المقال ، ولذلك فإن « النهارى » سيعنى لصالحة رئيس الوزراء السابق .
ويشتند النقد ضد الرد البريطانى ، لأن لندن تمسك ب فكرة التحالف أو المشاركة مع مصر ، للدفاع عن المصالح المتباينة .

ولا تقتصر أحزاب المعارضة على استدعاء الطلبة ضد الحكومة ، بل تستعدى كل الطوائف .
.. تنشر صحيفة « الوفد المصرى » ، إن الفلاحين يلاقون عائقا في نقل محاصيلهم ، لأن قطارات السكة الحديد مشغولة بخدمة بريطانيا وقواتها » .

وتلق هذه الكلمات صدى في نفوس الفلاحين . لأن بريطانيا تشتري القطن المصرى بسعر يزيد قليلا عن أسعار عام ١٩٣٨ .. ، وهذا السعر - أقل دولارين في القنطار - بالنسبة للقطن الأمريكى . برغم أن أمريكا تقدم إعانة لزراعة القطن .

وينشر أن أمريكا اشترت قطنا مصرى ، ولكن بريطانيا احتفظت بالثن وقدره ٣,٢٥٠,٠٠٠ جنيهًا ، وبذلك زادت ديون بريطانيا .. مصر .

ونشر أن بريطانيا ، لن تدفع ديونها لمصر .. وستقوم بالغائبة

في مذكرةاته كتب «كيلر» :

«كانت هناك قلاقل طالية ، ومظاهرات عديدة خلال اليومين الماضيين . وبالأمس كانت هناك مظاهرات ضخمة . وصدام مع البوليس . وهناك تخديرات شديدة ، بشأن مظاهرات رهيبة . ستقام غداً تحت ستار أنها مظاهرة وطنية ، تعرض ولاءها «للملك فاروق» ب المناسبة عيد ميلاده . وإدارقى فلقة للغاية بسبب كل ذلك . وسيسب احتفالات القلاقل والمظاهرات المعادية للبريطانيين .

وفي الواقع ، كان قلق إدارقى بالغاً لدرجة أنى أثرت الأمر في الليلة الماضية مع «النقاراشى» أخبرته أننى لست في الوضع الذى يمكننى ، من طلب حظر المظاهرات الطالية الموالية . ولكننى على حق في القول ، بوجوب الحبولة دون حدوث ما يعكر السلام ، أو انفجار هبات معادية للبريطانيين ، وإذا حدث ذلك ، فسيعتبر مسئولاً عن ذلك أمام لندن . في الوقت الذى توشك فيه مناقشات هامة على أعلى مستوى بين البلدين .

وقد تقبل «النقاراشى» تخديرى بشكل طيب ... »

* * *

قال «بنكى تلك» الوزيرالأمربي المفوض :

«إن الوفد لعب ، ويُلعب ، دوراً محظياً في إذكاء نار الفوضى . ويرجع انتقاد «النحاس باشا» العالى للبريطانيين ، لأن الحكومة البريطانية ، لم تبد حتى الآن إشارة استعداد لمساعدة حزبه .

ويوجد دليل مزعج ، على أن الإخوان المسلمين ، يستمدون بقود متزايد ، بين عناصر الخلاف .

وهناك من يزعمون أن الإخوان متحالفون مع عناصر وقدية معينة . وفيما يتعلق بالإثارة الشيوعية خلال أحداث الشعب الأخيرة فلا يوجد أى دليل مباشر على وجود مثل هذه الإثارة .

والمراقبون العليمون يعترفون بخصوصية الميدان المصرى للشيوعية . ويعترفون بأنه ظهرت خلال الأضطرابات ، الأخيرة شعارات شيوعية ، وقدر ضئيل من الأدلة على وجود تنظيم شيوعي » .

* * *

لم يتم الملك إلا بعد ميلاده ، والبرامج التي أعدت لذلك .

الحفلة الساهرة الترفيهية في قصر الأميرة «شويكار» .. . ومهرجان الشعلة الذي يتحرك من الأقصر على بعد ٧٠٠ كيلومتر من القاهرة .. . ويتبادل حمل الشعلة ٦٠٠ من الجنود .. يرتدون الملابس الفرعونية ، وكل متسابق يقطع مائتي متر.

ويتغير الموقف قبل يومين اثنين من عيد ميلاد «فاروق» .

صباح السبت ٩ فبراير قام ألف من الطلبة جامعة فؤاد الأول - القاهرة - بمعاهدة اتجهت إلى قصر عابدين .

ومن الطلبة (بكيرى عباس) فوجدوه مفتوحاً فنزل بعض الطلاب وأغلقوا الكورى ليحرروا فوقه .

وحدث صدام بين الطلبة الذين أرادوا متابعة المظاهره ، ورجال الشرطة الذين حاولوا منعهم .

واعتدى رجال الشرطة على الطلاب بالعصى الغليظة بقسوة متناهية فأصيب ٨٤ طالباً .. صورت جريدة «الوفد المصري» ما جرى يوم ٩ فبراير ، بعنوانين ضخمة ، وكان الحادث معركة حرية بين دولتين .

ونشرت الصحيفة : «إن معارك دموية جرت بين الشباب من ناحية ، والجيش والبوليس المصري من ناحية أخرى .. . وإن القتلى والجرحى والمفقوري والغرق .. كثيرون .

بل نشرت «الوفد المصري» : «إن مئات القتلى سقطوا في كل أنحاء البلاد .

وقال الإخوان المسلمون : «إنهم تقدموا مسيرة الطلاب المتظاهرين ، من أجل قضية مصر ، ضد البوليس المصري ، الذي يسيطر عليه البريطانيون ، وإن «مصطفي مؤمن» قائد الإخوان في الجامعة .. كان يقود المظاهرات .

والرواية الأخيرة عن حادث كويرى عباس ، كتبها «جيمس بوكر» الوزير البريطاني المفوض في تقريره إلى لندن ..

قال :

«كانت الظروف السائدة هذا الأسبوع ، هي موجه عارمة من الغضب والعداء لبريطانيا .. بسبب ردنا على المذكرة المصرية ، التي تطالب بمقاييس حول موضوع المعاهدة . شهدت القاهرة مظاهرات طلابية عنيفة . وأضطر رجال البوليس إلى اللجوء إلى أعمال القمع ، وخاصة يوم ٩ فبراير ، عندما هاجم رجال الأمن حشدًا من الطلاب - يقدر عددهم بستة آلاف طالب - كانوا يحاولون عبور (كويرى عباس) من الجيزة إلى القاهرة .

أصيب عدد بسيط من الطلاب بإصابات جسمية .
وفي اليوم الثاني ، حدثت موجة خطيرة من أعمال الشغب . قام بها الطلبة . وقامت مظاهرات مماثلة في كل من الإسكندرية والمصورة والزقازيق وشبين الكوم .
والمنظمون الرئيسيون لهذه المظاهرات هم جماعة « الإخوان المسلمين » . وحرب الوفد
ويذكر أنه عند افتتاح الجامعة في أكتوبر الماضي . لم يستطع الوفديون إغراء الطلبة على الخروج بمظاهرات . بسبب عدم تعاون الإخوان معهم ، لأن جماعة الإخوان كانت تقرب إلى « التقراشي » في ذلك الوقت .

ويبدو أن ما حدث هذه المرة من تعاون بين الإخوان المسلمين والوفديين ، يشير إلى أنه يعتقدون أن الحكومة الحالية تقف على أقدامها الخلقية ... أي على وشك السقوط .
والإخوان المسلمون ، في ضيق من حكومة « التقراشي » الحالية ، فقد أظهرت خوفهم سوءاً من الور في البداية . ولكنها بدأت في الفترة الأخيرة . تفرض القيد على شاطئ الجامعة ومن الأدلة على تعاظم نفوذ الإخوان المسلمين . أنهم قرروا أن يلقو بملتهم إلى جانب الفوضى والشغب .. وأنر ذلك واضحاً تماماً .
ويبدو أن القصر يقوم بلعبة .. أي أن القصر يؤيد الحكومة . وفي نفس الوقت . يعني ذلك البوليس كان في غاية العنف .

وأكدت الصحف ، أن « مصطفى أمين » ، وهو أحد النواب ، ورئيس تحرير جريدة « أخبار اليوم » ، قرر أمام البرلمان ، أن أعمال الشغب التي حدثت ذات فائدة لمصر . فقد أوضحت للعالم أن المصريين لا يمكن أن يقبلوا الرد البريطاني .
وافتخر أن يتم العفو عن الطلاب » .

وأضاف : « إن إصرار الحكومة على الاستثناء عن خدمة ضباط البوليس البريطانيين . دفعه هؤلاء الضباط إلى إصدار الأوامر بضرب الطلبة .
ومن الواضح أن القصر يلعب بالنار . ولم يدرك جيداً مقدار التأييد الذي فقد « الملك فاروق » ، في الدوائر الطلابية ، عندما لم يمنع الغليان الذي حدث بين صفوف الطلبة والذى انهى - كما هو متوقع - بالفوضى التي واجهتها الحكومة بالقوة . في حين تعتبر الحكومة أدلة من أدوات القصر .
وهذا التغيير في الموقف بين جماهير الطلاب ، كان واضحاً في احتفال وضع حجر الأساس

للمدينة الجامعية الجديدة ، التي ساهم فيها « الملك فاروق » والعائلة المالكة . بتصنيف وافر
فلم يحضر هذا الاحتفال سوى عدد قليل جدًا من الطلبة .
والأكثر من ذلك ، عدم الطلبة الزينات التي أقيمت ، بسبب عبد الميلاد الملكي ، في مكان
الاحتفال .

وتقول دوائر القصر ، في محاولة لتبير ذلك ، إن الطلاب مزقوا الزينات ليستخدموها فيما يشبه
الذخيرة أو العتاد ضد البوليس . وهذا غير محتمل ، ما كانوا ليفعلوا ذلك ، لو لم تكن نفوسهم
تحمل شيئاً ضد الملك .

ويبدو أن المنابر المناوئة للقصر . حظيت مرة أخرى بأغلبية كبيرة .
وبكلمات أخرى .. فقد القصر المكانة التي حصل عليها منذ سقوط وزارة « النحاس » في
أكتوبر ١٩٤٤ .

ومع ذلك فالوضع يتوقف إلى حد بعيد على موقف الإخوان المسلمين ، الذين قد يتحالفون مع
القصر مرة أخرى ، إذا اتفق ذلك مع أهدافهم في الوقت الراهن .
وتحت مصادرة صحيفتين وفديعتين يوميين متتاليين ، لأنهما صحيفتان مغرضتان ، ولتشجيعها
لل موضوع .

ومع ذلك فإن صحيفة « مكرم عبيد » « الكتلة » ، هاجمت الحكومة بشدة بسبب أعمال
الفسح التي قام بها البوليس ضد الطلاب .
وأخيراً فإن « مكرم عبيد » ، الذي عرض استقالته بسبب هذا الموضوع ، يلعب لعبة التناقض
مع حزب الوفد حول أيها يقوم بدور البطل الشعبي ».
قال « عبد الرحمن الراafعى » :

« سميت هذه الحادثة (حادثة كويري عباس) ، وبالغ الرواة في تصويرها ، إذ جعلوا منها فيما
بعد ، دعاية سياسية ضد وزارة « التفراشى » ، وزعموا أن بعض الطلبة قتلوا فيها .
وبعضهم غرق في النيل من أعلى الكويرى .
وقد تحققنا ، وإنه لم يقتل أحد .

ولا غرق أحد في هذه الواقعة بالذات ، ولو قتل ، أو غرق أحد ، لذكر اسمه ولو بعد حين .
 وإنما توقف في اليوم التالي شاب من أبناء الجنوب اسمه « محمد على محمد » الطالب بكلية التجارة .
وكانت وفاته بفناء الجامعة ، إثر سقوطه من سيارة ، كانت تمر أمام الجامعة ، وأراد الطلبة
ركوبها ولم يكن للبوليس دخل في مقتله .

وليس من شك في أن الاعتداء بالضرب على المظاهرين ، عمل متكرر في ذاته ، لأنه كان يجب تركهم يذهبون إلى قصر عابدين إذا لم تكون هنافاتهم عدائية للحكومة . ولكن ليس من الإنصاف - في رواية الواقع - المبالغة فيها وإخراجها عن حقيقتها ، أرضاء للمارب والشهوات » .

وحاصر رجال البوليس ، كلية طب القصر العيني ٩ ساعات كاملة ، لمنع الطلبة من التظاهر في شوارع القاهرة .

وتصادر البوليس صحيفتي (المصري والوفد المصري) ، لنشرها أباء المظاهرات . وساعد على تدهور الموقف ، ما أعلنته الولايات المتحدة ، عن عدم قواتها الباقة في مصر . على الانسحاب في الأسبوع الأول من مارس . وتكون النتيجة أن يهتف الطلبة بسقوط الملك ، ويحرقون صوره ويحرقونها ، وبطفلون الشعلة حتى لا تصل إلى « فاروق » في عيد ميلاده .

• • •

قبل ٢٤ ساعة من عيد ميلاد الملك ، قصد « فاروق » إلى المدينة الجامعية ليفتتحها ، فوجد نجوماً طلائياً غاضبياً يرفض تحيته . وصف « الدكتور محمد حسين هيكل باشا » ما جرى داخل جامعة فؤاد الأول في ذلك الحفل .. قال :

« كان مقرراً أن يضع الملك حجر الأساس للمدينة الجامعية لجامعة فؤاد الأول ، على أن يكون « بيت الطلبة » أول ما يقام من مباني هذه المدينة . وكان الطبيعي أن يقترب الطلبة بهذه المدينة ، وبهذا البيت الذي يأوي منهم كثيرين ، يتذر عليهم أن يجدوا مأوى صالحًا على مقربة من الجامعة . ولكن الصبح تنفس عن شائعات ، تردد أن طلاب الجامعة ، سيقاطعون الحفلة التي يحضرها الملك لوضع حجر الأساس .

فلا تقدم النهار ، بلغنى أن الأمر لن يقف عند المقاطعة ، وأن الملك قد لا يحضر الاجتماع . وسمعت ظهرًا أن محاولات إجرامية تدير ، فاتصلت برئيس الديوان ، وسألته عن الموقف وتطوراته ، وعما إذا كانت الحفلة تجرى وفق برنامجهما الأول ، وهل يرى وجهاً أن أذهب إليها بوصفي رئيس مجلس الشيوخ ، فذكرني أن يجب أن أعد عدق للذهاب إليها ، ما لم يتصل بي قبل موعدها .

ولم يتصل بي .

ذهبت إلى مكان الاجتماع فإذا الطرق كلها محروسة أشد الحراسة .

وجاء الملك متأخرًا عن الموعد المعين ، ثم علمت أن البوليس ضبط في إحدى العمارت شخصًا . بتهمة أنهم كانوا يعتزمون إلقاء متفجرات على الموكب الملكي .

ولم يحضر الحفل من الطلبة إلا من وتق رجال الأمن بهم . وتم الحفل سرًا في أضيق حدوده ثم انصرف الملك . وانصرف الحاضرون كل إلى منزله . والجحود يذن بالتنزه .

وقال « عبد الرحمن الرافعي » : « إن رجال البوليس صدوا — بالقوة — المظاهرات التي قامت في ذلك اليوم » .

وفي المساء دعا الملك — بواسطة « أحمد حسين » — كل القيادات الطلابية لزيارته وحضور مؤتمر ..

وفي المؤتمر عبر الملك عن عدم رضاه ، عن أعمال رجال البوليس .. وأشار أيضًا إلى احتفال إقامة « التقراشي » ..

وفي يوم عيد الميلاد الملكي . كما يقول « ريتشارد ميشيل » في كتاب « الإخوان المسلمين » خرجت من الجامعة مظاهرة . يقودها « مصطفى مؤمن » أيضًا . توجهت إلى قصر عابدين .. ولكن تحت حماية البوليس هذه المرة ! .

٠ ٠ ٠

احتفل ملك مصر بعيد ميلاده بموكب الشعلة وبغفل في قصر عابدين ..

أنعم الملك على ٢٣ من رجالات مصر برتبة البشوية ، وعلى ٦٥ برتبة الباكورة .

وأنعم على رئيس وزرائه بوسام ، ومنح رتبة البشوية لـ ٥ وزراء .

ومنح الخصمين اللذين « مكرم عبيد » ، « عبد الحميد بدوى » ، رتبة الامتياز التي تسمح لكل منها أن ينادي بلقب صاحب المعالي وهو خارج الوزارة .

وأراد الملك — بهذا كله — أن يؤكد للجميع أنه يثق بحكومته ويساندها .

ووجه « التقراشي » بياناً للشعب في هذه المناسبة . واستقبل السفارة ورجالات مصر في حفل شاي في قصر الزعفران ..

ولكن « فاروق » — ب رغم ذلك كله — كان يدير مؤامرة « للتقراشي » .

٠ ٠ ٠

استخبر « عبد الحميد بدوى » يوم ٦ فبراير عضواً في محكمة العدل الدولية ، وأصبح بعثهما عليه

الاستقالة من منصبه . كوزير للخارجية وبذلك أصبحت خمس مناصب وزارية خالية . واستقال « مكرم عبيد » وزميلاد أعضاء حزب الكتلة - يوم الأربعاء ١٣ فبراير - ولم يدخل الوزارة بعد ذلك قط .. وكانت وجهة نظر « مكرم عبيد » أن عمل « النراشى » ضد الطلبة . ليس مسئولة وزير الداخلية وحده . بل هو مسئولة جماعية للوزارة كلها . وكان من أسباب الاستقالة أيضاً المفاوضات وتصريحات « بدوى » . وتوجه « إبراهيم عبد الهادى » وزير الصحة إلى « مكرم عبيد » يحاول إقناعه بسحب الاستقالة ولكن بلا جدوى .

• • •

أصبح مجتمعاً على « النراشى باشا » إعادة تشكيل الوزارة . فقصد إلى قصر عابدين في اليوم التالي ليعرض على الملك التشكيل الوزاري الجديد . وفوجئ « النراشى » - « فاروق » يقول له يوم ١٤ فبراير : « وجّه الإنجليز إلى إنذاراً بأن الحكومة لا تحفظ الأمن » . وفهم « النراشى » ما يقصده « فاروق » .. أدرك أن الإنجليز يريدون تعينه . وخشى « النراشى » أن يلح الإنجليز في إخراجه علانية ، كما فعلوا مع « على ماهر » عام ١٩٤٠ .. أو يوجهون إنذاراً آخر إلى « فاروق » بتعيين رئيس وزراء يختارونه بأنفسهم ، كما فعلوا يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ . خشي « النراشى » ذلك . فاستقال في اليوم التالي ٥ فبراير . ولقد اعترف « السير رونالد كامبل » ، السفير البريطاني الذي جاء بعد « كيلر » بدور بريطانيا في استقالة « النراشى » .

قال في برقية تاريخها ٥ يونيو عام ١٩٤٧ : « لقد أشرنا في عام ١٩٤٥ ، على أعلى المستويات إلى أن « النراشى » ، غير قادر على المحافظة على النظام مما يحتم إبعاده من منصبه .. فحين أنهى يعتبر نفسه وزيراً جيداً للداخلية قدرياً ومتخصصاً في حفظ الأمن » .

وخطاب استقالة « النراشى » يدل على ذلك كله . لم يكن من الطبيعي في تلك الأيام أن يشار صراحة إلى تدخل بريطانيا . كتب « النراشى » في خطاب استقالته يقول : « في هذه المرحلة الجديدة - مرحلة دخول البلاد في مفاوضات لتحقيق المطالب الوطنية -

رأيت أن أخل عن الحكم لأضع الأمور . بين يد جلالتكم توجهوها باسمى حكمكم إلى ما ترون
فيه الخير للبلاد .

رد « الملك فاروق » :

« اطلعت على كتاب الاستقالة وإنما نحييكم إلى ملتمسكم ، مراجعين الدواعى التي حدثت بكم
إليه » .

كان السفير البريطاني في لندن . عند استقالة « القراشى » . وقد جرت عادة « فاروق » أن
يعبر الوزارة في أثناء غياب السفير ..
ففي أكتوبر ١٩٤٤ أقال الملك « مصطفى النحاس » . وفي فبراير ١٩٤٦ طلب إلى « القراشى »
الاستقالة بناء على مشورة « كيلر » !

ويؤلف « إسماعيل صدق » الوزارة الجديدة من مستقلين . ومن حزب الأحرار الدستوريين .
ورفض « القراشى » أن يشترك السعديون في الوزارة . لأسباب أهمها أنه كان يشعر بالماراة من
الملك والإنجليز .

كتب روزاليوسف تحت عنوان (خطاباً « القراشى » العشر) .
« لن يختلف أحد من المعارضين أو المؤيدین في أن « القراشى باشا » برغم كل احتطائه كان
ولا يزال رجلاً نزيهاً مخلصاً في كل تصرفاته . فلم يكن يتصرف إلا عن اقناع تام .
وربما كان أول عيوبه أنه لم يستطع إقناع الشعب بما اقتنع به .
والخطيئة الأولى هي (سياسة الصمت) ، الصمت الذي ترك الناس وأعضاء البرلمان . بل
والوزراء أحياناً . في حيرة تامة .. حيرة وصلت إلى حد الشك برئيس الوزراء وبكتافاته
ونواباه ..

والخطيئة الثانية هي (سياسة المحاجمة) أو (المحاجمة السياسية) في حل القضية المصرية .
وكانت تصرفات « القراشى باشا » كلها تتعلق بمحاجمة إنجلترا على حساب الشعور الوطني الذي لم
يتحمل تصرّفاتـه الليبية .

وحجة « القراشى باشا » في دفاعه عن سياسة المحاجمة ، أنه كان من السهل عليه أن يواجه
إنجلترا بطالب مصر ، ويعتبرها من الحقوق التي لا تقبل المناقشة . ولا المقاومة فتكون النتيجة أن
ترفض إنجلترا مطالبه ، ويخرج من الوزارة بطلاء ترفة المتأفات .. ولكن مصر لم تكن تتعجب شيئاً من
هذه السياسة .

- ٤ - التأجيل .. كان « القراشي باشا » يعتمد كثيراً على التأجيل . ولم يكن يُؤجل إلا المسائل التي تستدعي حلاً سريعاً .. أُجلَ الرد على تصريح « بدوى باشا » . وأُجلَ التعليق على الرد البريطاني ، وأُجلَ تصرّفه أنه سيدخل المفاوضات حرّاً من كُل قيد . وأُجلَ معظم الاستجوابات التي تتعلق بالسياسة العامة .
- ٥ - الانسجام .. وتحنّن نعتبر أن « القراشي باشا » . كان المسؤول الأول عن الانسجام بين أعضاء الوزارة . فهو رئيسها وواجهه كان يقتضي عليه بالحافظة على كيانها . كانت حكومة « القراشي » باشا تضم في داخلها ثلاث حكومات منفصلة بعضها عن بعض تماماً . حكومة للسعديةين ، وثانية للستوريين ، وثالثة للمكتيلين .
- ٦ - الاعتداد بالنفس الذي وصل إلى أبعد الحدود . وكانت هناك فكرة مسلطة على رءوس السعديةين ، وهي أن بقاءهم في الحكم ، يتعلّق بوجود « النحاس باشا » خارج الحكم ، فإن خرجوا هم من الحكم جاء إليه « النحاس » .. وكان هذا - في نظرهم - يمكن للنمسك ببقائهم في الوزارة ..

واستمرت روزاليوسف تعدد انتظار « القراشي » وآخرها .

« محاكمة النحاس باشا » .. ولكنهم لم يحاكموه . فكان هنا كفياً بتبرئته ورد اعتباره .. وتقويته ..

ولم تكن روزاليوسف تدرى أن بريطانيا ، هي التي منعت محاكمة « النحاس » ، وأن ظروفَ كثيرة كانت ضد « القراشي » .. وأنه كان - على الصمت - مرغماً . وربما يكون خطأ « القراشي » الأساسي . أنه تحول من ثائر إلى سباسي بحسب حساب الإمكانيات التي بين يديه .

كان يظن أن الملك معه وكانت الملك - في الحقيقة - ضد « كيلرن » وهذه عادة الإنجليز الانتقاد من صلاحية وسيادته .. لاسيادة مصر وشعب مصر . وكان « القراشي » مرغماً أن يتقبل وجود الأحزاب السياسية المعارضة للوفد معه ، لأن الملك أراد ذلك .

وكان مستحيلاً أن توفر قيادة حازمة لفريق متنافر .

• • •

أيا ما تكون خطايا « القراشي » أو غيره فإن استقالته كانت محتملة ..

وكل قرار في مصر له ثمن .
حياة «أحمد ماهر» كانت مقابل قرار إعلان الحرب .
وكان على الملك أن يدفع للإنجليز ثمن الإطاحة «بالسفير» .
«النقاراشي» .. مقابل «كيلر» ..

سنة ضائعة

لم تعرف صحف مصر أول الأمر، بينما نقل «كيلن» أو حقيقة مهمته... أول صحيفة عربية نشرت الخبر هي «المقطم» المسائية. والمعروف صلتها بالسفارة البريطانية. وكذلك صلات محررها - كريم ثابت - الوثيقة بالقصر... مما يقطع بأن القصر هو الذي تعمد (تسريب) النباء للتشكي أو الانتقام...
قالت المقطم «إن أبناء غير مؤكدة تقول بأن اللورد نقل من منصبه... وفي اليوم التالي مباشرة قالت (أخبار اليوم) بالضبط العريض إن السفير البريطاني أحيل إلى المعاش...

والأرجح أن القصر أذاع خبر نقل السفير مشوهاً. أو مبتوراً. حتى لا يتم بأنه المصدر الأساسي والوحيد!
وربما يكون القصر قد نشر الخبر بهذه الطريقة، إيماءً بأن نقل السفير أشبه بإحالته إلى المعاش... ونشرت «الأهرام» النباء بتحفظها التقليدي... المعاد.
أما «روزاليوسف»، فقالت إن السفير كلف بهمة ستاخذه إلى فلسطين. وأهند. وأنهيراً أندونيسيا... وأنه استقال خلافة مع وزارة الخارجية البريطانية. ولكنه اقتنع بسحب الاستقالة.

يوم ١٩ فبراير بعد ٤ أيام من استقالة «القراشي». وتشكيل وزارة «إسماعيل صدقي» قتل

«أحمد حسنين باشا» رئيس الديوان الملكي .. وكان حسنين قد غادر قصر عابدين في الثالثة والنصف بعد الظهر في طريقه إلى منزله بالجيزة . ازلقت - بسبب المطر - سيارة لوري بريطانية فوق كوبرى قصر النيل ، فاصدمت سيارة «حسنين» .

شاهد الحادث وزير الزراعة السابق «أحمد عبد الغفار باشا» ، فساعد في نقل رئيس الديوان إلى مستشفى «الأنجيلو - أمريكان» حيث قضى نحبه . قال «حسن باشا يوسف» وكيل الديوان الملكي : إنه رأى الحادث . فقد انصرف بسيارته من قصر عابدين عقب خروج «حسنين» .

* * *

نشرت الصحف المصرية كلها وفي صفحاتها الأولى وفاة «حسنين» .. ، وقالت إنه اليد اليمنى للملك ومن الصعب العثور على بديل له .. وصورت وفاته باعتبارها كارثة قومية .

ولكن صحيفتي الوفد : «البلاغ» و «الوفد المصري» ، لم تظهرا حزنًا حقيقيًّا على «حسنين» ، فإن الوفد يعلم ما ذكره «حسنين» خصه عندما رسم خطة إقالة «النحاس» في ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ، وإبعاد النحاس عن الملك ، ومحاولة اكتساب شعبية للفicer بتحريض الطلبة - كما تقول السفارة - على الإضراب لصالح الملك ، حتى يبدو في صورة أكثر وطنية من الوفد .

* * *

كان «حسنين» في السابعة والخمسين من عمره . تعلم في جامعة أكسفورد ومثل مصرف الدورة الأولى التي عقدت في مدينة انطويرب عام ١٩٢٠ ، كما طار من لندن إلى القاهرة ، مما يعتبر مغامرة كبيرة في ذلك الزمان . وتجول في صحراء مصر الغربية ، فاكتشف واحة «أركنو والعوينات» ، وحدد مكان واحة «الكفرة» على غير ما كان معروفاً في الخرائط . واشتغل في السلك السياسي سكرتيرًا أول ، في موضوعة مصرف وشنطن ولندن . وعيّن أميناً أول لملك مصر . اختير رئيساً للديوان الملكي في ٢٧ يوليو عام ١٩٤٠ ، وأمضى الـ ١١ سنة الأخيرة من حياته مع «فاروق» .

قال « محمد ركي عبد القادر » : إنه « رجل دارس . فاهم . لبق . مهذب . عارف بالتيارات والاتجاهات . جمع إلى ثقافته الغربية . الماماً كافياً بالحياة المصرية . وكان على صلة حسنة بالإنجليز . وعلى صلات وثيقة بالعائلة المالكة .

تمرس بحياة القصور . وما فيها من دسائس وتبارات . ووعى كل شيء من هذه الناحية أدرك أنه أقوى رجل في القصر وربما في مصر .

وأراد « أحمد حسين » أن يخلق من الملك شخصية مقدسة . تدين لها الجماهير بالحب والولاء ، صرفاً لها عن الولاء للدستور .

وأراد أن يوطد مركز الملك في الشعب . لا ليعطي الملك سلطات يستحقها . ولكن ليحكم هو من ورائه » .

وكان « حسين » هو الذي صنع صورة الملك الصالح . والملك الخبرير ، في كل الشئون والفتون .

وكان أيضاً صديقاً ومعلمًا للملك .. ، تزوج من الملكة الأم نازلى بعقد عرف .. ، عرف به عدد قليل من المسؤولين .. همساً .

وكان المصري الوحديين حاشية الملك ، الذي يستطيع أن يقول له رأينا معارضنا . ولكن في العامين الأخيرين هبط نشاط « حسين » ، فقد أصبح بأزمة قلبية في أثناء اشتراكه في تشيع جنازة « اللورد موين » . ولم يفارقه المرض منذ ذلك الحين .

وفي كتاب « محمد التابعى » (أسرار الساسة والسياسيين) روى هذه القصة : « بعد وفاة « حسين » بأسبوعين أو ثلاثة أسابيع . ذهب « فاروق » يزور أمه « نازلى » في قصرها الذي ورثه عن أبيها في الدق .. ، ودخل عليها في قاعة القصر الكبيرة .. وتسررت قدماء عند الباب . رأى أمامه في صدر القاعة صورة « لأحمد حسين » بالمحجم الطبيعي وقد جالت بالسود .. وأمام الصورة - وعلى الأرض - جلست أمه ، « الملكة نازلى » . وحوّلها سيدات حاشيتها وخدمات القصر . وجميعهن متشرفات بالسوداء .

وعلى جانبي القاعة الكبيرة جلس نحو عشرين شيخاً يتلون الأوراد ويدعون بالرحمة للراحل الكريم .

توقف « فاروق » لحظة عند باب القاعة .. وعقدت الدهشة لسانه . ثم مشى إلى حيث كانت تجلس أمه . وقال لها وهو يشير بيده إلى الصورة وإلى السيدات والشيخ :

- قال : إيه ده كله ؟ .. وعشان إيه ده كله .. مات .. خلاص مات .. لزوم ده إيه ؟
 انتقضت « نازل » واقفة على قدميها وانفجرت في ابناها تصيح :
 - ده ؟ ده اللي عملك راجل .. ده اللي حافظ على عرشك .. بكرة راح تشفى يجرى لك
 إيه .. بعد موته « حسين » .
 إلى آخره .. إلى آخره ..
 وهز « فاروق » كتفيه ساخراً وانصرف .

حاولت الدعاية أن تصور الحادث بأن الإنجليز هم الذين قتلوا رئيس ديوان الملك .
 أعرب « سكريفتنر » رئيس القسم المصري بوزارة الخارجية البريطانية للسفير الأمريكي في
 لندن .. « وينانت » يوم ٢٠ فبراير ، عن أسفه الشديد لخسارة « أمين عثمان ، وأحمد حسين » ،
 في نفس الوقت ... وأشار إلى « أن اشتراك سيارة تابعة لبريطانيا في الحادث يعد قدرًا كبيرًا من
 سوء الحظ » .

وقالت برقية « وينانت » لحكومته :
 « يبدو أن البريطانيين ، في مصر ، يأخذون نصيباً كبيراً من سوء الحظ .. هذه الأيام » ،
 وتغير برقية « جيمس بوكر » « السفير البريطاني بالنيابة » لوزير خارجيته عن رأي بريطانيا في
 « حسين » ،
 قال :

« إن وفاة « حسين باشا » تبدو وكأنها تمت على الفور . نقلوه إلى مستشفى الأنجلو - أمريكيان
 على أساس أنها أقرب مستشفى . ولكنه توقف لدى وصوله .
 حضر « الملك فاروق » إلى المستشفى فور إبلاغه . وصاحب جثمان « حسين » إلى منزله .
 وأقيمت جنازة عسكرية « حسين باشا » في اليوم التالي .
 حضرت الجنازة بنفسه ، ومعه عدد من أعضاء السفارة .

وشهد الجنازة رؤساءبعثات الدبلوماسية ، ورؤساء هيئات أركان الحرب ، وممثلوهم وقائد
 القوات البريطانية في مصر ، ورئيس البعثة العسكرية البريطانية .
 وطبقاً لما أبلغنا به العميل المتصل بـ : فقد بادر « الملك فاروق » فور وفاة « حسين باشا » .
 بالاتصال تليفونيًّا ، بعد الفتح عمرو باشا . وطلب إليه الحضور إلى القاهرة .

وُثِّقَ اقتراح بأن يفكِّر الملك في استبقاء « عمرو باشا » في القصر في منصب . أو آخر ، بعد وفاة « حسنين باشا » .

« حسنين باشا » معروف جدًا . وقده خسارة كبيرة « للملك فاروق » . وأيضاً للحكومة المصرية والبريطانية .

وكان « حسنين باشا » . يمارس نفوذه ويقدم مشورته للملك . وفي الفترة الأخيرة ، بالنسبة للشئون الداخلية ، تبنى سياسة خطيرة تقضي . بإدخال « الملك فاروق » في حلبة المنافسة مع الوفد ، في أستانة (الدباجوجية) للطلبة والعمال . وأكثر من هذا كله كان يلعب لعبة - هي أخطر ما تكون - في تشجيع الطلبة على التظاهر . تأييداً للملك . دون أن يصرفهم عن رفع الشعارات المعادية لبريطانيا .. وهي الجلاء ووحدة وادي النيل .

و فكرة « حسنين باشا » . أن الملك . ليس بوسعه معارضة الحركة الوطنية . دون أن يخسر اللعبة أمام الوفد .

وأدلت هذه السياسة إلى الأحداث المؤسفة .

وبالرغم من هذه الوسائل المزدوجة ، كان « حسنين باشا » . على قناعة مخلصة . بأن استقرار العرش . يقوم على علاقة الصداقة والتفاهم . بين « الملك فاروق » والحكومة البريطانية . وكان هنا هو الأساس برغم أنه يلعب من حيث التفاصيل لعبة مزدوجة . وبعد اختفاء « حسنين باشا » من المسرح . يبقى أن نرى من هو الشخص الذي سيقع الملك تحت تأثيره .

وعلى أيه حال فإن « حسنين » كان يؤثر بريطانيا على غيرها من الدول الأجنبية » .

٠ ٠ ٠

حدث فراغ ضخم في القصر الملكي بعد وفاة « حسنين » .. ولم يستطع الملك أن يجد رئيساً لديوانه يرسم له صورة مثالية - كاذبة - أمام الشعب كما فعل « حسنين » ! ولم يجرؤ واحد من رجال الديوان والقصر . على نصح الملك . واستعاض عن المستشارين بالخدم .

وحاول « الملك فاروق » أن يجد رئيساً لليوان صديقاً للإنجليز . ووسيلة اتصال مع الخير البريطاني الجديد . فاستدعي « عبد الفتاح عمرو » إلى القاهرة . ولكن الملك كان في حاجة إلى بقاء « عمرو » في إنجلترا . ليكون رسول الملك إلى وزارة الخارجية البريطانية ذاتها .

ويق منصب رئيس الديوان الحالياً حتى شغله بعد شهور «إبراهيم عبد الهادى باشا» .
وهكذا . فقد الملك عنصراً مهدىً يكتسب جامحة حيناً . ويحفظ خطوط اتصاله بالسفارة
البريطانية . في كل الأحيان .

قال «محمد التابعى» :

«بعد أسابيع معدودة من وفاة «حسنين» غادرت «نازلى» مصر إلى أوروبا للعلاج والراحة
كما زعمت .

ولكنها غادرت مصر . وفي نيتها لا تعود .. وكان منها ومن «فاروق» ما كان .. وكيف استهان
إلى أبعد حدود الاستهانة .. ثم كانت الثورة التي طوحت به وحطمت عرشه .
ولعله تذكر يومئذ وهو يوقع وثيقة تنازله عن العرش عام ١٩٥٢ قول أمه «بكره تشفى راح
يجرى لك إيه بعد موتك «حسنين» .

اللقاء الأخير بين «كيلون» ، «والملك فاروق» ثم يوم ٦ مارس ١٩٤٦ .
أقام الملك مأدبة غداء توديعاً للورد .

وحرص «فاروق» على أن يجامل اللورد .. وأن يبدى مشاعر الصداقة والودة . كما فعل في
الأيام الأخيرة بعد أن عرف بقرار نقل السفير .

«برقية رقم ٤٢٥
من «الورد كيلون»
إلى «إرنست بيفرن»
بتاريخ ٦ مارس ١٩٤٦

١ - عقدت اجتماع الوداع مع «الملك فاروق» الذى استبقاني لمدة ساعة وربع الساعة بعد
ظهر اليوم .

٢ - كان الاجتماع - كالعادة - ودياً للغاية .

٣ - أبلغت صاحب الجلالة بالشكاوى التى أعربت عنها رئيس الوزراء المصرى صباح
اليوم ، وعن أمل فى أن يعزز ماقلت .

وعدنى بذلك ، وشارك «صدقى باشا» في الإعراب عن عميق أسفه .
وبالنسبة له شخصياً ، كانت أحداث ٤ مارس - يقصد المظاهرات التى قامت في ذلك
اليوم - تمثل أعظم صدمة له وأغرب عن أسفه إزاءها .

٤ - ناقبنا السياسة المحلية في أعرض خطوطها ، وأبدىت مخاوف من حدوث صدام نهائ بين الأيديولوجيات .

وإذا كان لي أن أبدى رأي ، فإن هذه التحركات الشعبية . وهي وطنية صحيحة في حد ذاتها ، تتطلب قيادة حقيقة .

وكانت كل آمالـ دائمـاً أن تكون القيادة للعرش بـإيجـاء من صاحـبـ الجـلـالـةـ المـلـكـ ، وـيـجـبـ أن يكون العـرـشـ الدـعـامـةـ وـالـحـصـنـ لـالـمـصـلـحـةـ الـحـقـيقـةـ لـلـشـعـبـ الـمـصـرـىـ .

ولم أشعر قـطـ بـأنـ «ـ حـسـنـ بـاشـاـ »ـ يـقـدـمـ أـفـضـلـ مـشـورـةـ لـلـمـلـكـ .

أـفـرـ المـلـكـ بـأـنـ الـأـمـرـ كـذـلـكـ ، لـوـكـانـ يـأـخـذـ تـوجـيهـاتـهـ مـنـ مـسـتـشـارـيـهـ ، بـلـ إـنـ يـتـخـذـ قـرـارـاتـهـ بـفـسـهـ .

وـيـقـومـ بـتـفـيـلـهـاـ .

وـهـوـ يـعـتـقـدـ بـأـنـ «ـ صـدـقـ بـاـشـاـ »ـ أـفـضـلـ رـجـلـ .ـ إـنـ لـمـ يـكـنـ الرـجـلـ الـوـجـدـ الـمـاـخـ حـالـاـ .ـ الـذـيـ

يـمـلـكـ الـقـوـةـ الـكـافـيـةـ .

وـلـمـ يـأـلـ الـمـلـكـ جـهـدـاـ ، فـيـ التـعـبـرـ مـرـةـ أـخـرىـ .ـ عـنـ أـفـضـلـ مـشـاعـرـ الـإـخـلـاـصـ لـبـرـيطـانـيـاـ الـعـظـيـزـ .

وـقـالـ إـنـ خـالـلـ الـأـيـامـ الـقـادـمـةـ مـنـ الـمـهـمـ .ـ أـكـثـرـ مـنـ أـىـ وـقـتـ بـهـ .ـ أـنـ تـبـقـيـ بـلـدـانـاـ

مـتـكـافـئـيـنـ .

٥ - أـمـاـ بـالـنـسـبـةـ لـإـعادـةـ النـظرـ فـيـ الـمـعـاهـدـةـ .ـ فـإـنـ يـشـارـكـنـيـ الرـأـيـ .ـ فـيـ أـنـ لـاـ يـوـجـدـ مـاـ يـدـعـوـ

لـلـتـشـاؤـمـ .

وـقـالـ إـنـ مـصـادـرـ مـعـلـومـاتـهـ .ـ غـيرـ الـمـعـرـفـةـ حـتـىـ حـكـوـمـتـهـ .ـ تـوقـعـ أـنـ تـكـونـ رـغـبـاتـ بـرـيطـانـيـاـ

مـعـتـدـلـةـ بـصـورـةـ مـثـيـرـةـ لـلـدـهـشـةـ .

وـأـشـارـ حـيـثـنـذـ إـلـىـ أـنـهـ قـدـ يـقـوـمـ بـشـئـيـهـ لـلـمـسـاـعـدـةـ فـيـ هـذـاـ الـمـجـالـ .

٦ - وـعـنـدـ مـغـادـرـةـ صـاحـبـ الـجـلـالـةـ تـوجـهـتـ مـباـشـرـةـ إـلـىـ حـفـلـ شـايـ لـلـودـاعـ .ـ أـفـامـهـ «ـ صـدـقـ

بـاـشـاـ »ـ فـيـ مـنـزـلـهـ .

وـعـقـبـ مـغـادـرـقـيـ للـحـفـلـ .ـ اـتـصـلـ بـيـ «ـ صـدـقـ بـاـشـاـ »ـ تـلـيفـوـنـيـاـ وـقـالـ :ـ «ـ إـنـ الـمـلـكـ وـصـلـ إـلـىـ

مـنـزـلـهـ مـعـتـقـدـاـ أـنـيـ مـازـلتـ هـنـاكـ .ـ وـلـكـنـ لـسـوـهـ الـحـظـ كـنـتـ قـدـ اـنـصـرـتـ »ـ .

• • •

تركـ «ـ كـيلـونـ »ـ قـصـرـ عـابـدـينـ وـأـسـرـعـ بـضـيـفـتـ إـلـىـ مـذـكـرـاتـهـ :

«ـ تـرـكـتـ «ـ فـارـوقـ »ـ فـيـ الـرـابـعـ بـعـدـ الـظـلـهـرـ .ـ إـنـ الـمـلـكـ .ـ مـنـ غـيرـ شـكـ .ـ كـانـ سـعـيـدـاـ بـأـنـ أـرـحلـ

وـأـدـبـ إـلـيـهـ ظـهـرـيـ »ـ .

وقال اللورد في مذكراته :

«إن الملك مثل جيد .. ، ولكنه لا يظهر ذلك ».

ويطير «كيلون» من مصر في الحادية عشرة مساء السبت ٩ مارس ..

• • •

اهتمت ٣ مجالات مصرية هي «أخبار اليوم» ، «آخر ساعة» ، «وروزاليوسف» بقصة رحيل «كيلون» من مصر.

اتفقت الصحف الثلاثة على أن اللورد ، كان يجب أن يرحل من مصر بعد توقيع معاهدة عام ١٩٣٦ .

ونشرت «آخر ساعة» ، مقالاً بقلم سياسي كبير ، وصف فيه «كيلون» بأنه دبلوماسي متغطرس ، أراد اخضاع الملك . ونجاهه في مصر أدار رأسه . وظن أن ذلك النجاح يبرر تصرفه .

قالت «روزاليوسف» ، تحت عنوان (أاما وقد ذهب) :

«لم يكن اثنان يختلفان في أن بقاء «اللورد كيلون» في منصبه ، ليس من صالح القضية المصرية ، ولا مما يشرف الكراهة المصرية ..

وكنا جميعاً ننتظر ، في صمت ، أن تنتهز حكومة لندن فرصة انتهاء مدة خدمته وتنحيه من منصبه . ولكن حكومة لندن لم تتحم . وظل «اللورد كيلون» بينما ضيفاً مكرماً عزيزاً .

وكنا نعلم أن هناك من يسعى لإيقائه في منصبه ، لأن جنابه - أى «اللورد كيلون» - استطاع أن يكسب صدقة ولقة الشعب المصري ، والزعماء المصريين . بدليل أن أحداً منهم لم يعرض على شيمته ، وأن حدث ٤ فبراير من بيدهو فلم يجتمع الشعب على السفير ، إنما اجتمع على «النحاس باشا» . كان احتجاجه عليه للدowافع حزبية لا وطنية ، وبدليل أن الزعماء الذين لم يشتركون في الحادث . أظهروا رضاهم عن اللورد بعد أن تولوا الحكم ..

إن السفير البريطاني لا يتتحمل وحده وزر سياسته . وإنما يتتحمل الوزر معه كل من وافقه عليها ، من زعمائنا وساستنا الأفضل وكل ما نرجوه أن يعرف هؤلاء الزعماء والساسة بخطفهم حتى لا يتكرر هذا الخطأ مرة ثانية مع سفير آخر ..

• • •

نسبت الصحف المصرية الفضل في نقل «كيلون» إلى «عمرو باشا» ، الذي استطاع إقناع وزارة الخارجية البريطانية بضرورة تغيير السفير .
وظل بعض رجالات مصر مخلصين حتى النهاية للورد ..

فـ حفل عشاء، حضره السفير قال له رجل الأعمال المليونير المصري « عبد » : « هناك افتتاح إجتماعي بين المصريين بأن مركز القصر قد تعزز بصورة هائلة ، بسبب نجاح « الملك فاروق » في إبعادك اعتماداً على الخطوة التي يلقاها « عمرو باشا » في لندن ». ويسجل اللورد في برقائه حديث « عبد » .

* * *

حاولت مصر عدة مرات إبعاد « كيلرن » بمقته . ولكن بغير نتيجة . وكان يجب نقله بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، فإن المتذوب السامي البريطاني لن « يتنازل ليصبح سفيراً » .

... في ٢٢ يوليو عام ١٩٣٧ . أرسل « بيرت فيش » القائم بالأعمال الأمريكي يقول : « كانت هناك إشاعات وأحاديث كثيرة . في صحف مصر عن نقل « السير مايلز لامبسون » - وهو أسمه قبل أن يحصل على لقب « اللورد كيلرن » - وقد سأله فتنى لي ذلك وقال إنه يجب منصبه في مصر وسيسافر في أجازة » .

ولم يكن الملك قد بلغ السن القانونية ... في ذلك الوقت . أي عام ١٩٣٧ . وفي برقية أخرى « لبيرت فيش » تاريخها ١٩ أبريل ١٩٣٩ . قال : « إن السير مايلز لامبسون يعتقد أن « علي ماهر » . عندما كان في لندن لحضور مؤتمر فلسطين في أوائل هذا العام - ١٩٣٩ - ، حاول نقله - أي السفير - من مصر وأن « علي ماهر » والملك ، على علاقة ودية طيبة . ولكن الملك ليس سعيداً بوجود « السير مايلز لامبسون » ... وقامت الحرب . وكان بقاء « السير مايلز » في مصر ، ضرورة بالنسبة لبريطانيا العظمى . فقد استطاع عن طريق وزارة الوفد ، أن يؤدي خدمات عظيم للبلاد !

* * *

بدت الحسرة في كل كلمة نطق بها « اللورد كيلرن » . وهو يغادر مصر يوم ١٠ مارس ١٩٤٦ .

قال للصحفيين : إن مصر هي وطنه الأصلي . ومركز حياته العامة والخاصة خلال ١٢ عاماً . وقال مثيناً إلى دوره في سنوات الحرب . « عندما أنظر إلى الوراء ... إلى السنوات التي عملتها في مصر . وبالذات في الفترة التي وقفت فيها معاً ، بجانب جنوب ، ضد العدو القاتل ، أجد أن ذلك يشجعني على الأمل ، في أن الروابط بين البلدين مستمرة ، إنها فوق كل هجوم » .

وقال إنه «سيظل يرقب باهتمام بالغ كل تطور في مصر» .
ووصف «بنكني تاك» رحيل السفير البريطاني من مصر ..

برقية رقم ٣٧٦٨

من «بنكني تاك»

القائم بالأعمال الأمريكي

إلى وزير الخارجية في وشنطن

بتاريخ ١٠ مارس ١٩٤٦

غادر القاهرة مساء أمس «اللورد كيلرن» السفير البريطاني لدى مصر . بعد ١٢ عاماً من
الخدمة المتصلة في مصر . متوجهًا بالجرو ، إلى «سنغافورة» لتولى منصبه الجديد .
ولم يكن هناك مثل القصر ، بين المجموعة الصغيرة التي جاءت لوداعه ، من أعضاء موظفي
سفارته وعدد قليل جدًا من المواطنين البريطانيين .

وكانت « وسييل ليون » - السكرتير الأول للمفوضية الأمريكية - الدبلوماسيين الأجنبيين
الحاضرين . ويمكن إرجاع الغياب الكامل ، لملايى الدبلوماسيين إلى وجود شعور عميق
بالغضب بينهم - منذ وقت طويل - تجاه لا مبالغة . وإغفال ، « كيلرن » لمنصبه كعميد للسلك
الدبلوماسي . وإلى قدر أكبر من اللامبالاة تبديه « اللورد كيلرن » إزاء واجباتها .

وبرغم بروء المصريين في هذه المناسبة . فإني أشك في أن يعامل أي مثل لبريطانيا في مصر في
هذا الوقت بصورة مختلفة .

و قبل مغادرة «اللورد كيلرن» مصر . استقبله مثل الصحافة . وأكده النقاط التالية ردًا على
الأسئلة التي قدمها إليه الصحفيون :

أولاً : بريطانيا ترغب في وجود مصر المستقلة ، بنفس القدر الذي ينزعزع فيه المصريون .
إلى الاستقلال التام .

ثانياً : إن الدولتين قدمتا مساهمة مشتركة . في صنع نظام الأمن العالمي الجديد .
ثالثاً : لا الحكومة البريطانية ، ولا دافع الضرائب ، يرغبان في دفع أجر جندي واحد أكثر
من العدد اللازم في مصر .

رابعاً : يرى شخصياً أنه من المثير للشفقة ، أن مصر لم تنجع في تكوين جبهة موحدة
للمفاوضات كما حدث عام ١٩٣٦ .

خامساً : إنه مفأئل بشأن نتيجة المفاوضات . حين يبدأ الجانبان ببحث الحقائق الأساسية وبعد أن يهدأ المناخ الحالى الساخن جداً .

رفضت الحكومة البريطانية أن تعلن ، أن اللعبة الملكية هي التي أدت إلى نقل السفير . سأل « وينانت » السفير البريطاني في لندن ، « سكرييفنر » رئيس القسم المصرى بوزارة الخارجية البريطانية عما نشر في مصر عن « نقل كيلرن » .

نقى « سكرييفنر » النبأ الذى يقول إن التقل ثم تحت ضغط المصريين .

وتنسى بأن السبب الحقيقى هو الحاجة إلى خدمات « كيلرن » في مكان آخر . وكتب « وينانت » إلى واشنطن يقول :

« إن « سكرييفنر » يشعر بأن القرار يمكن أن يكون له تأثير طيب . وبعطي فترة لالتقاط الأنفاس » .

• • •

لم يدرك ملك مصر ، أن نقل « كيلرن » مجرد ترضية شكيلية ..

ولم يستند « فاروق » أو الزعماء من رحيل « كيلرن » ..

جاء السفير الجديد « رونالد كامبل » الذى عمل في مصر خلال الثلاثينيات فى أثناء فترة الحكم المطلق للملك .

لم يتدخل السفير الجديد في شؤون مصر . لأنه كان يعرف الدرس القديم . ولأن بريطانيا في عهد « بيفن » ، وبعد حكامة « كيلرن » ، لم تهتم كثيراً عن يحكم مصر .

ولم يهم الزعماء بالاتحاد ضد الملك حلية الدستور .

ولم يعرف الملك أو زعماء الأحزاب . أن الدنيا تغيرت . وأن موازين دولية جديدة نشأت . وأنهم يستطيعون تحقيق مصلحة مصر من خلال تلك الظروف .

لم يعرف المصريون أن بيفن يريد مساندة من مصر تكون طرفاً في القوة الثالثة التي يريد إقامتها . ولم يعرفوا كيف يستفيدون من « المشاركة الحرة » التي تكلم عنها الرد البريطاني ..

وفي نفس الوقت لم يعارض المصريون . كما ينبغي ، هذه الأفكار الجديدة ..

ولم يقطن قادة الأحزاب السياسية بعد الحرب مباشرة . إلى استغلال الفرص . والاتجاه مجلس الأمن فوراً ، لعله يعطيهم حقهم في فترة الاضطراب . وإعادة التوازن عقب الحرب . وقد أنصف المجلس إيران وسوريا ولبنان فأصدر قرارات بحق هذه الدول في جلاء القوات الأجنبية عنها . وفقدت هذه القرارات .

وكانت بريطانيا تخشى - كما رأينا - التوجه مصر إلى مجلس الأمن .

• • •

أهل زعماء مصر تقييم موقف الدولى ..

كانت الحرب الباردة في طريقها إلى الظهور .. وأمريكا تريد أن تأخذ مكان بريطانيا ، وبريطانيا تتعلق بأمريكا وتسييرها .. ، والقوى الكبرى تتكلل ، ولا يد من حلفاء ، أو شركاء ، مستعمرات أو أتباع .. وذيل ..

وكان يجب على الزعماء أن يتعلموا إلى بلادهم كجزء من العالم الجديد .

وكان يمكن أن تربح مصر كثيراً من الظروف المتغيرة .

إن الحرب لم تدم مصر ، كما دمرت أوروبا .. ، ولذلك كان في استطاعة مصر أن تهض ب بصورة أسرع وأن تبني بصورة أكبر ..

ولكن ...

انختلف الزعماء وتصارعوا دون أن يحققوا هدفاً واحداً ..

ولم يتجمع - منهم - أحد ..

الملك لم يرتفع فوق الأحزاب .. فقط .

ضرب الأحزاب بعضها بعض ، وفرق ليسود ، وكانت النتيجة أنه فرق ، وفرق ، ليخسر . كانت الوسيلة الوحيدة لاحفاظه بعرشه ، أن يتحد مع الأحزاب ضد الإنجليز .

ولكته اتحد مع الإنجليز ضد الأحزاب ، ضد الشعب .

ووجد أن بريطانيا ، نفذت الاتفاق السرى الذى عرضه عليها « عمرو » . فلم تتدخل فى شؤون مصر الداخلية ، وتركته أن يحكم على هواه .. ، وكان افراد الملك بالحكم . هو الذى جعله يفقد عنصر الازдан ، فإن السفير бритانى ، كان يعرف مني بتدخل لتحقيق التوازن .

أضاع الملك الفرصة الوحيدة لتحقيق الإصلاح الاجتماعى والسياسى ، التى أتيحت له بعد رحيل « كيلون » .

ولو أن الملك تمسك بالدستور ، لتغير التاريخ المصرى بعد الحرب العالمية الثانية .

• • •

وخسر الوفد - بوفاة « أمين عثمان » - العنصر المهدى . الذى يستطيع إقناع السفاره бритانية ، بالتدخل لدى الملك لصالح الوفد ، ويستطيع إقناع الوفد بمعاداة الإنجليز بقدر .. وبحدود !

وظل الوفد يكرر أنه يجب إيجاد جو من الثقة وحسن النية ، بين بريطانيا ومصر ، وتحقيق ذلك بطريقة واحدة ، وهي أن تعالج بريطانيا الموقف مع الممثلين الحقيقيين للشعب المصري .. أي الوفد .

واضطر الوفد .. صيانة لاضيه ، وضيئلاً لستبيه ، إلى التطرف ضد الإنجليز ، فعاقبه الإنجليز بأن تركوا ، للملك ، كل شئون الحكم .

ولم يستطع الوفد إقناع الإنجليز ، أو إرغام الملك ، على إجراء انتخابات جديدة إلا في عام ١٩٤٩ .

* * *

« والنقراشي » ...

لم يستطع التفاوض مع بريطانيا .. وكل ما حصل عليه تجديد لاتفاقية الأرصدة ٣ شهور ، وحصلت مصر على ٣ ملايين جنيه إسترليني من ٤٠٠ مليون .

وترك « النقراشي » للملك ، أن يتدخل علناً في السياسة فاجتمع - وحده - « بتشرشل » .

« والملك عبد العزيز » ، وكان يجب أن يشترك « النقراشي » في هذه الاجتماعات تمسكاً بالحقوق الدستورية لرئيس الوزراء .

وكان تساهل « النقراشي » في وزارته الأولى مع الملك ، هو الذي أدى بالملك ، في وزارة « النقراشي » الثانية ، إلى دخول مصر حرب فلسطين على غير رغبة « النقراشي » .

إن الاستسلام المحدود أدى « بالنقراشي » إلى الاستسلام بعد ذلك .. للملك .. بلا حدود .

* * *

« ومكرم عبيد » .

إن تمرده وانقلابه على الوفد ، كان يجب أن ينتهي إلى خاتمة واحدة .. فحسب ، وهي محاكمة « التحاس » وإداته أيضاً .

ولكنه لم يستطع أن يصل إلى هذه الت نتيجة ، لأن بريطانيا لا تستطيع إهمال أصدقائها والتضحية بهم والفقد ، في مصر ، الأنصار ، إلى الأبد .

ودور « التحاس » في مساعدة بريطانيا خلال الحرب واضح .. واضح . ولذلك منعت بريطانيا محاكمة « التحاس » ، وقد (حزب الكثلة) سر وجوده ، أو المدف من شأنه . أما (الأحرار الدستوريون) ، فقد بقى حزبهم يؤدي دوراً مسانداً لأى رئيس للوزراء يعارض الوفد !

ولم يستطع (الحزب الوطني) .. أن يجد قائداً ملهمًا مثل «مصطفى كامل» .. يستطيع تعبئة الشعب وراءه .. وكل ما يبقى للحزب مجرد شعار ..

ثم انقسم الحزب على نفسه بعد ذلك ، ووجد شباب الحزب أن دورهم ينبغي أن يقتصر على توعية الرأي العام . فكانت صحيفة الحزب بعد سنوات عاملًا من عوامل التعبئة لما جرى عام ١٩٥٢ .

• • •

كانت هناك تيارات كثيرة تتحرك في المجتمع المصري .. ونشأت عوامل عديدة أفت مزيدًا من الوفود على المشاعر المتيبة لمصر .

تحمل الشعب تصريحات باللغة في أثناء الحرب . وتولد عنده أمل في استقرار العلاقات المصرية البريطانية ، على أساس مبادئ الأمم المتحدة ، والاستقلال التام ، والمساواة ، مع الاحتفاظ بصلة القرابة ببريطانيا .

ونضاعفت هذه الآمال .. بوصول حزب العمال البريطاني إلى الحكم ..

وفي نفس الوقت تركت الحرب آثارها ، من القلق والتوتر في نفوس المصريين ، وهو ما يحدث عادة في أعقاب الحروب ..

وقامت الطبقة الوسطى في مصر ، تحاول أن تجد لها طريقًا بين الأثرياء والفقراء .

ونضاعفت الجهود ، لتكيف العلاقة المصرية البريطانية على أسس جديدة ..

ولكن حفل العام بسلسلة متلاحقة من خيبة الأمل ... في كل شيء .. لا جلاء .. ولا أصلاحًا اجتماعيًّا .. ، ولم يتصر الدستور .. إلا شكليًّا .. ، ولم يجد ما يدل على أن الآمال الوليدة ستزدهر .

وكانت النتيجة أن المصريين أخذوا يوجهون ضغوطهم وسخطهم ، لا ضد بريطانيا ، كما حدث بعد الحرب العالمية الأولى ، بل وجهت الأحقاد والعداوات ضد الزعماء والسياسيين المصريين .. أنفسهم .

وبدأت الاغتيالات السياسية «بأحمد ماهر» ، الذي كان رمزاً لساندة بريطانيا بإعلان الحرب .. «ولأمين عثمان» باعتباره رجل الإنجلترا داخل حزب الوفد ..

ولم تتوقف حركة الاغتيالات السياسية ، بل استمرت ليسقط «النقراشي» نفسه ، ضحية جديدة لها .. بعد عامين .

• • •

فشل ، مع الزعماء ، لسو الحظ ، ومع الشباب أيضاً ..

في سنة ١٩٣٥ استطاع طلاب مصر الانفصال وفرضوا ، الوحدة ، على الزعماء .

وبعد ١١ سنوات في عام ١٩٤٥ ، وأوائل عام ١٩٤٦ ، استطاع الزعماء أن يتخلوا عدوارتهم وخلافاتهم إلى الطلبة فأضربوا وتنزقوا . وكانت مظاهرات الطلبة ، عملاً جعل الإنجليز يخافون من تجدد ثورة عام ١٩١٩ .

لم يضع الزعماء نعنة ، ولم يوزعوا الأدوار فيما بينهم . وعجزوا عن الحصول على أي مطلب قبل بدء الحرب الباردة ، أو بعد أن اختلف الغرب والشرق ..

وما حدث في مصر بعد الحرب العالمية الثانية ، هو تكرار لما حدث بعد الحرب العالمية الأولى .

بعد الحرب العالمية الأولى قامت ثورة عام ١٩١٩ . ولكن اختلف الزعماء فلم يحصلوا على شيء مع أنهم ، أيضاً ، كانوا حلفاء للمنتصرين .

ولم يدرك المصريون أنه في أعقاب النصر مباشرة كان الخلفاء يوزعون العالم فيما بينهم . ولا يختلفون على تحرير الشعوب .. بل على اقسام حقوق الشعوب .

وظل المصريون خلال السنة التالية لانتهاء الحرب العالمية الثانية ، يتصرفون في إطار السياسة الخنزيرية القديمة . يتصارعون على الحكم ، ولا يعرفون كيف ، وأين يتوجهون هل إلى القصر أم إلى الإنجليز .. حائزين هل برعون علم الصداقة أو علم المهادة .. ، ولم يدركون أن الفرقه والغزو .
تعنيان أن العلم الوحيد السياسي المرفوع ، هو علم الاستسلام وحده !

• • •

كانت سنة من أخطر السنوات في التاريخ المصري الحديث .

كانت مفترق الطرق بين عصرين .. عصر الحرب العالمية التي انتهت . وعصر الحرب الصغيرة المحدودة التي بدأت ...

وأخذت مصر تدور حول زعنافها ..

وتدور حول نفسها .

وكانت سنة ضائعة من عمر مصر ! ..

L.C. 50

of 572 o-

o/600

COPIESGIFT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

(This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on)

DIPLOMATIC SECRET

[EN CLAIR]

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE

Lord Killearn.
No. 88 Savigny.
29th March, 1946. D: By bag 29th March, 1946.
R: 2.20 p.m. 1st April, 1946.

* * * * *

CONFIDENTIAL

My telegram No.87 Savigny of March 28th.

I omitted to record something else that Sirri Pasha said several times with marked emphasis during the conversation yesterday.

2. Namely, that I would remember that when he was in office he had repeatedly informed me that King Farouk was at heart an arrant coward. That he would bluster and splash about up to a certain point but that he would always collapse finally. (He did not say so, but it was quite evident that he had February 4th, 1942 in mind as an example of his "pricked balloon" theory about the boy). Sirri would have no doubt that the position was the same today. King Farouk remained just as much of a coward as ever. He would always cave in if we showed our teeth.

3. This seems to me worth recording. It tallies with my own belief.

Egypt
left home
with fr
return journey
to Paris
10/46

قال حسين سري المفخر البريطاني : فاروق جبان !

תְּלִינוּן וְעַמְלָנָה

to 341

45-920

0760-5

COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

FEN CLAIR

VAR CABINET DISTRIBUTION

J. 1265

FROM CATBO TO FORESTON OFFICE

Lord Killearn.
No. 91. SAVING

Dr. By Bag 21st March 1945.

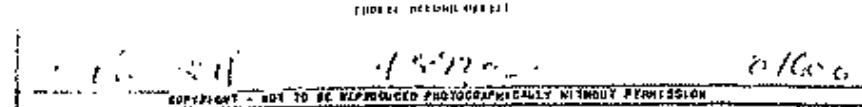
81st March 1945.

B. 11-55, 8 a.m., 7th April 1945.

Abboud asked to see me urgently this morning. He had first seen Hassanein Pasha and told him he understood I was not particularly happy about the new Governmental team. Hassanein Pasha seemed of the same mind. Was there anything, asked Abboud, in regard to which I was in particular uneasy? and in regard to which he could serve as my intermediary with Hassanein?

2. I thanked the Pasha for this suggestion but added firmly that there was no way in which I could profitably take advantage of his offer. Position was that new Egyptian Prime Minister seemed to be gaining experience in regard to the difficulties of his new and heavy responsibilities. We all knew he was no Ahmed Maher, but wise attitude was to "wait and see", in short, follow the principle "by their deeds ye shall judge them."

افتتحت بريدي الوساطة بين الشعب греческий والحكومة المصرية



VAS/GB
No. 602
(22/4/45G)

BRITISH EMBASSY,
CAIRO.

24th April, 1945.

TOP SECRET

J1531

Sir,

I have the honour to transmit herewith an extract from a secret report received from an agent regarding the penetration into the Palace by a woman named Leila Cherine, and the scandal caused by Queen Farida's discovering her there.

2. An agent in close touch with the Palace and generally very reliable, confirms nearly all the facts of this report but states that King Farouk, who was absent in the Fayyoun at the time, is really quite innocent in this matter. According to this agent, Leila Cherine is a Greek woman, who married an Egyptian, and is a lady of many virtues. She is, moreover, subject to attacks of dementia. Some months ago she was treated for dementia by Dr. Gelat, who has a clinique for mental disorders at Maadi. The report of Mr. Gelat on her illness at that time was fortunately available and produced to the Procureur-Général, to whom the present case has been referred. Leila Cherine is now again being looked after in the clinique of Dr. Gelat.

3. Our agent in touch with the Palace referred to above, reported further as follows:-

As a result of this incident, Queen Farida demanded either a divorce or permission to retire from the scene and live alone with her children. King Farouk was very incensed and inclined to agree to a divorce, but Hossanein Pasha intervened energetically against this proposal and succeeded in securing its abandonment for the time being. However, King Farouk is likely to return to the idea of a divorce owing to the fact that Queen Farida refuses to live with him any longer, thus depriving him of the possibility of having a son and heir. She adopted this attitude in view of King Farouk's alleged intimacies with other women, including the Nabilah Fatma Toussoun. If the King ever decides on a divorce, it is probable that he will make a communication to Parliament, explaining that he has had recourse to a divorce owing to the queen's refusal to live with him and give him the opportunity of having an heir.

4. It has long been current report that King Farouk would like to marry the Nabilah Fatma Toussoun, who would in that event have to secure a divorce from her husband. Such a scandal in the Royal Family would have such a damaging effect on King Farouk's reputation that every attempt would no doubt be made to deter him from such a project, if really he were to consider it seriously.

I have the honour to be,
With the highest respect,
Sir,
Your most obedient, humble Servant,

The Right Honourable
Anthony Eden, M.C., M.P.,
etc., etc., etc.

/cc

Killeary

كانت السفارة البريطانية تعرف كل فملاجع الملك

Reference:-

FO 371 / 53283.

are 9902

COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

Egyptian (C/I)

Sending of Stat

CONFIDENTIAL

With reference to 68/5's minute on the draft telegram below:

Play A

When instructing Lord Killearn to raise with the King the question of a possible reconstruction of the present Government, we told him that the King must "deal with the personal problem presented by Nahas", and that the most we could do was to undertake not to hinder His Majesty by "any form of intervention on Nahas' behalf", the point being that Nahas would expect to lead any new government and that the King will never tolerate him again as Prime Minister. It is a question of political antagonism and personal antipathy. In his reply Lord Killearn deprecated mentioning Nahas by name on the grounds (1) that to do so would encourage the King to be unduly tough with Nahas and (2) that Nahas and the public would both think (on the assumption that the matter would leak out) that we were "jettisoning the man who had stood by us". We had no objection to Lord Killearn's proposal, but did not like his reasons - the more so as everyone in Egypt, rightly or wrongly, regards Lord Killearn as predisposed in favour of Nahas and against the King. Hence the present draft, which is designed to cross the ts and dot the is, in case there is any misapprehension.

R. S. Ward.

4th February, 1946.

Tolson
J.

الجريدة الملكية التي أطاحت بالسفير الورد كيلن

Reference:-

FO 371 / 53283.

PUBLIC RECORD OFFICE

ae 9902

COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

S 407/39/16

[CYPHER] OUT FILE DEPARTMENTAL NO.1.

FROM FOREIGN OFFICE TO CAIRO(AMBASSADOR)

No. 204.

D. 12.05 p.m. 8th February 1946.
8th February 1946. 2 2 2

IMPORTANT.

Your telegram No. 117 [of January 28th] paragraph 2.
You had of course discretion to interpret these
instructions in the light of local exigencies; but I
should like to make clear my view that we have
discharged our debt to Nahas Pasha by giving him
support while in office until late in 1944 and that, we
are ready that King Farouk should have his head so
far as internal situation is concerned. As you know,
I have consistently stated, in public and in private,
that His Majesty's Government will not interfere in
Egyptian internal affairs.

(Copies sent to M.E. Secretariat.)

O.T.P.

SEARCHED	INDEXED	FILED
2/10/46		
TO 371	S 2330	0755
COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION		

Distr:

THIS DOCUMENT IS THE PROPERTY OF HIS BRITANNIC MAJESTY'S GOVERNMENT

EGYPT AND SUDAN.

CONFIDENTIAL

ARCHIVES

February 10, 1946

SECTION 1.

Gi
Copy No.

Lord Killearn to Mr. Bevin.—(Received 10th February.)

(No. 203.)

(Telegraphic.)

Cairo, 10th February, 1946.

WEEKLY APPRENTION.

Week under review has been entirely dominated by Egypt's note there to the publication of Egyptian and British notes regarding their proposed alliance on

2. Reception of British note has been almost uniformly anti-British. Wa'ad have come out with great violence in a manifesto alleging that the Egyptian note amounts to acknowledgment that the new treaty should impose permanent military fetters on Egypt, despite guarantee of her security provided by her participation in U.N.O. Reference in the British reply to the Sudan is alleged to indicate that the present Egyptian Government have made a considerable concession to British imperialism in the Sudan. Government newspapers have endeavoured to present the British note in an optimistic light. Independent newspapers, though more reserved than Wa'adist ones, are very critical and Azam definitely states that Egypt should demand a modification of the basis of negotiations, failing which it would be wiser for the Egyptian Government to refuse to negotiate at the present moment. Ma'kram Ebied's organ has adopted its usual extremist line and criticised our reply. In Parliament, however, Ma'kram Ebied was more reserved and contented himself with saying that Egyptian negotiators would enter into negotiations without any restrictions. Muslim Brothers have likewise come out with an attack on the British note on lines similar to that of the Wa'ad. Demonstrations have taken place in the religious institution and Coptic school at Tanta and in Azhar against our note. Police are expecting an attempt at demonstrations (mainly Wa'ad organised) by university students on their return on the 9th February after the holidays.

3. It is also reported that a strike is being organised in protest against the British decision to seal immigration temporarily into Palestine. Director-General of Public Security states that police have been given orders to stop forcibly any demonstrations.

4. In the Senate Sabri Abu Alaa criticised the acceptance in Egypt's note to His Majesty's Government of the principle of alliance with Great Britain on the ground that an alliance was unnecessary in view of the United Nations Charter. He finally submitted a motion to the effect that the Senate should decide that Egypt's note and the British answer could not serve as basis for conversations or negotiations.

5. Anti-British extremism is mounting over this treaty issue without the Government making any effective attempt to control either in direct public opinion or the press. Prospects of the success of treaty revision negotiations in such an atmosphere seem slender.

6. Meanwhile, Hassanain is reported to be in touch with the Foreign Office for a widening of the Cabinet and inspired by the Foreign Office's attitude, Farouk is taking an interest therein. It is reported that the Foreign Office's Prime Minister may be appointed to form a coalition Government to which the Wa'ad would be invited to contribute members, to the exclusion, however, of Nahash Pasha. Little progress has so far been made in these explorations.

7. Between twenty and thirty individuals are now in custody in connexion with the murder of Amin Osman Pasha; Aziz Al Maari has, according to the press, been released without bail.

8. Last number of Young Egyptian's newspaper has been suppressed for violent anti-British matter and Alioud Husein was arrested but has been released on bail. It is reported that other members of the Young Egyptian have been arrested. Generally the Young Egyptian is playing an active part with the Wa'ad in endeavouring to promote demonstrations.

SECRET

FO 371 51461 X 1A 1248

COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

g

J 1025

(This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on)

(CYPHER)

CABINET DISTRIBUTION

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE

Mr. Bowker D. 5.39 p.m. 7th March, 1946.
No. 426 R. 6.21 p.m. 7th March, 1946.
7th March, 1946

7 7 7 40

IMPORTANT

J

(Following from Lord Killearn)

I had my farewell audience with King Farouk who kept me one and a quarter hours this afternoon.

3. It was as always extremely amicable.
- b. I informed His Majesty of my representations to Egyptian Prime Minister this morning (see my telegram No. 418) and expressed the hope that His Majesty would reinforce what I had said. He promised that he would. He also wished to associate himself with Sidki Pasha's expressions of profound regret. To him personally the events of May -rate] 4th had been the greatest shock and he deplored them.
4. We discussed local politics on the broadest lines and I expounded one more my fears regarding an ultimate clash of ideologies. If I might say, these popular movements (which were national and in themselves wholesome) required wise canalisation and true leadership. It had always been my ardent hope that under His Majesty's inspiration that leadership would be forthcoming from the throne which ought

to

FO. 311 5/26/1 X C 1d 1248
COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

-2-

to be a true buttress and bulwark for the best interests of Egyptian people. I had not always felt that the late Mamelkin Pasha, Allah rest his soul, had given His Majesty the wisest counsel. His Majesty admitted that might have been so; but he did not necessarily take his lines from any of his counsellors. He made his own decisions and carried them out. He believed that Sidiki Pasha was the best, if not the only man, now available with sufficient strength. His Majesty was at pains once more to express his most loyal sentiments to Great Britain. He believed that in days to come it was more than ever essential that our two countries should keep together.

5. As to the treaty revision he shared my view there was no real need for pessimism. And he had [grp. undec. & from] sources of information (unknown even to His Government) [grp. undec. & material] anticipating that my view was correct that the British desiderata would be found surprisingly moderate. He alluded then to something he himself might [grp. undec. & in that case] do to help the matter.

6. On leaving His Majesty I drove straight to farewell tea party with Sidiki Pasha. Shortly after leaving the latter Mr Pasha telephoned that King Farouk had arrived at Sidiqa Pasha's house expecting to find us still there but unfortunately I had just left.

OTP.
ATP.

الأخير بين فاروق وكيلون

فهرس

صفحة

من قفص الاتهام إلى رئاسة الوزارة ..	٥
الدرس الأول .. لتأخر المدرسة ..	٧
الخصوم ..	٣٧
هوم السفير ..	٥١
... وهوم الأمير ..	٦٥
صاحب الجلالة يعرض خدماته ..	٧٩
العام المر ..	٨٩
مصر العربية ..	١٠٣
غوار .. يوم وقفه عرفات ! ..	١٢٣
فضائح صاحب الجلالة ..	١٤٥
لا تخرجوا من مصر ..	١٥٩
عقدة بيفن ..	١٧٣
الخبيال أمين عثمان ..	١٨٧
المد الشيعي يزحف ..	٢٠٥
... ليس إنذاراً .. ولكنه تحذير ..	٢٢٣
الفقيح الملكي ..	٢٣٩
النقاشى .. مقابل سخاف ..	٢٥٣
سنة ضائعة ..	٢٧٩

كتب للمؤلف

- | |
|--|
| الناشر أعياد اليمه
١ - تحكيمات صحفيه
٢ - الزواج سنة ٢٠٠٠
٣ - تاريخ للبيع
٤ - ولا عجب إلا الصين
٥ - دفاع عن الزوجات
٦ - سرقة واحة مصرية
٧ - الشعب وال الحرب
٨ - التليفزيون
٩ - التاريخ السرى لمصر
١٠ - حرب البترول (الحاضر السرى لاجماعات
وزراء البترول العرب)
مجلة الإذاعة
١١ - عندما يموت الملك
دار التعاون
١٢ - ستة من عمر مصر
دار المعارف
١٣ - التاريخ السرى لمصر (طبعة أكبر بوثائق
بريطانية وأمريكية)
دار المعارف
١٤ - أصول الحكم
دار المعارف
١٥ - الشيطان |
|--|



رقم الإيداع	١٩٨٢ / ٤٥٦
الرقم الدولي	٤٧٧ - ٠٢ - ١٩٤ - ٤
	١ / ٨١ / ٢٩٢

طبع بطلب دار المعرف (ج. م. ع.)

هذا الكتاب

كانت سنة من أخطر السنوات في التاريخ المصري الحديث ، تلك التي بدأت بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، لقد كانت مفترق طرق بين عصرین : عصر الحروب العالمية الذي انتهت ، وعصر الحروب الصغيرة المدودة التي بدأت .

ظل المصريون يدورون خلافا في إطار السياسة الخزينة القديمة ، يتصارعون على الحكم ، ولا يعرفون كيف ، وأين يتجهون ، هل إلى القصر أم إلى الإنجليز

وتدور مصر حول زعنافها ، وتدور حول نفسها وكانت سنة ضالعة من عمر مصر يقصها هذا الكتاب بالوثائق والحقائق .

To: www.al-mostafa.com